الدكتور فاروق عمر

العباسيون الأوائل

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الجزء الثاني

العباسيون الأوائل

دار الفكر
دمشق

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣ م

الدكتور فاروق عمر

دكتوراه في التاريخ الاسلامي ـ جامعة لندن
استاذ التاريخ العباسي والتراث العربي المساعد
في كليتي الآداب والهندسة



٩٧ هـ/٧١٦ م ـ ١٧٠ هـ/٧٨٦ م

دراسة تحليلية للفترة الاولى من العصر العباسي الاول
منذ بدء الدعوة العباسية حتى بداية عهد الرشيد

الجزء الثاني

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الجزء الثـاني



الأهـــداء

الى الفرسان الثلاثة الذين أدركوا جوانب مهمـة من الحيـاة التي عاشوها ..... رغم اختلاف وتباعد عصورهم ...

الى ابي الطيب المتنبي الذي قال :

صحب النـاس قبلنـا ذا الزمانا وعنـاهم من أمـره ما عنـانا
وتولوا بغصـة كلهـم منـه وان سـر بعضهـم أحيـانا
ربمـا تحسن الصنيع ليـاليـه ولـكن تكدر الاحسـانا
وكأن لم يرض فينـا بريب الدهـر حتـى اعـانه من أعـانا
كلمـا انبت الزمـان قنـاة ركّب المـرء في القنـاة سنـانا
ومـراد النفوس أصغـر من أن نتعـادى فيـه وأن تتفـانى

والى ميكيافلي الذي قال :

« لما كان قصدي أن أكتب شيئاً يستفيد منه من يفهمون ، فاني أرى ان من الافضل أن أمضي الى حقائق الموضوع بدلاً من تناول خيالاته ، لا سيما وان الكثيرين قد تخيلوا جمهوريات وامارات لن يكن لها وجود في عالم الحقيقة وان الطريقة التي نحيا فيها تختلف كثيراً عن الطريقة التي يجب أن نعيش فيها وان الذي يتنكر لما يقع سعياً وراء ما يجب أن يقع انما يتعلم ما يؤدي الى دماره بدلاً مما يؤدي الى الحفاظ عليه » .

الامير ص ١١١

والى هربت ماركوز الذي قال :

« ان مفاهيم الجمال والعدالة والسعادة العامة ، غير القابلة للترجمة تعكس في الحقيقة الضمير التعيس لعالم منقسم على نفسه ، يتعالى فيه « ما هو كائن » على « ما يمكن أن يكون » بل يرفضه وينبذه . ونحن لن نستطيع أن ندرك سر تمايز هذه المفاهيم العامة عن أجزائها الفردية الا اذا رجعنا الى تجربة ذلك العالم الذي يفصل على نمو قاطع ونهائي بين الممكن والواقع مع انهما البعدان الاساسيان لتجربة اختبارية واحدة . وما وظيفة المفهوم العام والشمولي في الحقيقة الا ان يكشف عن الامكانيات المتحققة في الواقع والملجومة من قبل هذا الواقع نفسه في آن واحد » .

الانسان ذو البعد الواحد ص ٢٢٥

المؤلف

الدكتور فاروق عمر حسين فوزي من المؤرخين العراقيين الـذين ساهموا في اعادة نشر دائرة المعـارف الاسلاميـة Encyclofeadia of Islam بثوبها الجديد حيث يعاد طبعها باللغتين الانكليزية والفرنسية .

واشترك المؤلف كذلك في اعـداد مقالات ستنشر في الطبعـة الجـديدة لـدائرة المعـارف البريطـانيـة Encyclofeadia Britannica حيث يعاد النظر في الحقول الخاصة بالتراجم بصورة رئيسية .

وقد دعي المؤلف للاسهام في الاحتفال الذي نظمته هيئة الامم المتحدة (منظمة اليونسكو) لاحيـاء ذكـرى الخليفة هارون الرشيد بمناسبة مرور ١٢ قرناً على وفاته بارسال مقالة باللغة الانكليزية عن (عهد الرشيد) .

كما حصل المؤلف على الجائزة البرونزية في معـرض الكتاب الدولي الذي نظم في ليبزك في تمـوز ١٩٧١ حيث فاز كتابه الموسوم (طبيعة الدعوة العباسية) بيروت ١٩٧٠ بهذه الجائزة . والمعروف ان هذا الكتاب نفذ واعيد طبعه عدة مرات .

والمؤلف في الوقت الحاضر استاذ التـاريخ العبـاسي والحضارة العربيـة ــ الاسلامية المساعد في كلية الآداب ، واستاذ التراث العربي المساعد في كلية الهندسة جامعـة بغـداد .

أما بعد فان علم التاريخ علم عظيم المقدار رفيع المنار شهدت بفضله الآيات والاخبار واعتنى بنقله الاثبات والاخيار وأنفقوا في ذلك نفايس الاعمار وارتكبوا بسابس الاخطار حتى حصلوا من ذلك اسفار الفوايد وفوايد الاسفار وبلغوا بذلك غايات المنى ونهايات الاوطار فكشفوا عن الامة كل غمة بما رووا من الاخبار وجلوا غياهب كل ظلمه بنيران الآثار، شكر الله سعيهم المختار وعم بواسع مغفرته جميعهم انه هو الرحيم الغفار .

ابن الديبع : مخطوطة قرة العيون ص ١

توطئـــة

نقتبس هذا الكلام من « توطئة » الجزء الاول حيث نعلق على الفصول الاربعة الاخيرة الخاصة بالجزء الثاني الذي بين أيدينا • ان الفصل الرابع يعالج بناء بغداد والفئات المختلفة التي سكنتها من شيعة العباسيين •

ويناقش الفصل الخامس السياسة الدينية للخلفاء العباسيين الاوائل ويبين مظاهرها : فبعد مناقشة سريعة للمصادر ينتقل المؤلف الى المظاهر فيقسمها الى أقسام منها موقف العباسيين من السنة والجماعة ، العباسيون ونظرية الخلافة وهنا يتطرق المؤلف الى الخلافة من حيث كونها مؤسسة دينية سياسية ثم سلطة الخليفة العباسي • وفي المنعطف يتحدث عن خليفة الله وفي الفصل عن موقف العباسيين من الفقهاء وأصحاب الحديث ثم موقفهم من أهل الحرمين في الحجاز وذلك الموقف الذي أكد صبغتهم الدينية القوية وهذا هو المنعطف الرابع • أما المنعطف الخامس فيستعرض علاقة العباسيين بالقضاة، ويوضح المنعطف السادس علاقة العباسيين بالفرق الدينية السياسية من المعتزلة ومرجئة ، اما الفرق الاخرى فقد عالجها الفصل الثالث • ويبحث المنعطف السابع فــي حركات الزندقة باعتبارها حركات دينية • ويمر مرور الكرام على الحركــة الشعوبية باعتبارها حركة فكرية اجتماعية دينية سياسية لا مجال لبحثها هنا • ويناقش المنعطف الثامن والاخير في سياسية العباسيين تجاه أهل الذمة •

أماالفصل السادس فيبحث في أمر طالما اوجد المشاكل وادى الى شق عصا الطاعة وفرق الجماعة وهو مشكلة ولاية العهد • ولا يختلف العباسيون عن غيرهم في هذا الشأن • على اننا نلاحظ رغم انقسام البيت العباسي على نفسه حول هذه المشكلة الا انه كان يقف غالبا صفا واحدا تجاه الاخطار

التي تعرض مستقبله السياسي للانهيار وقد اصبحت هذه المشكلة معــول هدم وسببا في الانهيار منذ عهد هارون الرشيد ذلك لان شكوكه الكثيرة في الامراء العباسيين ومحاولة الحفاظ على السلطة في يد ابنائه جعلته يرتكب أخطاءا جسيمة كانت بداية النهاية لعصر القوة والنشوة في التاريخ العباسي •

وسيتعرض الفصل السابع العلاقات العباسية ـ البيزنطيــة ولعل أهم مانلاحظ خمول الجبهة الشمالية وانتقال المسلمين من استراتيجية الهجوم الى استراتيجية الدفاع وعدم اهتمام العباسيين بالاسطول الحربي فــي البحر المتوسط • ويعود السر في ذلك الى تركيز العباسيين على الاقاليم الشرقية المضطربة وانتقال مركز الثقل بانتقال العاصمة في الشرق الاسلامي بدلا من المغرب حيث بدأت دويلات جديدة تظهر الى الوجود في الاندلس استلمت زمام المبادرة العسكرية والبحرية ضد البيزنطيين • ورغم الجهود التي بذلها المهدي والرشيد والمعتصم في الجهاد ضد البيزنطيين فان الحرب كانت سجالا ولم تخرج بنتيجة مثمرة لاي من الطرفين •

أما في الخاتمة فيحاول المؤلف ان يسوغ توقفه عند عهد هارون الرشيد واعتباره عصر الرشيد نهاية فترة وبداية فترة جديدة في تاريخ العبــاسيين الاوائل • والله ولي التوفيق •

الفصل الرابع

عاصمة جديدة لعهد جديد

بغـداد

بناؤها وسكانها الاوائل

المقدمة (١) :

باعتلاء العباسيين الحكم انتقل مركز الخلافة من الشام الى العراق ، ولقد أرضى هذا الانتقال أهل العراق ، وقرر بصورة قاطعة نتيجة الصراع الطويل للسيطرة بين أهل العراق وأهل الشام لمصلحة الفريق الأول •

ولم يكن هذا الاجراء اعتباطيا ، يقول الأزدي : ان أبا جعفر المنصور أشار على أخيه أبي العباس وكانا في طريقهما من الحميمة الى الكوفة قبل قيام الدولة العباسية بضرورة تأسيس عاصمة جديدة حوالي مدينة الرقة لو قدر للعباسيين المجيء الى الحكم لتكون هذه المدينة مقرا لشيعتهم • وهذا يدل على ان **العباسيين كانوا مقتنعين بان العراق هو الاقليم المناسب ليكون مكانا لايوائهم مع أنصارهم وجهازهم الاداري** خاصة وان العراق هو مصدر القبائل العربية التي هاجرت الى خراسان وثارت على الأمويين وانهت خلافتهم • وأكثر من ذلك فان هذا التحول الى العراق كان ضرورة سياسية واقتصادية للاسباب التالية :

فأولا : استمرت سوريا بموالاتها للأمويين ومحاولتها استرجاع مركزها المرموق •

وثانيا : كان العراق يتميز عن الشام كحاضرة لامبراطوريات سابقةعريقة، وهذا يؤهله أن يكون مركزا لدولة جديدة •

وثالثا : اضطراب الأقاليم الايرانيـــة الشرقية من الناحية السياسية في الفترة الأموية كان دافعا للعباسيين للتمركز في العراق ليكونوا على اتصال وسيطرة تامة على هذه الاقاليم غير المستقرة •

ورابعا : التحول الاقتصادي في منطقـــة حوض البحر الابيض المتوسط في تلك الفترة الى مراكز الجاذبية لامبراطوريات الشرق الاوسط القديمة •

وخامسا : الانتعاش الاقتصادي وخاصة الزراعي للعراق والأقاليم الشرقية كان يبدو واضحا في تلك الفترة ، يقابله الاضمحلال الاقتصادي التدريجي في الأقاليم الغربية وخاصة الشام •

وسادسا : وقد أعقب هذا انتعاشاً تجارياً ساعد عليــه وقوع العراق على طريق الترانزيت بين الشرق والغرب •

وسابعا : الاضطراب السياسي في الشام ومصر وفي ايران جعل العباسيين يدركون بان اقليم العراق هو الاقليم الوحيد لتمركزهم •

على انه لم يكن من السهولة بمكان تعيين المحل المناسب في العراق نفسه لاقامة العاصمة ، ويظهر ان أبا العباس وأبا جعفر في سنواته الاولى ، لم يستطيعا أن يتخذا قرارا قطعيا حول موقع العاصمة • وكان الاختيـــار يترجح من منطقة الى أخرى ، وذلك لاعتبارات غالبا ما كانت سياسية • فبعد أن أظهرت الدعوة صفتها السياسية الواضحة ، أصبح واضحا بصورة متزايدة بأن الكوفة بميولها العلوية ليست محلا مناسبا لهم • ويروى بـأن أبا مسلم نفسه أشار على الخليفة العباسي الأول بضرورة الانتقال من الكوفة قائلا : « ان أهل الكوفة شاركوا أمير المؤمنـــين في الاسم وخالفوه فـــي الفعل ورأيهم مع آل علي الرأي الذي يعلمه أمير المؤمنين يؤتى فسادهم

من قبلهم باغوائهم اياهم وأطماعهم فيما ليس لهم ، فالحظهم يا أمير المؤمنين بلحظة بوار ولا تؤهلهم لجوارك فليست دارهم لك بدار »[٢] .

وسواء اقترح أبو مسلم أم لم يقترح ذلك فان الخليفة أدرك بأن الكوفة تشكل خطرا على السلطة ذلك لأن أهـل خراسان ربما تأثروا بميول أهـل الكوفة العلوية فحادوا عن العباسيين .

ان استمرار تحول أبي العباس من موقع الى آخر خلال مدة حكمه ليدل دلالة بينة على عدم الاستقرار السياسي وقلة الشعور بالأمان . ومع انه بويع بالخلافة في الكوفة ولكنه لم يستقر فيها ولم يعتبرها مقرا دائميا . فاتخذ أول الأمر معسكر أبي سلمة الخلال في حمام أعين في أطراف الكوفة مقرا له وللجند الخراسانية ثم أسس عاصمة جديدة في مشارف الكوفة على نفس الموقع الذي كان يزيد بن عمر بن هبيرة قد عزم على بناء مدينة له ولكن مروان الثاني أمر بترك المشروع ، وقد سمى أبو العباس المدينـة الجديدة بـ (الهاشمية) .

ولكن استمرار الناس على تسمية المدينة الجديدة بالاسم القديم (مدينة ابن هبيرة) أزعج أبا العباس فقرر عدم اكمال البناء ، وانتخب محلا جديدا يقع مقابل مدينة ابن هبيرة تماما .

وبعد فترة من الوقت انتقل ابو العباس الى الأنبار التي كان يسكنهـا عدد اكبر من المسيحيين حيث تركها العرب منذ السنوات الاولى للفتـح الاسلامي لكثرة ذبابها وبنى مدينة سماها (الهاشمية) أيضا بعد أن اقتنى مساحة واسعة من الأراضي التي عوّض ممتلكيها .

ويروى ان عبد الله بن الحسن المحض حينما زار ابا العباس علق على بنائه مدينة (هاشمية الأنبار) قائلا :

ألم تر حوشبـا امسى يبني   بيوتـا نفعها لبنـي نفيلة[٣]

ولما أصبح المنصور خليفة سنة ١٣٦ هـ عاد فاستقر في هاشمية الكوفة لفترة من الزمن مضيفا اليها بنايات جديدة ، ولعل استقرار الخليفة المنصور كان في موقع مدينة ابن هبيرة القديمة او في موقع مجاور لها .

ورغم أن المنصور بنى له مدينة أخرى في ظهر الكوفة سميت (الرصافة) فقد قضى معظم وقته في هاشمية الكوفة التي بقيت مركزا للنشاط السياسي . وقد سجن المنصور عددا من الحسنيين فيها . وكذلك ثار فيها الراوندية سنة ١٤١ هـ/٧٥٨ م وحينما سمع المنصور بثورة ابراهيم الحسني في البصرة وزع جنده في الهاشمية والرصافة مراقبا شيعة العلويين في هذه المدينة .

على ان تمرد الراوندية وهم شيعة العباسيين في الهاشمية جعل العباسيين أكثر تصميما على هجر الكوفة ، ذلك لأننا اذا وضعنا أنفسنا موضع الخليفة العباسي فاننا ندرك المصير الأسود الذي كان ينتظر العباسيين اذا استطاع شيعة العلويين من أهل الكوفة أن يكسبوا الى جانبهم الراوندية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان العباسيين أرادوا أن يقطعوا كل صلة بالعهد الأموي ومظاهره ولذلك لم يفكروا البتة في جعل واسط حاضرة الأمويين في العراق أو مدينة ابن هبيرة مقرا لهم .

ولا بد ان أبا جعفر (المنصور) كان قد مر بموقع بغداد عدة مرات في طريق ذهابه وايابه من الهاشمية الى الجزيرة حيث كان واليا عليها في عهد أخيه أبي العباس ، كما وانه وضع حامية خراسانية في موقع بغداد حين علم بثورة عمه عبد الله بن علي في الشام سنة ١٣٦ هـ/٧٥٤ م . وحين خطط المنصور لايقاع أبي مسلم في الفخ وجد نفسه معسكرا في الرومية قرب المدائن (طيسفون) على بعد فراسخ قليلة شرقي موقع بغداد .

على ان أول رحلة قام بها المنصور بقصد البحث عن موقع لبناء عاصمته الجديدة كان سنة ١٤١ هـ . وفي هذا الوقت كان المنصور مهددا من قبل العلويين في الحجاز وكانت سوريا والجزيرة لاتزالان تعجان بالحركات الموالية للأمويين والخوارج على التوالي .

أما ايران فكانت في حالة من الاضطراب بسبب سلسلة من الحركات السياسية الدينية زادت تعقيدا بعد مقتل ابي مسلم • كل ذلك كان داعيا الى الاسراع في ايجاد عاصمة جديدة ومشيرا الى موقع بغداد كمحل مناسب لعاصمة الخلافة ، وعلى حد قول ابن الجوزي فان موقع بغداد حصين يحميه نهر دجلة من العجم ونهر الفرات من العرب • فالنهران العظيمان وما يتفرع منهما من جداول وقنوات زادت من خصوبة الارض التي تجهز السكان بالغذاء ، واستخدمت في نفس الوقت كوسائل دفاعية عن المدينة ، وكانت المواصلات النهرية سهلة ومتيسرة ذلك لأن كلا النهرين صالح للملاحة النهرية •

واذا ما استبقنا الأحداث فاننا نستطيع القول بأن الاسباب الدفاعية والاستراتيجية التي دعت المنصور الى بناء الرصافة على الجانب الشرقي لدجلة سنة ١٥١هـ/٧٦٨م والرافقة على التخوم السورية سنة ١٥٥هـ/٧٧١ — ٧٧٢م كانت ضرورية وملزمة •

وقد تمركزت قوات خراسانية في كلا المدينتين تحت اشراف ولي العهد المهدي ، ويظهر بأن **الدافع الرئيسي لبناء الرصافة والرافقة كان الرغبة في تأسيس خط دفاعي عن العاصمة • فكانت الرصافة قلعة دفاعية ضد الايرانيين ، كما وان قربها كان يعطي الخليفة القدرة على استخدام القوات الموجودة في الرصافة لضرب اي تمرد بين جنده في داخل المدينة المدورة • في الوقت الذي كان واجب الرافقة هو مراقبة حركات السوريين اشياع الامويين المخلصين •**

واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الاجراءات التي اتخذها المنصور لبناء أسوار وحفر خنادق حول البصرة والكوفة فانه يمكننا القول بأن الخليفة لم يحصن المدينة المدورة فقط بل اهتم بالمنطقة الواقعة حواليها من جميع الاتجاهات ببناء المدن والقلاع العسكرية واعادة تحصين الامصار القديمة كاستراتيجية دفاعية لا هجومية كما كانت في السابق • ولم يكن الخليفة وحده مدركا الحاجة لعاصمة جديدة فلقد رأى الخراسانية جند الدعوة العباسية في بغداد رمزا لعهد جديد هو العهد العباسي الذي صنعوه بأيديهم وكانوا يعتبرون

بغداد (خراسان العراق) وبهذا أصبحت بغداد موطنهم الجديد الـذي ينتسبون اليه .

لقد حاول المؤرخون من قدماء ومحدثين ان يعطوا تفسيرات عديدة لتبرير اختيار الخليفة لموقع بغداد . ولقد لعبت دون شـك الاعتبارات المنـاخية والاقتصادية والاستراتيجية دورها المساعد في هذا الاختيار ، على ان الواجب الاول لمدينة السلام هو أن تكون معسكرا للجند ومركزا اداريا للموظفين . فالروايات التاريخية تظهر بوضوح بأن غرض المنصور الرئيسي كان ايجـاد موقع مناسب لجنده . فقد كان المنصور بحاجة الى موقع حصين يضمن له الأمان في تلك الفترة الحرجة وهي فترة التأسيس وتثبيت اركان الدولـة الفتية . ولهذا السبب فقد بنى المنصورقصرهوقصر أولاده الصغار والدواوين داخل أسوار المدينة المدورة التي كان يحرسها (٤٠٠٠) جندي من اهل خراسان بنسبة ألف جندي على كل بابمنأبوابها الاربعة .

ومع مرور الوقت شعر الخليفة بأن الوقت قد حان لابداء بعض المرونة فتساهل في سنة ١٥٦ هـ حيث أمر ببناء وانشاء قصر الخلد خارج أسوار المدينة المدورة على الضفة الغربية لدجلة .

ان أوامر المنصور بنقل الاسواق التي كانت داخل أسوار المدينة المدورة الى خارجها لاشارة أخرى الى ادراك الخليفة بضرورة الحيطة والحذر . وتشير بعض مصادرنا التاريخية والجغرافية الى رواية غريبة ومشكوك في صحتها مفادها أن السفير البيزنطي لدى المنصور الذي زار بغداد هو الذي أشار على الخليفة بنقل الاسواق الى الخارج ذلك لأنه من السهولة على الجواسيس أن يدخلوا أسوار المدينـة الى السوق على هيئـة تجار ، ولكننا نعتقـد بأن سبب نقل السوق يعود الى الاضطرابات ذات الصبغة الموالية للعلويين التي أثارها المحتسب أبو زكريا في أسواق بغـداد حيث اعتقل وصلب بعـدئذ ، وحينذاك قرر الخليفـة اخراج أهل السوق خارج سور المدينة . كما وان الخليفة ربما كان مدفوعا بالحذر من تواجد جواسيس

البيزنطيين وغيرهم من أعداء الدولة داخل المدينة • ومهما يكن من أمر فان الخليفة سمح بفتح حوانيت للبيع في شوارع المدينة وسككها وكذلك في الأرباض • وكانت هذه الحوانيت بطبيعة الحال صغيرة لأنها كانت محلية تخدم سكان شوارع معينة أو محلات ولكن السوق الكبير كان في الكرخ وهو سوق تجاري قديم طمست معالمه ثم انتعش ببناء مدينة بغداد في ضواحيه ، وكان لكل حرفة ولكل تجارة مكانها الخاص بها في سوق الكرخ • وبنى الخليفة كذلك مسجدا خاصا بالسوق حتى لا يضطر السكان الى الدخول الى المدينة المدورة فيأيام الجمع ليؤدوا صلاة الجمعة •

وعلى ذلك فان المنصور في اختياره لموقع بغداد لم يكن كما استنتج بعض المؤرخين مدفوعا برغبته للتقرب من ايران أو التودد الى الفرس • فقد كان من أهم خصائص سياسة المنصور هو حفظ التوازن بين العناصر المختلفة التي تتكون منها الدولة دون أن يتعدى أحدها حدوده ليطغى على الآخر •

تصميم المدينة وبناؤها :

لقد عالج الكثير من المؤرخين بناء بغداد وخططها ، ولعلنا نكتفي هنا أن نذكر : ماركيس وسوفاجيه وكاهين وكروزويل وماسينون وهيرسفيلد وليسترنج والدوري ، واحدث من تكلم في هذا الموضوع الدكتور مصطفى جواد ، واحمد سوسة والدكتور كرونبوم والدكتور لاسنر ، والدكتور صالح احمد العلي •

وسنحاول هنا ان نعرض بعض المظاهر الخاصة بالمدينة التي تحتاج الى التأكيد أو التوضيح • فلقد بنى العرب المسلمون أمصارهم الجديدة في البلاد المفتوحة مثل الكوفة والبصرة والفسطاط والجابية والقيروان • وكانت هذه الامصار مدنا عسكرية بالدرجة الاولى ، وهي المأوى الطبيعي للمقاتلة العرب ، ومحل سكنهم ، ولذلك كانت عربية في صفتها ، واستطاعت بحضارتها العربية الاسلامية — التي انتعشت فيها فيما بعد — أن تقف أمام

التيار الحضاري الذي وجده المسلمون في البلاد المفتوحة وبالرغم من أنهم تأثروا به دون شك فقد صبغوه بصبغة اسلامية وطوروه ضمن هذا الاطار الاسلامي .

ولقد شهد العهد الاموي تطورا جديدا في بناء المدن الاسلامية ، فكانت الرملة مثلا عاصمة ادارية بينما كانت واسط قلعة عسكرية للجند السوري في العراق ، كما أنشئت مدن أخرى للنزهة والراحة .

أما في العهد العباسي فان السلطة العباسية كانت مرتبطة ارتباطا كبيرا بالجيش والموظفين ، ولهذا فان فكرة انشاء بغداد ثم سامراء من بعدها كانت تهدف الى أن تكون المدينة الجديدة عاصمة تضم دواوين الموظفين ومعسكرا يضم الجند .

على ان بغداد القلعة الحربية في عهدها الأول شملت البلاط وقصر الخليفة ودواوين الحكومة المركزية داخل الأسوار ، ووزعت الأرباض والقطائع على الكتل والجماعات والشخصيات المختلفة التي ضمت الكثير من أنصار الدعوة بالاضافة الى جماعات أخرى كالحجازيين مثلا ممن لم يتحمسوا للدعوة العباسية . ولذلك فقد سكن بغداد وحواليها عناصر بشرية ذات ثقافات مختلفة ، ولكن المنصور استطاع ان يسيطر على هذه الكتل وذلك نظرا لتمسكه بالعروبة والاسلام ، وتشجيعه النعرة العربية الاسلامية في البلاط وباعتماده على أنصار الدعوة (أهل خراسان) الموالين للبيت العباسي والذين كما تقول عنهم احدى الروايات التاريخية « لم تتقسمهم الأهواء والبدع »(٤).

ان هذا التنوع السكاني والتناشز بين ثقافات هؤلاء السكان أعطى بغداد صبغتها التي يمكن أن نطلق عليها (متروبوليس) ولكن هذه الحضارات ما لبثت بمرور الزمن أن تطورت الى حضارة متناسقة ازدهرت بفضل الثراء الذي انصب على بغداد لكونها مركز الدولة الجديدة حيث تصل اليها واردات الضرائب التي تجبى في الاقاليم المختلفة . وكذلك بفضل الأمن والاستقرار .

والملاحظ ان المنصور في بنائه بغداد كان مدفوعا بضرورة عملية أكثر من رغبة ارستوقراطية للتشبه بالأباطرة القدماء • وهو لم يعط المدينة اسما فخما وانما سماها (مدينة السلام) • تفاؤلا بما ورد في القرآن الكريم عن الجنة « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » • « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم »[٥] •

وهناك تفاسير أخرى[٦] ولكن التفسير الذي ذكرناه هو الراجح حيث يؤكده ان القصر الذي بناه المنصور بعد ذلك هو (قصر الخلد) وهي كلمة استعملت في القرآن كذلك ، على ان هذه التسمية بقيت رسمية واستمر الناس يسمون المدينة باسماء مختلفة منها بغداد وبغدان والمنصورية والزوراء [٧] •

وتظهر صفة المنصور من حيث كونه خليفة عمليا في الاقتصاد في النفقات قدر المستطاع فلم يحفل كثيرا — كما في المدن الرومانية والاغريقية — بالحدائق العامة والتماثيل وساحات السباق • فلقد كانت نفقات الجند باهظة • وكان على الخليفة ان يقتر في الأمور الأخرى • وأكثر من ذلك فان الخليفة لم يشعر بأن من واجبات الحكومة انشاء الابنية العامة ما عدا القنوات الحيوية التي أنشئت بعد فترة ليست بالقصيرة من بناء المدينة • حتى الجوامع الرسمية في بغداد كانت أربعة وهي قليلة • ولذلك نرى أن المنشآت التي تخدم الشعب كانت قليلة أو شخصية يقوم بها الاثرياء باعتبارها عملا دينيا • فكان هؤلاء يبنون الحمامات والمساجد التي تقوم بخدمات كثيرة ، فهي محل للتدريس ومأوى لمن لا نزل له حيث قد يجد فيها طعاما ، وفيها كذلك حمامات ومغاسل وفيها يقيل الناس ويرتاحون ، وفيها تجرى عقود الزواج ومجالس العزاء على ان عدم الاهتمام بالبهرجة والزخرفة والتجميل كان من التقاليد العربية الموروثة حيث لم يهتم العرب الا بالجمال الصوتي من شعر ونثر •

ولم يضع المنصور أسس البناء الا سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م حينما اجتمع

لديه عدد كاف من المهندسين والعمال ، ومقدار هائل من المادة البنائية •
وكان بناؤها على الضفة اليمنى من دجلة في الزاوية المتكونة بين مجرى نهر الصراة ومجمع دجلة شمالا • وكانت المنطقة قبل بنائها مزرعة للبغداديين تسمى المباركة •

وقد توقف البناء بسبب ثورة ابراهيم العلوي في البصرة حيث انشغل المنصور بالثورة وترك مولاه سلام يحرس مادة البناء ، ويروى ان سلام لما سمع باقتراب ابراهيم من الكوفة حرق معظم المادة البنائية لئلا تقع في يد ابراهيم • ولذلك تأخر اكمال البناء الى سنة ١٤٩ هـ •

ولما كان العمال والبنائين يحتاجون الى أماكن لسكناهم فان المناطق المحيطة ببغداد تطورت قبل تطور المدينة المدورة نفسها ، وهكذا فان تطور بغداد يختلف عن تطور الأمصار حيث كان تطور بغداد من الخارج نحو الداخل وليس العكس أي Concentric بمفهوم الهندسة المعمارية للمدن •

ورغم ادعاء اليعقوبي بأن بغداد هي أول مدينة خططت دائريا فان المؤرخين وعلماء الآثار ذكروا عددا من المدن ذات الشكل الدائري قبل بغداد ، وسواء أكان أبو جعفر المنصور قد تأثر باحدى هذه المدن أم لم يتأثر فان التصميم الدائري لبغداد ذو مغزى عسكري استراتيجي حيث يسهل الدفاع عن الموقع من كافة الجهات اذا كان دائريا ذلك لأن أية نقطة منه تبعد عن المركز بعدا متساويا •

ولعل أمر المنصور بنقل أبواب مدينة واسط الأموية ، وبنقل باب آخر من الشام كان ذا مغزى عميق ، ذلك لأنه يرمز الى الانتصار والسيطرة على مدن الأعداء • كما وان بناءه القبة الخضراء ربما كان يهدف الى منافسة الهندسة المعمارية وطمس معالمها •

ويذكر الطبري (أ) المبالغ الكاملة التي صرفها المنصور لبناء المدينة وهذه

(أ) الطبري جـ ٣ ص ٦٣ •

المبالغ اضافة الى رواتب الجند والموظفين والاداريين لتسلط أضواءا ساطعة على الثروة الكبيرة لدى العباسيين في عهدهم الذهبي •

ولقد فصلت روايات المؤرخين في خطط المدينة التي كانت تتألف من :

الخندق : الذي كان يدور حول المدينة وكان عميقا تحده من الداخل مسناة بنيت بالآجر بصورة متقنة ويعقبها سور بسيط يسمى (سور المسناة) •

الفصيل : وهو يلي المسناة وعرضه حوالي ٥٠ مترا ، وهذا هو الفصيل الخارجي وكان خاليا من الدور وغرضه الدفاع عن المدينة •

السور الأعظم : وقد أنشيء باللبن الفطام وله أبراج كبيرة وشرفات مدورة وكان عدد الأبراج بين باب وباب ٢٨ برجا عدا الابواب بين باب الكوفة وباب البصرة فكانت ٢٩ برجا وكان ارتفاع السور حوالي ٣٠ مترا اما عرض الاساس فهو ٤٥ مترا يقل تدريجيا كلما ارتفع •

الفصيل الداخلي : وعرضه حوالي ١٥٠ مترا ، وفي هذا الفصيل الشوارع والسكك والدور •

السور الثالث أو (الداخلي) : وهو عبارة عن حاجز يفصل الرحبة العظمى التي تضم القصر والجامع والدواوين وقصور اولاد الخليفة والحرس والشرطة •

الأبواب : وكان للمدينة أربعة أبواب هي : باب خراسان ، وباب الكوفة، وباب البصرة ، وباب الشام ، وقد عين الخليفة عددا من ثقاته للاشراف على البناء بين هذه الابواب • فبين باب الكوفة والبصرة القائد المسيب بن زهير الضبي ، والمولى الربيع بن يونس ، والمهندس عمران بن وضاح •

وبين باب الشام والكوفة : سليمان بن مجالد ، وواضح مولى المنصور ، والمهندس عبد الله بن محرز •

وبين باب الشام وجسر دجلة : المولى غزوان والمهندس الحجاج بن يوسف •

وبين باب خراسان وقطربل:هشام التغلبي والمولى عمار بن حسين بن حمزة، المهندس شبيب بن كثير .

أما الطريق الذي يسلكه الداخل الى الرحبة الداخلية العظمى حيث البلاط والدواوين فهو طويل يبدأ :

١ ـ بالخندق الذي مليء بالماء من نهر كرخايا .
٢ ـ ثم يمر من باب دهليز .
٣ ـ الى رحبة مربعة مفروشة بالصخر وفي كل من جانبي الرحبة باب يؤدي الى الفصيل الخارجي .
٤ ـ ثم يخترق السور الأعظم في دهليز عليه بابان كبيران من الحديد .
٥ ـ ثم يصل الى رحبة فيها طاقات معقودة بالآجر والجص عددها ٥٣ طاقا يتوسطها طريق عرضه ٨ أمتار وفيها منازل الغلمان والرابطة والشرطة ، وكان فيها الأسواق قبل أن يحولها المنصور الى الكرخ .

أما السجن الكبير فقد بني في الربع الجنوبي بين باب البصرة وباب الكوفة ، وسميت السكة باسمه .

أما الرحبة المركزية العظمى نفسها ففيها باب الذهب ذو القبة الخضراء وهو المقر الرسمي للخليفة المنصور وللخلفاء من بعده . والى جانب القصر المسجد الجامع ثم هناك دار الحرس في الجهة الشمالية الغربية ، وهناك سقيفة لصاحب الشرطة وأخرى لصاحب الحرس . ولذلك لم يكن حول قصر باب الذهب بناء ، وكانت منازل الامراء الصغار من اولاد الخليفة تدور حول الرحبة وكذلك الدواوين .

فقد كان لابد من انشاء دوائر لادارة المدينة ، ويذكر اليعقوبي الدواوين التالية في داخل المدينة :

ديوان الخراج ، ديوان الرسائل ، ديوان الحوائج ، ديوان النفقات ، ديوان الخاتم ، ديوان الجند ، ديون الحشم .

كما وتذكر بعض الروايات ان المنصور أقطع رؤساء بعض هذه الدواوين قطائع في داخل المدينة المدورة في الرحبة ذاتها • على ان هذا لا يعني بأن كل أصحاب الدواوين كانت لهم قطائع في داخل أسوار المدينة قريبا من دواوينهم • فقد ذكرت الروايات التاريخية قطائع أصحاب الدواوين في الارباض حول المدينة أي خارجها ، وكان هناك دواوين خارج المدينة المدورة قـرب قطائع رؤسائها خاصة في جنوبي المدينة ويشير الاستاذ الدكتور صالح العلي الى أن الدواوين كانت حسب وظائفها ثلاثة أصناف :

١ ــ الدواوين المسؤولة عن استلام الواردات أو تدبير أمر المراسلات وهي بيت المال وديوان الخراج وديوان الرسائل •

٢ ــ دواوين تدبر أمر البلاط وهي ديوان الخاتم والحوائج والأحشام والنفقات وخزانة السلاح ومطبخ العـامة • ويتصل بها الشرطة والحرس والحاجب والوزير •

٣ ــ دواوين تدبر أمر المصر وتؤمن الأمن والعدالة مثل ديوان الصدقات والقاضي والمحتسب والشرطة •

ويضيف الدكتور العلي بأن لكل ديوان عدد من الموظفين لا نعرف عنهم الا القليل ، اما رواتبهم فكانت تتراوح بين ٣٣٠ درهم شهريا لكبار الكتاب، و ٣٠ درهم شهريا لصغار الكتاب • أما القاضي فيذكر ان راتبه كان حوالي ٣٦٠ دينار سنويا • على ان لرؤساء الادارة مخصصات وعلاوات خاصةاضافة الى رواتبهم • ولكن رواتب الجند كانت ترهق الخزينة فكان المقاتل من اهل خراسان يأخذ ثمانين درهما ، ثم خفضت في عهد ابي العباس وعاد المنصور فزادها الى ثمانين حين أرسل الخراسانية لقمع الثورة العلوية • ويروى صاحب أخبار العباس بأن النقباء الخراسانيين وكبار القواد كانوا يستلمون راتباشهريا يتراوح بين ١٠٠٠ ــ ٢٠٠٠ ولمن دونهم من ١٠٠ ــ ١٠٠٠ •

بناء الرصافة وأسبابه : لقد بنى المنصور أول الأمر قصرا خاصا بالمهدي

خارج المدينة المدورة وفي الضفة الغربية من دجلة جنوبي بغداد وقد عمرت هذه المنطقة وعرفت باسم (الشرقية) •

وفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م أنشأ المنصور معسكراً على الضفة الشرقية لدجلة سمي (معسكر المهدي) حيث كان تحت اشراف محمد المهدي ، وقد توسع هذا المعسكر ببناء (الرصافة) سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٩ م • التي شملت قصر المهدي والمسجد الجامع ، وقد انتقل المهدي بحاشيته ومجلسه من الشرقية الى الرصافة التي أصبحت مقره •

أما الاسباب التي دعت المنصور الى بناء الرصافة فيمكن ارجاعها الى مايلي:

أولا : تؤكد المصادر التاريخية ادراك الخليفة منذ البدء الامكانيات الكبيرة الموجودة في الجانب الشرقي لدجلة وخاصة الامكانيات الاستراتيجية منها ، فيروي الطبري ان الخليفة وافق بعض صحابته على رأيهم بضرورة وضع جزء من الجيش في الجانب الشرقي حتى يكون بالامكان الاستفادة والاستعانة به في حالة حدوث تمرد أو ثورة في المدينة المدورة وكان العكس صحيحا • كما وان الرصافة وما فيها من جند يمكن اعتبارها من الناحية العسكرية موقفا دفاعيا مهما عن بغداد من الناحية الشرقية •

ثانيا : ارتبط بناء الرصافة ارتباطا قويا بجهود المنصور من اجل رفع شأن ابنه محمد المهدي تمهيدا لتعيينه وليا للعهد • فلقد استخدم مختلف الوسائل لتحقيق هذا الهدف حيث ارسل ابنه المهدي واليا على خراسان ولقمع الاضطرابات فيها وحين رجوعه استقبل استقبال الابطال المنتصرين • وفي نفس السنة أعلن المنصور عن تعيينه وليا للعهد بعد ان أفلح باقناع عيسى بن موسى ولي العهد الشرعي على التنازل عن ولاية العهد الاولى بالتهديد تارة والهبات والاموال تارة أخرى • وقد أوعز المنصور لأهل خراسان (أنصار الدعوة) وللهاشميين القيام بمساندة ترشيح المهدي كما وامر عماله في الكوفة والبصرة والشام بارسال الوفود الى بغداد للمشاركة في الاحتفالات باعلان ولاية العهد لابنه •

وهكذا فان الاحتفـال الرسمي الكبير بعودة المهدي من خراسان ثم الاحتفال الشعبي ببيعته وليا للعهد ، وتنازل عيسى عن ولاية العهد الاولى ومجيء الوفود من الاقاليم ثم بناء الرصافة كلهـا حوادث متتالية مرتبطة تهدف الى رفع منزلة المهدي رسميا وشعبيا ولتأكيد خلافته بعد المنصور •

ثالثا : رغبة المنصور في اسكان العدد المتزايد من الناس الذين بدأوا يفدون الى عاصمة العباسيين ، والعدد الكبير من الموظفين ورجال الادارة والجيش حيث لم تعـد ارباض المدينة المدورة وقطائعها تكفي لايوائهم ، ولذلك انشأ المنصور الرصافة للمهدي واقطع الناس والموظفين حولها القطائع والارباض ، ولهذا نلاحظ بأن كثيرا من رجال الادارة والجيش اقطعوا في الجانب الشرقي لا في الجانب الغربي •

وكان جامع الرصافة الكبير أول بناء شيد فيها سنة ١٤٣ هـ/٧٦٠ م وهو أوسع من جامع مدينة المنصور وأكثر جمـالا • ثم بنى قصر المهدي بجوار الجامع ، ومنحت القطائع حوله • وقد انتقل المهـدي الى الرصافة حين تولى الخلافة وأصبح المقر الرسمي للخليفة حيث اتمها سنة ١٥٩ هـ/٧٧٦م•

وفي شمالي الرصافة تقع مقبرة الخيزران (حيث سميت بهذا الاسم فيمابعد) نسبة الى زوج المهدي • وفيها دفن الامام ابي حنيفة الذي ساعد المنصور في بناء المدينة المدورة ، ومات حوالي سنة ١٥٠ هـ/٧٦٧ م •

وتقع في شمالي الرصافة أيضا محلة الشماسية نسبة الى باب الشماسية ، وفيها كانت قطائع البرامكة حيث بنى يحيى بن خالد (قصر الطين) وبنى جعفر والفضل قصرين يعرفان بهما • وبنى المهندس اليهودي سند بن علي المنجم كنيسة لليهود هناك كما كانت هناك أيضا دار معز الدولة البويهي •

وقد عقد الخليفة المنصور جسرا فوق دجلة ليسهل الاتصال بين المدينة المدورة والرصافة ، وهذا هو الجسر الكبير • ويذكر الخطيب بأن الخليفة أمر بانشاء ثلاثة جسور اضافية اخرى منها واحد للنساء ، وآخر لاستعمال

الخليفة ورجال بلاطه وحاشيته ليسهل انتقال الخليفة في حالات الاضطرار •

ومن محلات الجانب الشرقي الشهيرة (محلة باب الطاقة) وهي جزء من قصر اسماء بنت المنصور ، ثم صار زمن الرشيد مجلسا للشعراء • ومحلة (دار السلام) نسبة الى الاسرى الروم الذين سكنوا هناك زمن الخليفة المهدي حيث شيدوا كنيسة وديرا لهم • ومحلة (سوق الثلاثاء) وهو موقع قديم يعود تاريخه الى ما قبل تأسيس الرصافة بكثير وقد ازدهرت الى جواره محلتا دينار الكبرى والصغرى على ضفاف دجلة وهما تنسبان الى دينار ابن عبد الله من موالي الرشيد ومن كبار القادة المأمون •

وقد اقطع الخليفة عددا من الشخصيات ورجال الجيش والادارة قطائع في الجانب الشرقي منهم :

من الموالي : الربيع ، منصور ، سوار ، العلاء ، ابو غسان ، حمويه ، نزار ، وبدر •

من العرب : خازم التميمي ، مسلم الباهلي ، سفيان المهلبي ، عبد الكريم ابن عبد الحميد الخطابي ، جبريل بن يحيى البجلي ، محمد بن فروخ الأزدي، اسار بن عبد الله الخزاعي •

ومن الموظفين : صاحب المظالم ، صاحب خـزانة السلاح وهو مسلمة الوصيف ، وصاحب الدواب •

بناء بغداد وردود الفعل في المجتمع : كان العرب لم يزالوا يستهجنون فكرة انعزال الخليفة عن الناس ، وابتعاده عنهم وراء اسوار المدينة أو قصره الذي يحرسه الجند ، وكان المنصور مدركا لذلك تماما حيث قال مرة مؤكدا رغبته في الاختلاط بالناس والتعرف على مشاكلهم (لولا يد خاطئة لتجولت بينكم) •

على ان الزمن تغير ووجد الخليفة المنصور ان بناء مدينة محصنة ضرورة

سياسية ملحة اذا ما أراد الخليفة أن يحمي سلطانه وبتعبير آخر ويبقيه في أيدي العباسيين ٠

وكان رد الفعل خاصـة في الحجاز غير ودي فقد ندد الثائر محمد النفس الزكية بالمنصور ووصفه بالطاغية عدو الله الـذي ابتنى القبة الخضراء (مشيرا الى قصر الذهب) كتقليل من أهميـة الكعبة وشبه النفس الزكية المنصور بالفرعون الذي قال (أنا ربكم فاعبدون)[٨] وقد تكون هـذه الرواية ضعيفة في نسبتها الى النفس الزكيـة عـلى انها تعكس مشـاعر المجتمع في تلك الفترة حيث تصف رواية اخرى ما ذكّر به احد الاتقياء من العامة الخليفة حين التقى به في الكعبة حيث قال :

« يا أمير المؤمنين ٠٠٠ ان الله استرعاك أمر عباده فأغفلت ٠٠٠ امورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجـر وأبوابا من الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك عنهم فيها » ٠

واذا كان المنصور قد ابتنى مدينة ليسد بها حاجات عصره الملحة من توفير المكان الامين للجند والملائم لرجال ادارته دون اسراف أو ترف وبذخ فان الخلفاء الذين أعقبوه اسرفوا في الصرف على بناء المدن والقصور وزخرفتها وتوفير وسائل الراحة والتسلية فيها ، ونخص بالذكر هنا الرشيد والمتوكل من العباسيين الاوائل ٠

سكان بغداد وتكتلاتهم السياسية :

قال الجاحظ في معرض مقارنته الـدولة العباسية بدولة الامويين : « دولة بني العباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان اموية عربية » ٠

وقـد عبر عن نفس الفكرة بعض المؤرخين المسلمين الآخـرين فقال المسعودي : « انه باستخدام العباسيين للموالي سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها » ٠ وقال المقـريزي بنفس الرأي حينما تكلم عن

استخدام العباسيين للموالي والغلمان : « ان المنصور أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فامتثلت ذلك الخلفاء من بعـــده » •

وقد حذا بعض المؤرخين المحدثين حـــذو هذه الفكرة فأكدوا بأن انتصار العباسيين من الناحية السياسية يعني انتصار الفرس وسيطرتهم على مرافق الدولة ، حتى سمى بعضهم العصر العباسي الاول (عصر النفوذ الفارسي) •

ان هذه الآراء القديمة والمحدثة حسب اعتقادنا مبالغ فيها ، فالظاهر ان ما عناه الجاحظ هو تغلغل المظاهر الحضاريـــة الفارسية في الدولة الجديدة بصورة أوسع وأكثر سرعة مما كان عليه في عهد الامويين ، واذا ما علمنا بأن اصطلاح « أهل خراسان » انما كان يعني سكان خراسان من العـــرب المقاتلة والمستقرون وكذلك الفرس من مسلمين وغير مسلمين ادركنا بأن ما قصده الجاحظ من « اعجمية خراسانية » انما يعني بأن دولة العباسيين أممية اسلامية ، وان مفهوم الاسلام بالنسبة للعباسيين كان يتسع لكل العناصر التي دخلت الدين الجديـــد ، ولا يقتصر على العرب فقط • أما ما ذكره المسعودي والمقريزي وغيرهم من المؤرخين فانه ينطبق على فترة متـــأخرة من العصر العباسي بدأت باستخدام المعتصم (٢١٨ هـ/٨٣٣ ـــ ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م) للاتراك حيث ازدادت سلطتهم في العصر العباسي الثاني حين قتلوا المتوكل (٢٤٧ هـ/٨٦١ م) •

فسلطان العرب لم يزل بزوال الدولة الاموية ، لأن العرب أنفسهم كانوا القوة الفعالة في الثورة العباسية التي اسقطت الخلافة الاموية • وتقلد العرب مناصب في العهد العباسي الجديد ، فكان منهم الولاة والعمال وقواد الجيش، وامراء الجهاد والحج ، ومنهم صحابة الخليفة واغلب مستشاريه ومنهم القضاة كما وان الخلفاء العباسيين كانوا عربا هاشميين ، وكانوا يفتخرون بذلك في

محافلهم • وبقيت القبائل العربية ذات أثر كبير في السياسة والجيش والمجتمع• وظلت اللغة العربية لغة السياسة والثقافة والادب والادارة •

واذا تمعنا في ظروف انشاء بغداد وتطورها ، رأينا ان الجماعات التي استوطنتها كانت مزيجا من العناصر المسلمة عربية واعجمية ، والمهم في الامر هو ان هذه الجماعات كانت ترتبط برباط واحد يشدها الى الدولة الجديدة الا وهو رباط الولاء للخليفة لا الولاء للقبيلة أو العنصر أو الاقليم •

كما وان تمحيص الروايات التاريخية المنتشرة يكشف لنا عن مدى ميل الخلفاء للعرب وتشجيعهم للروح العربية في مجالسهم • ومن هذا المنطلق فان على الباحث أن يحكم على الكتل والجماعات المختلفة في البلاط ، لا من خلال منظار « عنصري » أو « اقليمي » بل من خلال منظار المصالح والظروف حيث ان مواقف هذه الكتل بالنسبة للخليفة وبالنسبة لبعضها البعض كانت تتغير بتغير مصالحها وظروفها السياسية •

ان قوائم أسماء الذين منحوا قطائع أو ارباض أو سميت بعض السكك في بغداد من قبل المنصور بأسمائهم تدل على ما ذكرنا دلالة واضحة • فان سكان بغداد الاوائل كانوا مزيجا عنصريا واقليميا واجتماعيا كبيرا ، الا ان صفتهم المشتركة هي الولاء للمنصور حيث ان الخليفة لم يمنح هذه الاراضي الا للأتباع المخلصين أولا ثم للذين وثق بهم أو حاول كسبهم ، ولهذا فان هذه القوائم تجهزنا بمعلومات موثوقة عن تركيب العناصر المؤيدة للعباسيين في الصدر الأول من الدولة الجديدة ، ويمكن تقسيمهم على النحو التالي :

١ ـ **بنو هاشم** : لم يكن اصطلاح (بني هاشم) محددا أو واضحا ، بل كان مرنا مثل اصطلاح (أهل البيت) في تلك الفترة المتقدمة • على انه في الفترة العباسية أخذ يطلق على العباسيين فقط الذين اعتبروا أنفسهم بني هاشم ، أما العلويين فكان يطلق عليهم اسم (الطالبيين) •

وقد شغف أبناء البيت العباسي بالسياسة في تلك الفترة وخاصة ما يخص

منها ولاية العهد ، وكثيرا ما استغل الخليفة الحاكم اسم (بني هاشم) لتسويغ اجراءات أو أعمال كان يرغب في تنفيذها مثل تعيين ولي العهد أو تنحيته ، حيث كان الخليفة يحتج بأن الهاشميين أجمعوا على اختيار شخص ما وليا للعهد ولا بد لذلك من تعيينه كما حدث ذلك في عهد المنصور .

وقد كان بعض الهاشميين من ذوي الطموح السياسي الواسع حتى ان قسما منهم كان يأمل في الوصول الى الخلافة بدرجة جلبت شكوك الخلفاء ، فقد شك المنصور بأعمامه داود بن علي وصالح بن علي واسماعيل بن علي وعبد الله بن علي . أما الاخير فقد ثار في عهد المنصور سنة ١٣٦ هـ ٧٥٤ م ولكنه اغتيل سنة ١٤٧ هـ ٧٦٤ م ، وشك المهدي بعمه عبد الصمد بن علي وسجنه حتى سنة ١٦٦ هـ ٧٨٢ م . ومن الواضح انه اعتبره خطـرا على خلافته وعلى أبنائه من بعده . ولم تكن شكوك المهدي في غير محلها ذلك لأن عبد الصمد هذا ثار مع أخيه عبد الله ضد المنصور في الشام . وكان اسحق بن الفضل الهاشمي القرشي موضع شكوك المهـدي كذلك حيث ان اتصالاته بيعقوب بن داود وزير المهدي جعلت الخليفة يستدعيه ويستجوبه مع ابن داود الذي أقصي عن منصبه واودع السجن . أما هارون الرشيد فقد حذر عبد الملك بن صالح بن علي بالعبارة التالية « اما والله لولا الابقاء على بني هاشم لضربت عنقك »[٩] .

وعلى الرغم من ان العباسيين كان يجمعهم هدف واحد الا وهو الحفاظ على الخلافة العباسية فقد كان هناك ــ على عكس ما يظنه بعض المؤرخين ــ تنافس خفي يظهر أحيانا ويخفت أحيانا أخرى بين فرعي بني العباس الرئيسيين (ابناء عبد الله العباسي) وابناء (محمد بن علي بن عبد الله العباسي) والفرع الثاني هو الفرع الحاكم . ويروى في هذا الشأن ان المنصور جمع الهاشميين ليختار من بينهم من يوجهه لحرب ابراهيم الحسني الثائر في البصرة فاقترح عليه أعمامه من أولاد علي العباسي أن يرسل موسى بن عيسى بن موسى ، فقال الخليفة « والله يا ولد علي بن عبد الله بن العباس ما انصفتم وجهت أباه

واوجهه فأكون قد وجهت رجلان من ولد محمد بن علي (العباسي) فقالوا له: وجه عبد الله بن علي واصطنعه ، فقال لو دخل ابراهيم بسيف مسلول لكان آمن عندي من عبد الله بن علي)[١٠] ٠

ورغم هذه المشاحنات التي نادرا ما كانت حادة فقد استطاع الخلفاء العباسيون من الحفاظ على وحدة البيت العباسي ٠ والواقع ان الخلفاء العباسيين اعتمدوا بصورة رئيسية في العصر الاول من الخلافة العباسية على امراء عباسيين في الادارة وفي السياسة والجيش ٠

وقد امتدح ابن المقفع في (رسالته في الصحابة) الموجهة الى المنصور قابلية العباسيين واستقامتم موصيا الخليفة بهم خيرا ٠ ويؤكد الجاحظ كذلك بأن رجال البيت العباسي كانوا في الصدارة من حيث المسؤولية العسكرية والادارية فيقول : (ولا لقي تلك الحروب في عامة تلك الايام الا رجال ولد العباس بأنفسهم ولا قام بأكثر الدولة الا مشايخهم كعبد الله بن علي وصالح بن علي وعبد الصمد بن علي) كما وتظهر الروايات التاريخية عيسى ابن موسى العباسي من أبرز الشخصيات العباسية كفاءة عسكرية وادارية ، وقد يكون من النافع أن نطيل بذكر الامثلة الكثيرة على اننا نكتفي بالقول بأن الاقاليم المهمة كالحجاز والبصرة والشام والجزيرة وخراسان ومصر كانت قد وضعت في هذه الفترة المبكرة تحت ادارة ولاة عباسيين أو أنصار موثوق بهم[١١] ٠ وكان الخليفة يستشيرهم في المسائل المهمة ، فكان داود بن علي هو الذي أشار على ابي العباس بضرورة استشارة ابي مسلم قبل قتل أبي سلمة الخلال ٠ كما وشغل رجال عباسيون مثل عيسى بن موسى دورا كبيرا في اقناع ابي مسلم بمقابلة المنصور قبل العودة الى خراسان سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٤ م ٠ وكان بنو هاشم أول من أوصى بهم المنصور ابنه وولي عهده محمد المهدي « واوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتقدمهم وتكثر الاحسان اليهم وتعظم أمرهم وتوطيء الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزك عزهم وذكرهم لك » وكان العباسيون يحضرون مجالس المنصور في البلاط وكانت

علاقته بهم ودية وطيبة لدرجة ان بعضهم كان لا يتحرج اذا لم يلبس الملابس الرسمية (وهو السواد) عند مجيئه الى البلاط • ومن الطبيعي انهم كانوا على درجات في صلاتهم بالخليفة فكان عيسى بن علي ومحمد بن سليمان وعيسى بن موسى في أيامه الاولى من المقربين الى الخليفة المنصور الذي اعتمد عليهم في الملمات • ويشير الهيثم بن عدي الى ان المنصور كان أول خليفة يوزع ١٠ ملايين درهم بين أعمامه لكل منهم مليونا واحدا • وقد خصص المهدي لكل منهم عطاءا من ٥٠٠ درهم ووزع عليهم القطائع على جانبي نهر الصلة الذي سمي نتيجة ذلك بنهر الصلة •

أما في مدينة بغداد المدورة فقد سمح الخليفة المؤسس المنصور لأبنائه الصغار فقط بالسكن داخل المدينة ، وهناك في داخل المدينة أيضا سكة تحمل اسم العباس بن محمد عم المنصور • وقد أعطى المنصور عددا من القطائع لرجال البيت العباسي خارج المدينة منهم عبد الوهاب بن ابراهيم الذي امتلك قطيعة مقابل باب الكوفة على ضفة نهر الصراة ، والعباس ابن محمد حيث كان عنده مزرعة (العباسية) ، وعيسى بن علي امتلك قطيعة جنوب المدينة • أما أبناء الخليفة سليمان وصالح وجعفر فقد حصلوا على قطائع في شرق المدينة على ضفة دجلة ، أما المهدي فقد كان عنده قطيعة (الشرقية) في الجنوب الشرقي من المدينة ، كما بنى المنصور سنة ١٥١ هـ/ ٧٦٩ م الرصافة لغرض ايواء ولي عهده المهدي وصحابته واتباعه •

٢ ــ **الصحابة** : لقد كان الصحابة من أصحاب الخليفة المقربين ، ويلاحظ اليعقوبي انهم كانوا بصورة رئيسية من قبائل عربية مثل قريش وربيعة واليمن، وان بعضهم من الانصار (سكان المدينة المنورة) وكان الصحابة يظهرون في البلاط جنبا الى جنب مع أهل البيت والموالي والقواد مما يدل على أهمية منزلتهم •

ويصفهم ابن المقفع بقوله: «ويذكر أمير المؤمنين بصحابته وأعوانه منهم السنة

رعيته وأعوان رأيه والخاصة من عامته » ، ثم يهاجم ابن المقفع الانتهازيين الذين استطاعوا الانسلال الى البلاط والحظوة بصحبة الخليفة قبل المنصور « ويذكر فساد الصحابة قبله وكيف ان الاخيار بدأوا يهربون من صحبة أمير المؤمنين في السابق أي قبل خلافة أمير المؤمنين لأنها صارت محلا للاشراء »٠

أما أهم الاعمال التي كانوا يقومون بها كصحابة للخليفة فهي على لسان أحد الصحابة المنصور : مرافقة الخليفة واستقبال الوفود التي تفد على البلاط وقيادة الحملات ضد الثوار والاعداء ٠

وقد كان لأبي العباس عدد من الصحابة منهم أبو بكر الهزلي ، وخالد ابن صفوان ، وعبدالله بن شبرمة ، وابراهيم بن جبلّة الكندي ٠ ويظهر ان التقليد كان يقتضي أحيانا من الوالي ارسال عدد من أشراف البلد المعروفين بحسن حديثهم وفصاحتهم الى بلاط الخليفة ، فقد أرسل صالح بن علي والي مصر في عهد ابي العباس عددا من رجالات العرب البارزين مثل الاسود ابن نافع الفهري ، وعبد الرحمن المعافري وعياض بن حربية الكلبي ، كصحابة للخليفة ، ويقع نظر الباحث على أسماء عديدة من صحابة ابي العباس في الكتب التاريخية والادبية ، فيشير الكوفي الى اثنين منهم هما : فراس ابن جعدة المخزومي ، وعبد الله بن سعد السعدي ، بينما يقول مصعب الزبيدي بأن طلحة بن عبد الرحمن كان من صحابة الخليفتين ابي العباس والمنصور ٠

وفي عهد المنصور أصبح دور الصحابة أكثر وضوحا وفعالية ٠ ويذكر معن بن زائدة الشيباني وهو أحد صحابة الخليفة ان عددهم كان ٧٠٠ صحابي ، وكانوا يدخلون البلاط بنظام أسبقية معين حسب منزلتهم ٠ وتحفل المصادر بذكر أسمائهم ومنهم : اسحق بن مسلم العقيلي ، عيسى ابن عبد الله النوفلي ، ابن عياش المنتوف ، حاجب بن قدامة الحنفي ، الحجاج بن ارطاة النخعي الكوفي ، عبد الله بن الربيع الحارثي ، معاوية بن بكر الباهلي ، جعفر بن حنظلة البهراني ، هارون بن سعيد بن عقبة ، ابو بكر

الهزلي ، أحمد بن ابراهيم ، الشرقي بن القطامي ، جرير بن يزيد البجلي ، نصر بن مالك الخزاعي ، سلم بن قتيبة الباهلي ، ثمامة بن الوليد العبسي ومالك بن ادهم بن محرز •

وقد اتبع المنصور التقليد الذي يقتضي تعيين صحابة لولي العهد محمد المهدي لتثقيفه ونصحه واعانته بالمشورة ، وقد رافق هؤلاء الصحابة فعلا المهدي حين عين واليا على خراسان سنة ١٤٦ هـ ٧٦٣ م(١٢) •

ويقول ابن سعد لقد جعل المنصور لولي عهده المهدي صحابة منهم أبو سعيد محمد بن مسلم القضاعي ، وقد عينه المهدي بدوره في معية ابنه وولي عهده الهادي ليقوم بجانب الهادي بنفس الدور الذي قام به بجانب والده • وكان فضيل بن عمران من صحابة جعفر بن المنصور(١٣) •

وعلى الرغم من ان ابن المقفع استعمل لقب الخاصة لبعض الصحابة منذ عهد المنصور الا ان اللقب الاول لم يستعمل بصورة ثابتة الا في عهد المهدي والرشيد فقد أشارت المصادر الى ان سلم بن الحارث والمغيرة بن خبيب الزبيري واسحق بن عزيز الزهري كانوا من بين خاصة المهدي ، ثم شاع استعمال اللقب في عهد الرشيد وبعده •

لقد كان أغلب الصحابة عربا ولذلك فقد صبغوا البلاط العباسي في الصدر الاول بصبغة عربية ـ فكانت هناك مجالس الحماسة والمفاخرات بين القبائل العربية والأحاديث حول أيام العرب واخبارها ، **وكان أبو العباس معجبا بمفاخرات العرب ، ويقول الهمداني ان الخليفة كان يكرم الرواة ورجال القلم • أما المنصور فكان معروفا بحضوره الحلقات الادبية والدينية في المدينة والبصرة قبل الخلافة ، فلا غرو ان شجع التاريخ والادب في البلاط العباسي ، وكان يحب بصورة خاصة اخبار العرب وأيامها** • ورغم انه كان أقل سخاءا من غيره من الخلفاء العباسيين الا انه أعطى بكرم لبعض الشعراء والرواة ومنحهم كذلك قطائع خارج مدينته المدورة ـ بغداد ـ •

وقد عرف بعض العباسيين بالبلاغة والفصاحة ، ومن أبرزهم الخليفة المنصور نفسه وعمه داود بن علي ، كما عرف ابو سلمة الخلال وابو مسلم الخراساني وخالد البرمكي . ويقول الجاحظ بأن خالد البرمكي وابنه جعفر فاقوا الكثير من العرب بفصاحة اللسان والبلاغة رغم أصلهم غير العربي . **ولا شك فالعربية لغة البلاط والادارة كانت وسيلة مهمة لمن يتطلع الى العلا في المناصب الرسمية** ويؤكد ابن قتيبة نقلا عن الأصمعي بأن من يتكلم الفارسية في مصر عربي كان يوسم بالدناءة حتى قبل السؤال عن اصله ومكانته . وتذكر **بعض الروايات التاريخية بأن بعض القبط والفرس والاكراد حاولوا الحصول على انساب عربية والاندماج بالعرب مما يدل على استمرار أهمية النسب في تلك الفترة المتقدمة من العهد العباسي (١٤) .**

وقد عين المنصور المؤدبين لولي عهده المهدي وكان منهم الشرقي بن القطامي وأوصاه بتعليمه التاريخ العربي والشعر العربي . وقد اتبع المهدي بدوره خطوات والده فعين (المؤدبين العرب) لابنه موسى الهادي .

ولقد شغل الصحابة دورا سياسيا بارزا حيث ظهروا بجانب الخليفة في الأزمات السياسية مشيرين عليه بهذا الرأي أو ذاك . وتشير الروايات التاريخية الى **حضورهم في المناسبات الرسمية كالبيعة واستعراض الجيش . وكان التنافس بينهم وبين (أهل خراسان) و (الموالي) لنيل حظوة الخليفة ورضاه ، وبالتالي لكسب منزلة احسن وتاثير أكبر ، واضحا خلال العصر العباسي الاول .** فلقد حضر المنصور في تشييع جنازة أحد صحابته اسحق ابن موسى العقيلي مما أغضب أهل خراسان حيث ذهب ممثلهم موسى بن كعب التميمي فأخبر المنصور بمشاعرهم قائلا : « يا أمير المؤمنين تفعل هذا به وقد كان والله مبغضا لك كارها لخلافتك » فأجابه المنصور بذكائه ومهارته الدبلوماسية : « ما فعلته هذا الا شكرا لله اذ قدمه أمامي » . **وقد استدعى ابو عبيد الله معاوية وزير المهدي اربعة من العرب من ذوي الثقافة الواسعة واوصى الخليفة باتخاذهم صحابة له حتى يقلل من تاثير الموالي على**

الخليفة . والظاهر ان هذا الاجراء نجح لمدة حيث كان تأثير الصحابة كبيرا بحيث فاق تأثير بقية الكتل في البلاط ، وزاد حتى على تأثير الوزير نفسه . وقد أعطي الصحابة ككتلة قطيعة على نهر الصراة كما وانهم حصلوا انفراديا على اراضي اخرى حول المدينة المدورة .

٣ ـ **العرب : لقد بانت أهمية العرب للعباسيين منذ أيام الثورة وزادت أهميتهم أثناء الحروب التي خاضها الجيش الخراساني ضد الجند الشامي في العراق .** فخلال تقدمه في الطريق ساعدت عناصر قبلية مختلفة الجيش الخراساني ، ثم ان سقوط الكوفة وواسط والموصل والبصرة ودمشق كان نتيجة مساعدة شيوخ القبائل الذين انضموا الى العباسيين .

وتورد الروايات التاريخية المتفرقة الكثير من الأمثلة الاستدلالية فقد عملت أفخاذ من طي كدليل للقوة الخراسانية المتقدمة نحو الكوفة حيث دلتها على أحسن الطرق وأسلمها . والمعروف ان الكوفة سقطت على يد محمد بن خالد القسري زعيم اليمانية الذي احتلها باسم الجيش العباسي قبل أن يدخل هذا الجيش المدينة ، كما وان محاولة القائد الاموي حوثرة استعادة الكوفة فشلت بسبب انسحاب اليمانية من صفوف جنده وخاصة بجيلة وبجدل . كما وسقطت مدينة الموصل بيد الخراسانيين نتيجة تعاون زعماء القبائل في المدينة مع الخراسانيين حيث أغلقوا الابواب في وجه مروان الاموي وجنده ، وقد اجبر يزيد بن هبيرة والي العراق الاموي على طلب الأمان بعد أن ضعفت مقاومته بسبب تخاذل العناصر اليمانية في جيشه حيث أغراهم ابو جعفر المنصور قائلا : «السلطان سلطانكم والدولة دولتكم» . ويعود فشل العباسيين في احتلال البصرة في البداية الى كون والي البصرة الأموي سلم بن قتيبة الباهلي كان يتمتع بنفوذ كبير في المدينة لكثرة اتباعه وانصاره من القبائل . **اما دمشق فلم يفلح عبد الله بن علي العباسي بدخولها الا بعد وقوع الفتنة بين اليمانية انصار العباسيين وبين المضرية انصار الامويين حيث استغاث عبد الله العباسي باليمانية قائلا :** « انكم واخوتكم من ربيعة

كنتم بخراسان شيعتنا وانصارنا وانتم دفعتم الينا مدينة دمشق وقتلتم الوليد ابن معاوية ، وانتم منا وبكم قوام أمرنا فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مضر»[١٥].

ان الحوادث الفاصلة التي وقعت في بداية نشوء الدولة العباسية تشهد على الاهمية الكبرى والدور الفاصل الذي قامت به القبائل العربية . فالطبري يشير الى هذه القبائل بأنها كانت تشكل **أغلبية الجيش العباسي الذي كان يتكون من مضر واليمن والخراسانية وربيعة .** ولذلك فقد **كان أكثرية قادة الجيش في تلك الفترة من العرب الذين لم يقودوا الحملات فقط ضد الثوار ولكنهم لعبوا أيضا دورا مهما في الصراع السياسي وبصورة خاصة فيما يتعلق بمشكلة ولاية العهد .**

وقد ظهر العنصر العربي كذلك بصورة مستمرة وكبيرة في البلاط ــ كما رأينا سابقا ــ وفي الادارة حيث احتلوا المراكز الحساسة والعالية مع اقتصار استخدام غير العرب في المناصب الادارية الصغيرة وفي الدواوين كموظفين صغار وكتّاب .

وتحفل المصادر في الحقيقة باسماء الولاة والأمراء العرب الذين أثبتوا اخلاصا وكفاءة كما وان معرفة اللغة العربية ــ لغة البلاط والادارة ــ كان صفة ضرورية لمن يطمع في مناصب جيدة في الادارة ولم يكن العباسيون ــ على عكس ما يذكره بعض المؤرخين ــ هم الذين بدأوا عملية استخدام الموالي في الادارة فلقد جاء العباسيون الى الحكم وكان هذا التقليد قد قطع شوطا لا بأس به منذ عهد الأمويين . ولعلنا نستطيع ان نذهب أبعد من ذلك فنقول بأن عملية استخدام الموالي كانت قد تقدمت بحيث حاول العباسيون ان يوقفوها عند حدها ويضبطوها عن طريق التوازن بين مختلف الكتل والعناصر، ولقد أثبت العباسيون الاوائل انهم نجحوا الى حد ما في سياسة التوازن الاداري هذه . وهناك ما يثبت ان الخلفاء العباسيين شجعوا العرب على الاستقرار في ضواحي العاصمة . فبالاضافة الى الاراضي التي منحت للأفراد العرب « وللانصار » وللصحابة ، فهناك مناطق استيطان (اليمانية)

وهناك (درب خزاعة) وهي القبيلة التي أخرجت أوائل الدعاة العباسيين في خراسان والذين امتدحهم ابو مسلم الخراساني ذاكرا دورهم في نصـرة الرسول (ص) في أوائل عهد الدعوة الاسلامية ، وهناك درب الانباريين ودرب الأرعاب • وهناك اشارات الى استيطان بني زريق والأشاعثة وجماعـات من واسط والبصرة في اقطاعات بغداد •

ولقد أدرك العباسيون مدى التأثير البالغ الذي يمارسه شيوخ القبائل على قبائلهم ولذلك عاملوهم معاملة طيبة ومحترمة ، وكان الاحترام والود يتناسب مع عدد اتباع الشيخ فقد رفض ابو العباس معاقبة اسحق بن مسلم العقيلي بحجة ان ذلك سيسيء الى قيس • « أترى قيسا ترضى بأن نضرب سيدها حدا ، لو دعوته بالبينة لجاء مئة من قيس يشهدون ان القول قوله »• وقد منح نفس الخليفة الأمان الى سلم بن عقبة الباهلي رغم انه تحـدى العباسيين في البصرة ولم يطلب العفو وقد كان سلم الباهلي طرفا في نزاع حدث في البصرة الا ان الوالي سليمان بن علي العباسي سامحه نظرا لنفوذه القبلي قائلا : « ما كان سلم ليقول شيئا الا شهد له الف نزاري » • وقد صاح المنصور لما سمع بأن والي الكوفة قتل عربيا بتهمة الزندقة : « أيقتل رجل من العرب بغير علمي » • ولقد اعتبر بعض المؤرخين اعفاء المنصور لأحد خدم الحرم العباسي حين علم بكونه عربيا اشارة الى النزعة غير العربيـة لدى العباسيين على ان الواقع يثبت عكس ذلك فان هذه الرواية حسب اعتقادنا تدل على المركز الكبير للعرب في نظر المنصور بحيث لم يسمح لعربي أن يكون خادما عند الحرم باعتباره يحط من قدر العربي • ولعل ما يثبت وجهة النظر هذه هي رواية الطبري التي تشير الى ان المنصور رغب أول الامـر في استخدام بعض رجال بني العباس في نقل الاخبار الا انه ارتد عن ذلك خوفا من أن يضع من منزلتهم بين الناس واستخدم (مواليه) لهذا الغرض •

وهناك روايات كثيرة ولكنها متفرقة بين طيات الكتب تشير الى مـدى احترام المنصور وتقديره لرجالات العرب ، فقد استجاب لوساطة بعض العرب

وعفا عن قيس بن وليعة الكندي ٠ كما عفا عن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رغم اشتراكه في ثورة محمد النفس الزكية قائلا : « اذا قتلت مثل هذا من قريش فمن استبقي » ٠ ويقول الأزدي صاحب كتـاب (تاريخ الموصل) عن عبد الله الهمداني « وهو احد رجال العرب ومن له الهمم والتقدم عند الخلفاء » ٠ ويشيد المدائني بمركز ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، اسماعيل بن عبد الله القسري ، ومسعر بن حذام الهلالي وعبد الله بن العباس الهمداني لدى المنصور ٠ وفي الأزمات كان المنصور محاطا بالكثير من رجالات العرب ذوي الرأي والمشورة والنصح ، كما كان الحال في تمرد عبد الله بن علي وفي عصيان ابي مسلم الخراساني ٠

ومن المهم أن نلاحظ بأن المنصور ترك في الهاشمية خازم بن خزيمة التميمي نائبا عنه ومسؤولا عن الجيش والميرة حينمـا حـج سنة ١٤٤هـ ٧٦١ ــ ٧٦٢ م ٠

وتظهر رواية لابن عساكر أن مقدار القوة لما تزل كامنة في أيدي شيوخ القبائل حتى زمن المأمون العباسي ففي الرواية يتهم عبد الله بن طاهر محمد ابن صالح بن بيهس الذي كان أحد شيوخ القبائل لتفاخره بمساعدة المأمون حتى كأنه أصبح مساويا لطاهر بن الحسين ولكن محمد بن صالح أجاب قائلا: « لقد حارب طاهر من اجل سلطان أمير المؤمنين ورجاله ، اما انا فقد حاربت بمالي ورجالي » ٠

ثم ان سياسة العباسيين الودية في الحجاز ما هي الا اشارة أخرى الى ميل الخلفاء العباسيين الأوائل للعرب ٠ وعلى الرغم مما كان للأماكن المقدسة في الحجاز من أهمية سياسية واجتماعية واقتصادية نتيجة الحج فان اهتمام العباسيين الشديد بالحجاز كان لاعتبارات سياسية ٠ كما وانه موافقا لخط السياسة العباسية العامة التي أظهرت عضدها للسنة وعملها بكتاب الله حيث انحرف الأمويون عنهما وفشلوا في العمل بها ٠ وقد استعمل المنصور شتى الوسائل لكسب تأييد أهل الحجاز ومنها :

١ ـ كسب ثقة رجال الدين وأهل التقوى مثل جعفر الصادق ومالك بن أنس وسفيان الثوري •

٢ ـ بالمصاهرة السياسية مع القبائل المتنفذة •

٣ ـ بمنح أهل المدينة عطاءا كاملا سنة ١٤٠هـ/٧٥٧ م •

٤ ـ بتوسيع وعمارة الاماكن المقدسة مثل مسجد المدينة وعمارة الطرق المؤدية الى الحجاز وخاصة بين العراق والحجاز •

أما في عهد المهدي فلقد وصلت المحاباة حدا عاليا حينما أعاد الخليفة العطاء الذي كان المنصور قد قطعه بعد ثورة محمد ذي النفس الزكية سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ ـ ٧٦٣ م ، كما وانه منح أرزاقا كثيرة الى أهل مكة والمدينة •

ويقول مصعب الزبيري بان المستفيدين من نظام العطاء قسموا الى مراتب : بني هاشم وكانوا يحصلون على أعلى نسبة من العطاء ، ثم قريش ثم الانصار ثم أخيرا الموالي • واعاد المهدي استيراد الغذاء الى الحجاز بعد منعه من قبل المنصور بعد ثورة ١٤٥ هـ ، واصلح طريق الحج بين بغداد ومكة وعين مشرفا عليه • وعين قاضي المدينة نفسه وكان هذا أول قاض للمدينة يعين من قبل الخليفة مباشرة •

ثم اختار ٥٠٠ من الأنصار وجلبهم معه الى بغداد « ليكونوا حراسا له وأنصارا » • وقد تمتع هؤلاء الأنصار بمنزلة خاصة وعطاء منتظم مع هدايا بين حين وآخر ، وكان لهم كذلك قطيعة في بغداد تعرف (بقطيعة الانصار)•

ويظهر ان اهتمام المهدي بالحجاز كان صادقا حيث كثرت زيارات الوفود العربية الى البلاط العباسي ، وقد أنب الخليفة وزيره أبا عبيد الله لمنعه عبد الله بن مصعب الزبيري ، وابراهيم بن سعد الزهري ، وسعيد بن سلم المجاشعي من مقابلته واستدعاهم واسترضاهم بالهدايا • كما ونقل المهدي ديوان اهل بيته من دمشق الى المدينة[١٦] وقتل الخليفة الهادي رجلا لانه

سب قريش ، كما وانه سار على نفس تقليد ابيه في استقبال وفود العرب في البلاط [١٧] .

واتبع هارون الرشيد[١٨] خطة أبيه المهدي تجاه أهل الحرمين على أن كل ذلك لم يمنع قطاعات مختلفة من القبائل الحجازية من الثورة ضد العباسيين مع العلويين .

على انه بالرغم من عدم وجود سبب يستدعي الى استياء العرب او تذمرهم في العصر العباسي الاول من غبن واجحاف في المنزلة او الحقوق فان بعض القبائل المستوطنة في المدن احتجت على تعيين ولاة غير عرب على تلك المدن . فقد احتج زعماء القبائل في الموصل على تعيين محمد بن صول مولى خثعم قائلين « أيلي علينا مولى خثعم » . كما واحتج سكان احدى القصبات في الشام لتعيين المنصور مولاه طارق لادارتها[١٩] . وعلى الرغم من ان الدولة حاولت منذ عهد الأمويين ان تنمي بين القبائل العربية شعور الولاء والاخلاص للدولة لا للقبيلة ، فان هذه المحاولات زادت في الصدر الأول من عهد العباسيين . فالمنصور مثلا أكد على الولاء للنظام العباسي أكثر من تأكيده على الولاء القبلي .

ومع ذلك فان الضرورة السياسية جعلته يضرب التكتلات الكبيرة القبلية بعضها بالبعض الآخر مستهدفا في ذلك تحقيق أهداف سياسية ليس الا . ولقد شهد عهده الكثير من هذه المناورات ، وقد نجح المنصور بكسر الحلف القديم بين ربيعة واليمن وذلك بتحريض والي اليمن معن بن زائدة الشيباني بالتشديد على أهل اليمن المتمردين والقيام بمجزرة كبيرة هناك ، ثم شجع نفس الخليفة والي اليمامة والبحرين عقبة بن سلم الهنائي للثأر من ربيعة (قبيلة معن الشيباني) التي كانت تكون جزءا كبيرا من سكان اليمامة والبحرين . على ان الخليفة المهدي أقصى عقبة الهنائي عن الولاية بسبب تعصبه على ربيعة[٢٠] .

٤ ــ **أهل خراسان :** ليس لدينا في هذا المقام مجالا لمناقشة طبيعة القوة الضاربة الخراسانية التي حققت النصر العباسي والتي كانت تتكون بصورة رئيسية من العرب من (أهل خراسان) • على اننا يجب ان نشير على ان هؤلاء العرب الخراسانية الذين عاشوا في خراسان لفترة طويلة تكلموا الفارسية اضافة الى العربية ، وتزوجوا نساءا فارسيات ولبسوا الملابس الفارسية وتكيفوا للبيئةالفارسية بتقاليدها العريقة واحتفلوا بالأعيادالفارسية•

على ان (أهل خراسان) بعد زحفهم الى العراق خلال الثورة ، مروا بعملية « تعريب » جديدة خاصة وان الخلفاء العباسيين الأوائل كانوا أنفسهم يشجعون الثقافة العربية والروح العربية في البلاط والمجتمع •

كانت الفرقة (الخراسانية) واحدة من أربع فرق في جيش المنصور • أما الثلاثة الباقية فهي : ربيعة ومضر واليمن • وهذه دلالة واضحة على نسبة العرب الكبيرة في الجيش العباسي في الصدر الاول من الدولة • وحين يتكلم الجاحظ عن فترة أبعد قليلا عن عهد المنصور يصنف الجيش العباسي كالآتي :

١ ــ الخراسانية •
٢ ــ الترك •
٣ ــ الموالي •
٤ ــ العرب •
٥ ــ الأبناء •

ويظهر من ذلك انه حتى في فترة الجاحظ كان العرب والخراسانية والابناء الذين (استعربوا) لايزالون موجودون في الجيش • والواقع فان عملية ادخال الترك والمماليك في الجيش من قبل الخليفة المعتصم (٢١٨ • ٢٢٧) لاقت معارضة قوية من العرب والخراسانية •

لقد حافظ العباسيون على وحدة الفرقة الخراسانية ويلاحظ بأن الخراسانية

منذ الايام الاولى للدعوة سجلوا حسب قراهم ومدنهم لا حسب قبائلهم وهذا ما يؤكد حرص العباسيين على الابقاء على تماسك الفرقة الخراسانية وعدم السماح للعصبية القبلية بتفكيك وحدتهم • ويصف ابن المقفع الخراسانية فيقول :

« فمن الامور التي يذكر بها أمير المؤمنين أمر هذا الجند من أهل خراسان فانه جند لم يدرك مثلهم في الاسلام ، وفيهم صفة يتم بها فضلهم ان شاء الله، أما هم فأهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس وكف عن الفساد وذلك للولاة ، فهذا حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم » ويذكر ابن المقفع الخليفة بضرورة ضبط أمر جند خراسان ورعايتهم ويشير عليه بالانتباه الى الامور التالية :

١ ـــ تنظيم أمور الضبط والربط والنظام عن طريق اصدار الخليفة لمنشور يعين فيه واجبات القادة ومسؤولياتهم وواجبات الجند وحقوقهم : « ••• ومن كان انما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة فهو كراكب الاسد الذي يوجل من رآه والراكب أشد وجلا • فلو ان أمير المؤمنين كتب امانا معروفا محيطا بكل شيء يحفظه رؤساؤهم ويقودوا به دهماءهم » •

ويشير ابن المقفع بصراحة الى قرب أهل خراسان من أهل العراق وارتباطهم المتين بأهل (الكوفة والبصرة) فيقول : « ويذكر أمير المؤمنين بأهل هذين المصرين (البصرة والكوفة) فانهم بعد أهل خراسان أقرب الناس الى أن يكونوا شيعته حقيقة مع اختلاطهم بأهل خراسان وانهم منهم عامتهم»[٢١] •

٢ ـــ على الدولة ألا تسلم القادة العسكريين أمورا مالية كجباية الخراج، لأن ذلك يفسدهم ويلهيهم عن واجبهم الأصلي : « واذا أريد صلاح هذا الجند فيجب ألا يولى أحدهم شيئا من الخراج • فإن الخراج مفسدة للمقاتلة • وان جبوا الدراهم اجترأوا عليها واذا وقعوا في الخيانة صار كل أمرهم مدخولا • مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وحقرية وهوان دائما ، وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف •

٣ ــ الاستعانة بذوي القدرة والكفاءة والنزاهة منهم : « ومما ينظر في أمرهم أن منهم من المجهولين من هو أفضل من بعض قادتهم فلو التمسوا واصطنعوا كانوا أعمدة وقوة ، وكان ذلك صلاحا لمن فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة » .

٤ ــ وان يعتني بتثقيفهم وتعليمهم الكتاب والسنة ليتجنبوا الأهواء والمعاصي والفرقة .

٥ ــ أن يكون الخليفة مثلا أعلى لهم في تجنب الترف والاسراف والمغالاة في الملبس والعطر والنساء والظهور بمظهر المتواضع المعتدل .

٦ ــ ضرورة تعيين وقتا ثابتا لأرزاقهم كل ثلاثة أو أربعة أشهر، وتسجيل أسمائهم في السجلات والقضاء على أسباب شكواهم . وربما كان من الأحسن أن يكون نصف رزقهم عينا والنصف الآخر نقدا .

٧ ــ على الخليفة ان يستقصي اخبارهم ويستعين بالثقاب في معرفتها : « وان لا يخفى (عن الخليفة) شيئا من أخبارهم وحالاتهم وباطن أمرهم بخراسان والعسكر والاطراف ، وان يحتقر في ذلك النفقة ولا يستعين فيه الا بالثقات النصاح فان ترك ذلك وأشباهه أحزم بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة فتصير مغبته للجهالة والكذب » .

ولقد دافع الخراسانية في فترات الأزمات الحادة عن النظام العباسي ضد الثوار ، كما وان العباسيين اعتادوا ارسال قوات خراسانية لمدة طويلة أو قصيرة في المناطق المضطربة او التي كانت معروفة بميولها المضادة للعباسيين ، مثل البصرة والموصل وكذلك الشام وافريقيا ، كما واشترك الخراسانية في الجهاد ضد البيزنطيين .

واستغل الخلفاء اسم اهل خراسان ووقوفهم باخلاص وراء الخلافة العباسيين في سبيل تنفيذ مآربهم أو مشاريعهم وخاصة فيما يتعلق بولاية

العهد • ويذكر في هذا الصدد ما قاله المنصور لعيسى بن موسى حين حثه عن التنازل لولاية العهد الاولى الى محمد المهدي : « ليعلم أنصارنا من أهل خراسان انك أسرع الى ما رجوا »[٢٢] • وحينما أراد المهدي من عيسى ابن موسى أن يتنازل عن ولاية العهد أخبره بأن هذا الطلب نابع من اجماع « أهل بيته وشيعته وقواده وأنصاره وغيرهم من أهل خراسان »[٢٣] • وحين خطط الهادي لتنحية أخيه هارون الرشيد ساعده بعض القواد فخلعوا هارون وبايعوا لجعفر « ودسوا الى الشيعة فتكلموا في أمره وانتقصوه في مجلس الجماعة » • وبموت الهادي دعا الرشيد « أنصار الدولة وأعوان الثورة » لمساعدته في الحكم وتأييده [٢٤] •

على أن الخراسانية لم يكونوا الفرقة الوحيدة في الجيش العباسي فقد شكل العباسيون وحدات أخرى ـــ كما ذكرنا سابقا ذلك ـــ على أسس قبلية، وكذلك أشركوا القبائل في حملاتهم العسكرية • وعلى هذا فان الخلفاء طبقوا الأسس القبلية على بعض التشكيلات العسكرية ولكنهم لم يعترفوا بالقبيلة فيما يخص الفرقة الخراسانية •

فسياسة عدم الاعتراف بالقبيلة ضمن تشكيلات الخراسانية كانت موافقة تماما لفترة الدعوة العباسية ، وما ان حقق العباسيون النصر حتى وجدوا من الضرورة ضرب القبائل بعضها ببعض ، وعلى هذا نظم العباسيون فرقا جديدة على أسس قبلية ثم ان العباسيين رغم ثقتهم بالخراسانية واهتمامهم برعاية امتيازات هذه الفرقة فقد وضعوا أمامهم احتمال التمرد والانحراف من جانبها، ولهذا شكلوا فرقا جديدة لتأمين جانبهم من هذه الناحية • ويقول الطبري بأن تمرد الراوندية سنة ١٤١هـ/٧٥٨ م أشعر المنصور بضرورة تقسيم جيشه الى قسمين ووضع بعضه في بغداد والآخر في الرصافة ، وبهذا أصبح يستطيع أن يضرب أحدهما بالآخر في حالة حدوث جانب ما ، ولقد استعمل المنصور البارزين من أهل خراسان في مناصب عالية ، وكان يحرص على الاحتفاظ بولائهم للنظام العباسي •

وفي رأينا أن تعيين المنصور لخازم بن خزيمة التميمي المروزي الخراساني نائبا عنه في الهاشمية على (العسكر والميرة) حينما ذهب للحج سنة ١٤٤ هـ له دلالته الكبيرة من حيث ثقة الخليفة بأهل خراسان[٢٥] .

وقد استغاث المنصور بهم في أثناء ثورة الحسنيين الخطرة : « يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا » . وأوصى ابنه المهدي بهم خيرا حيث قال : « وأوصيك بأهل خراسان خيرا فانهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافؤهم على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في أهله وولده » .

وحين حضرت المنصور الوفاة دعا بني هاشم والشيعة من أهل خراسان أن يتحدوا وراء المهدي ولي العهد ويساعدوه على تسيير أمور الدولة : « وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يبددكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم ويا أهل خراسان ، ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي واذكارهم البيعة له وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعده » .

على ان قلة استعمال اصطلاح (أهل خراسان) في المصادر التاريخية بعد الانتصار العباسي قد يدعو الى استنتاج خاطيء فيما يتعلق بدورهم ككتلة سياسية في البلاط العباسي . فالاعتقاد بضعف قوتهم أو تلاشيها ليس له صحة ذلك لاننا يجب أن نلاحظ بأن اصطلاح (أهل خراسان) لم يكن الاصطلاح الوحيد الذي عرفت به هذه الكتلة السياسية . فقد كان يطلق عليهم أيضا اسم (الشيعة) و (أنصار الدولة) و (رؤساء الشيعة) و (القواد) . وبما انهم سجلوا منذ البداية باسماء مدنهم وقراهم ولذلك كان يطلق عليهم كذلك اسم (المروزية) و (البغيين) و (أهل بلخ) و (أهل بخارى) و (أهل فرغانة) الى آخره ...

وعلى ذلك فان الكثير من أبرز رجالات أهل خراسان لم يكونوا يعرفون

باسم الخراسانية بل باسم قراهم أو مناطقهم التي عاشوا فيها • والأمثلة على ذلك كثيرة ومتفرقة في الروايات التاريخية منها :

قحطبة الطائي (الجرجاني)
الفضل التميمي (الطوسي)
جديع الأزدي (الكرماني)
عبد الملك العتكي (الجرجاني) •

ومن هذا المنطلق يمكن الاستنتاج بانه من غير المعقول ولا من الدقة في شيء أن ننعت المروزية اتباع خازم التميمي أو الجرجانية اتباع عبد الملك العتكي على أنهم فرس • لقد **قدم أبو العباس والمنصور مصالح أهل خراسان على غيرهم كما وان الخراسانية كانوا دائما يساندون بعضهم البعض الآخر خاصة فيما يتعلق بحقوقهم وامتيازاتهم** ، فلقد حدث سنة ١٣٤ هـ انقتل القائد خازم التميمي أثناء تعقبه للثائر بسام ابن ابراهيم عددا من بني الحارث أخوال الخليفة ابي العباس ، فقد شك القائد في اخفائهم للثائر ، ولما علم الخليفة بذلك عزم على قتل خازم التميمي ولكن توسط بعض الخراسانية له أدى الى عدول الخليفة عن رأيه • وعفا المنصور كذلك عن عبد الحميد ابن ربيعة الطائي الخراساني الذي اشترك في ثورة عبد الله بن علي في الشام سنة ١٣٦ هـ وذلك لارتباطه بصلة النسب مع قحطبة بن حميد الطائي •

وقد ارضى المنصور أهل خراسان الذين اغضبهم حضور الخليفة لتشييع أحد صحابته اسحق بن مسلم العقيلي الذي لم يكن من عرب خراسان •

وحذر عبد الصمد بن علي العباسي الخليفة المهدي من تذمر (أهل خراسان) لأن الخليفة كان يقرب مواليه ويفضلهم في مجالسه •

وتذكر الروايات التاريخية ان والي مصر عبد الملك بن يزيد الأزدي الخراساني رفض تطبيق العقوبة التي أصدرها القاضي على أحد الجند الخراسانية ، ولم يكن للقاضي بدا من الاستقالة • وتدل هذه الرواية على مدى

مساندة الخراسانية بعضهم لبعض •

على أن هناك أمثلة كثيرة أخرى في مصادرنا التاريخية تتحدث عن مدى تأثير (أهل خراسان) في سياسة الدولة وكذلك في مشكلة ولاية العهد • فقد تعذر المنصور باهل خراسان حين كتب الى عيسى بن موسى سنة ١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م يسأله التنازل لولاية العهد الاولى الى محمد المهدي : (ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم انك أسرع الى ما أحبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم الى ذلك من أنفسهم) •

وقد حصل الخراسانية أفرادا وجماعات على ابارض واراض داخل المدينة المدورة وفي ضواحيها • وقد سكن نسبة كبيرة منهم في الشمال من بغداد وخاصة في الحربية حيث استقروا تبعا للمدن والمناطق التي قدموا منها في خراسان • وبمعنى آخر كان سكناهم على أساس اقليمي لا عنصري • وكانت الأرباض او القطائع تعرف باسم رئيس الجماعة او باسم الجماعة مثلا ••• أهل مرو ، أهل بلخ ، وأهل بخارى ، أهل الختل ، وأهل كابل شاه، وأهل خوارزم الخ ••• كلهم سكنوا في الحربية •

على ان أهل خراسان لم يسكنوا في الحربية فقط بل نظرا لخدماتهم الجليلة للدولة فقد كان طبيعيا أن يسكن الخليفة بعضهم في داخل المدينة أيضا ، فقد سكن المروزية وهم كتلة ذات امتيازات خاصة داخل أسوار المدينة المدورة •

أما أشهر رجالات أهل خراسان الذين حصلوا على أراضي في بغداد أو ضواحيها فهم :

عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي أحد قواد خراسان وصاحب شرطة أبي العباس والمنصور ووالي خراسان بعدئذ •

حرب بن عبد الله البلخي الراوندي ابن أحد الدعاة للثورة وقائد من قادة الخراسانية وقد سميت منطقة الحربية نسبة اليه •

عامر بن اسماعيل المسلّي (الموصلي) أحد اولئك الدعاة الذي لعب دورا كبيرا في القضاء على مقاومة مروان في مصر ، وحينما توفي سنة ١٥٧ ﻫ حضر المنصور تشييعه وامر بدفنه في مقبرة بني هاشم تشريفا له •

الفضل بن سليمان الطوسي ، عبد الملك بن يزيد العتكي ، عثمان بن نهيك العكي •

ان هذه الامثلة القليلة كان غرضنا منها اثبات الراي القائل بأن توزيع الاراضي السكنية في بغداد وضواحيها تم حسب خطة مرسومة وذلك فان الرجالات الثقة وحدهم حصلوا على الاراضي • ويظهر ان زعماء الخراسانية استقروا في هذه الاراضي مع أهل بيتهم واتباعهم من القبائل العربية ومواليهم وسكان المدن الايرانية المحليين التي كانت مستقرا لهؤلاء الشيوخ حينما كانوا في خراسان • ولنضرب على ذلك مثلا :

ان سكان قطيعة عبد الملك بن يزيد العتكي الجرجاني لا بد وانهم كانوا من قبيلته وأهل بيته وأقربائه وكذلك مواطنين فرس من جرجان • وكذا فان سكان قطيعة حميد بن قحطبة الطائي الطوسي كانوا على الأغلب من قبيلة طيء ومدينة طوس • وهكذا الحالة بالنسبة للآخرين •

وهكذا فان المستقرين كانوا مختلطين عنصريا • وعلى الرغم من ان هذه الكتل والجماعات البشرية سميت بأسماء المناطق التي جاءت منها أصلا مثل : الجرجانية والمروزية والفرغانيةوالخوارزمية فانمن الثابتانهم كانوا خراسانية وخليط من عناصر كثيرة • ومن هذا المنطلق فان تصوير الحالة كأنها منافسة حادة بين العرب والفرس أو التأكيد على أغلبية الفرس على العرب ليس له ما يبرره ، ويعتبر عديم الفائدة تاريخيا فلم تكن العادة ان يتزعم شيخ أو قائد عربي اتباعا أغلبهم غير عرب ، ولذلك لا يمكن اثبات ان سكان قطيعة حميد الطائي كانوا فرسا في غالبيتهم • كما وان المصادر التاريخية تثبت بان العرب سكنوا في مناطق أطلق عليها أسماء غير عربية مثل منطقة المروزية والخوارزمية •

٥ ـ **الموالي :** ان اصطلاح (مولى) مثل غيره من الاصطلاحات في هذه الفترة اصطلاحا مرنا وغير محدود . وعلى الرغم من ان (الولاء) كان علاقة اجتماعية وقانونية فان موالي الخليفة تمتعوا بمنزلة خاصة في علاقاتهم بالخليفة الذي خدموه ضمن اختصاصات مختلفة .

ولقد كان بين ((الموالي)) نسبة كبيرة من العبيد المحررين من مختلف العناصر والأجناس كما وان عددا من (الموالي) كانوا عربا اسروا في الحرب او استقروا بسبب من الأسباب .

ليس من اختصاص هـذا البحث ان يتعقب تطور محتوى اصطلاح (الموالي) ، ولا يهمنا ما هية الأعمال المتنوعة التي كان يقوم بها الموالي في المجتمع الاسلامي .

على ان ما قصدناه من اصطلاح الموالي في هذه الدراسة لا يشير الى كتلة عنصرية مكونة في الأغلب من الفرس ولكن كتلة مزيجة من اجناس عديـدة Multi - racial يربطها بالخليفة الولاء الذي تضعه باخلاص فوق كل اعتبار ، كما وان ارتباطها بالبلاط العباسي كان أقوى من أي ارتباط آخر كالارتباط العنصري الذي يتعلق بجنسهم العربي أو الفارسي او غيره .

ولقد شعر المنصور منذ بداية حكمه بالحاجة الى مثل هذا العضد سواء في البلاط او في الادارة او في الجيش ، وقد عزم على خطة من شأنها جمع هذه العناصر المختلفة التي جلبت بطريق الحرب أو التجارة والتي جـذبت انتباه الخليفة بطريقة او بأخرى ، في جسم صلب واحد يستطيع ان يعتمد عليه كليا .

ويـذكر الخطيب البغدادي ان المنصور احتـاج لرجال يكونون بوابين له وقد اشير عليه بأن خير من يقوم بهذا العمل هم عبيد اليمامة ، ذلك لأنهم « قوم لئام الأصول ، اذلال النفوس ، صلاب الوجوه » . فأرسل السري بن عبد الله الهاشمي ليشتري له ٢٠٠ غلام منهم ، ولقد وجد المنصور من بينهم عددا يمتاز بالكفاءة والنباهة ، فاصطنعهم وجعلهم مواليه ومنهم خـلاد الذي

أرسله بعدئذ ليتجسس على الثائر العلوي محمـد النفس الزكيـة [٣٦] .
كما واعتنى المنصور بتدريب البعض الآخر « من احداث مواليه » على استعمال السلاح [٣٧] .

وحالما دخل الموالي في معية الخليفة اصبحوا مستندين اليه كليا وبالتالي مطيعين له طاعة عمياء . يقول الجاحظ : « وكان المنصور ومحمد بن علي وعلي بن عبد الله يخصون مواليهم بالمواكلة والبسط والايناس لايبهرجون الأسود لسواده ولا الدميم لدمامته ... ويوصون بحفظهم اكابر اولادهم ويجعلون الكثير من موتاهم الصلاة على جنائزهم وذلك بحضرة من العمومة وبني الأعمام والأخوة » [٣٨] .

ويؤكد ابن خلدون في ان البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بأنسابهم فيقول : « فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم واسترقوا العبدان والموالي والتحموا بهم كما قلناه ، ضرب معهم اولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال رسول الله (ص) « مولى القوم منهم » . سواء أكان مولى ذمة أو مولى اصطناع أو حلف [٣٩] .

ولقد ظهر في الدولة العباسية نوع جـديد من الولاء سمي « بولاء الاصطناع » ويعني هذا اختيار الخليفة لافراد او جماعات بغض النظر عن أصلهم العنصري حيث يمنحهم الخلع والرتب ويعهد اليهم بالأعمال المهمة .

وعلى هذا فيلاحظ ظهور شخصيات متنوعة في اصلها ولكنهـا تحس بنفسها ككتلة منفصلة عن غيرها وتجمعها مصالحها واهدافها المشتركة ، كما وان المهم في الأمر ان الخليفة نفسه كان يعود الى هذه الكتلة حيث لم يكن الكثير من الخلفاء العباسيين يرجعون الى اصول عربية من جهة الأم .

ومما لا شك فيه فان كتلة الموالي في البلاط العباسي اعتبرت نفسها كتلة

مستقلة ومختلفة عن كل من العرب وغير العرب • ويقول الجاحظ في هذا الخصوص بان الموالي ادعوا بأنهم افضل من العرب بسبب اصلهم الأعجمي بسبب روابطهم الجديدة بالعرب • ان مضمون مقالة الجاحظ واضح فالموالي كانوا كتلة ممتزجة من عرب وغير العرب ، تجمعهم صفة واحدة الا وهي انهم اعتبروا انفسهم كتلة معينة تختلف عن العرب والعجم • وقد وصف الجاحظ منزلة الموالي بالمقارنة مع العرب والعجم واظهر ــ وهذا أمر مهم ــ دعواهم بانهم افضل من العرب والعجم •

ان هذه النظرة الى الموالي يؤيدها اشارة الجاحظ الى ان كتابه (العرب والموالي) يختلف عن كتابه (العرب والعجم) • وحين يدافع الجاحظ عن نفسه تجاه احد نقاده الذين اتهموه بالتكرار فيقول : بأن الفروق بين العرب وغير العرب هي ليست كالفروق بين العرب والموالي • فان من المحتمل ان الجاحظ يشير هنا الى تلك الكتلة من الموالي الذين طغت روابطهم بالخليفة على الرابطة العنصرية (الجنسية) ، اذا كان هناك رابطة جنسية ، ذات بال في تلك الفترة المبكرة من عهد العباسيين •

كما وان منزلتهم (أي الموالي) في البلاط والادارة والجيش ميزتهم تماما عن كل من العرب والعجم الذين كانوا منافسيهم في كسب رضى الخليفة والحصول على المراكز الحيوية •

على ان الجاحظ يعترف بان الموالي حصلوا على تلك المنزلة الرفيعة بسبب رعاية الخلفاء العباسيين الذين ــ بسبب امهاتهم غير العربيات على الأغلب ــ ادركوا مدى الاستجابة القومية والرابطة المشتركة التي تربطهم بكتلة الموالي من السكان •

وبهذا فان الجاحظ يرفض رفضا باتا فكرة العنصر كمعيار لتصنيف المجتمع ويعتبر البيئة والثقافة عوامل رئيسية في قياس الشخص وفي تربيته• ومن هذا المنطق فان الموالي ثقافيا ولغويا وبيئيا كانوا عربا كما يمثلهم الجاحظ •

ويشير الجاحظ واليعقوبي الى أن الخليفة المنصور كان أول خليفة عباسي استعمل مواليه وغلمانه في أعمـــاله • على المسعودي والمقريزي يدعيان بأن المنصور لم يستخدمهم فقط بل فضلهم على العرب ايضا • ويظهر ان الرأي الأخير رأي اعتباطي لا يسنده دليل ثابت • واذا كان الخليفة قد وثق بمواليه وقدمهم فان ذلك لم يكن بالتأكيد على حساب العرب الذين استمروا يحتفظون بمراكز رئيسية وخطيرة •

ويمكن القول بأن ادعاء المقريزي والمسعودي ينطبق على فترة متأخرة في حوالي (منتصف القرن الثالث الهجري) من العصر العباسي ويؤيد ذلك المؤرخ ابن خلدون الناقد الذي يظهر بوضوح نفوذ العنصر العربي خلال العصر العباسي الأول ويبين ذلك دون ادنى شك ، ويحدد ابن خلدون بدقة ان العرب فقدوا السلطة حين تسلم ابنـــاء الرشيد العرش ، وانهارت العصبية العربية في عهد المعتصم •

وينظر ابن خلدون في تحليله لهذه الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي الى ان القضية كلها قضية عربية تحمّل فيها العنصر العربي المسؤولية على عاتقه حتى بدأت تفلت من يديه بصورة تدريجية •

لقد بدأ (الموالي) بالنمو من حيث الأهمية في البلاط والادارة منذ عهد الخليفة المنصور وقد استطاع المنصور ان يحفظ التوازن بين الكتل المختلفة ، ولكن خليفته المهدي شذ وتذبذب موقفه من هذه الكتل • وتشير مصادرنـــا التاريخية بوضوح الى تغلغل (الموالي) في المراكز الحكومية والى تأثيرهم الكبير على المهدي نفسه •

فان نظرة على مركزهم في العصر العباسي الاول يوضح لنا كيف تطور تأثيرهم تدريجيا • يقول البلاذري بأن الأشراف على (السقاية) و (الرفادة) في مكة كان يعهد الى شخصيات عباسية وهم بـــدورهم كانوا يعهدونها الى مواليهم ، وحينما لاحظ المنصور ذلك عهد بهذا العمل الى أحد مواليه وقال

لأقربائه من بني العباس : (انكم تقلدون الأمر مواليكم فموالي امير المؤمنين احق بالقيام به) .

ويجهزنا اليعقوبي بقائمة باسماء الموالي الـذين اختصهم المنصور ووثق بههم ومن بينهم عمارة بن حمزة ، مرزوق ابي الخصيب ، واضح ، منارة ، العلاء ، والربيع بن يونس .

ويقول ابن قتيبة بأن المنصور غضب غضبا شديدا لما سمـع ان والي البصرة سلم بن قتيبة الباهلي عاقب احد موالي الخليفة واعتبر ذلك تجاوزا على الخليفة نفسه فقال المنصور : « عليّ تجرأ ، لأجعلنه نكالا » .

كما وان المنصور اوصى ولي عهده المهدي بالموالي قائلا : انه ترك له ثلاثة أشياء مهمة هي المال ، والموالي ، ومدينة السلام .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان هذه الرابطة القوية والولاء استمر فشمل الجيل التالي من الموالي فقد قيل عن حاتم بن هرثمة بن اعين مولى الرشيد : « فانه ممن لا يعرف الا بالطاعة ولا يدين الا بها بمعاقد من الله مما قدم له من حال ابيه المحمود عنـد الخلفاء »[٣٠] وكان موالي الخليفة يقربون أبناءهم الى البلاط ويحاولون تقريبهم الى الخليفة ، فقد سأل الربيع ابن يونس مولى المنصور الخليفة أن يرضى عن ابنه الفضل ويقربه ليزيد من ولائه وتفانيه في خدمة البيت العباسي .

ولا يفوتنا أن نذكر بأن الموالي تعهدوا بالقيام بأعمال خطيرة في أوقات الازمات العصيبة حيث استخدمهم الخليفة مثلا في نقل الاخبار والتجسس على من يتوجس منه الثورة أو اثارة الاضطرابات . فقد تظاهر مولى المنصور على انه من أنصار محمد النفس الزكيـة ، ودخل في معيته ونقل أخبـاره الى الخليفة . وتشير الروايات التاريخية الى عدد من الموالي الذين اشتركوا في الاشراف على بناء بغداد كما ويظهر الموالي في حفلات البلاط العباسي جنبا الى جنب مع العباسيين والصحابة والقواد .

وشغل الموالي كذلك دورا مهما في مشكلة ولاية العهد ، فقد كان الخليفة يعتمد عليهم في تنفيذ رغبته بعد وفاته . وكان مع الخليفة المنصور عند وفاته خادمه ومولاه الذي يثق به الربيع بن يونس . والربيع بن يونس هذا مثال مدهش (للمولى) الذي كان بسبب غموض اصله وتربيته منذ صغره في البلاط معتمدا اعتمادا كليا على الخليفة . وقد وضع الربيع مصلحة الخليفة فوق كل المصالح الاخرى ولعب دورا بارعا في تنصيب المهدي خليفة حسب وصية والده المنصور .

ويعتبر عيسى بن روضة مثلا آخر في الولاء حيث كان مولى المنصور ومن أوفى رجال حاشيته . وقد ألف كتابا في الامامة يتفق مع وجهة النظر العباسية . وكان مسرور الخادم يروي أخبارا تاريخية وروايات عن العباسيين(٣١) .

أما محمد بن صول فقد أرسله المنصور للتجسس على عبد الله بن علي الثائر في الشام ، ولكن الاخير أحس بالخديعة وقتل ابن صول(٣٢) .

وكان جواس بن المسيب اليماني مولى المنصور مسؤولا عن الاسواق في الكرخ وعين المنصور أربعة موالي من بين الاشخاص الذين عينهم للاشراف على القطاعات الاربعة أثناء بناء بغداد ، ولما اهمل العمل في بناء المدينة المدورة بسبب ثورة محمد النفس الزكية ترك المنصور مولاه اسلم مسؤولا عن المواد المختلفة وصيانتها تلك التي بقيت في موقع المدينة .

ولما توفي المنصور في طريق مكة أرسل مولاه منارة مع البيعة وشارات الخلافة الى الخليفة الجديد المهدي في حين بقي موالي ولي العهد السابق عيسى بن موسى مخلصين لعيسى معتقدين بحقه في الخلافة(٣٣) .

وقد اغرى ولاة الاقاليم الموالي كذلك بالقيام ببعض المسؤوليات والخدمات الحكومية ويذكر ابن سعد ان والي المدينة عبد الصمد بن علي العباسي دعا أبناء خالد بن دينار موالي بني العباس لتبؤ مناصب رسمية

الا انهم اعتذروا قائلين : « نحن قوم تجار ولا حاجة لنا بالدخول في عمل السلطان فاعفنا » . وواضح من هذا ان الناس الأثرياء أو الذين كان يمتهنون أعمالا مربحة نوعا لم يكونوا يفضلون الحيـاة المستقرة على قلق السياسة وتقلباتها . ويظهر ان تأثير الموالي قد تعدى الحدود في عهد الخليفة المهدي . فقد حذر عبد الصمد بن علي ــ خال المهدي ــ الخليفة ــ على مايذكره الطبري ــ بأن علاقته الودية بالموالي سوف تبعد أهل خراسان عنـه .

ولكن المهدي أجاب بأن الموالي يستحقون كل هذا التقدير ذلك لأنهم يضطلعون بأي عمل يطلبه منهم مهما كان ذلك العمل لا يتناسب مع منزلتهم أو قد يعتبر تحقيرا لهم ، بينما يعترض الآخرين من غير الموالي على مثل هذه الطلبات من قبل الخليفة متعذرين بأصلهم ومنزلتهم وسابقتهم في الـدعوة العباسية .

وفي رواية للخطيب البغدادي عن الربيع بن يونس ان المهدي حين تبوأ الخلافة وزع محتويات احدى خزانات بيت المال بين (مواليه وغلمانه وخدمه)(٣٤) .

ويقول الجهشياري بأن المهدي أظهر احتراما كبيرا لعمارة بن حمزة ، لدرجة ان القرشيين الذين كانوا يزورون البلاط في ذلك الحين استغربوا وتساءلوا عن شخصية القادم ، فأجاب المهدي : (انه عمارة بن حمزة مولاي) .

وتذكر المصادر التاريخية الموالي جنبا الى جنب مع العباسيين وأقرباء الخليفة المقربين في قوائم الهبات والهدايا التي يعطيها الخليفة .

كما وان أهمية الموالي تظهر من الرواية التي تشير بأن المهدي حين رحل الى جرجان سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥ م ترك مولاه الربيع بن يونس لينوب عنـه في بغداد .

كما وان المهدي أقصى وزيريه أبا عبيد الله معاوية ، ويعقوب بن داود من منصبيهما نتيجة لتأثير مواليه عليه . ولقد حاول ابو عبيد الله أن يحدد من تأثير الموالي على الخليفة بادخال عـدد من العرب كصحابة الخليفة في

البلاط ولكنه فشل في خطته هذه • ولقد كان عـــدد الموالي الذين تقلدوا مناصب سياسية وعسكرية ، أو أظهروا براعة في المجال السياسي في عهد المهدي وأولاده الذين خلفوه كبيرا وتشير المصادر الى أمثلة كثيرة منها :

واضح مولى المهدي والي ارمينية واذربيجان ثم مصر •
زهير بن التركي والي همدان •
فراشة والي دانباوند وقوس •
سعد والي الري •
مطر والي مصر •
عمر بن بزيع مسؤولا عن ديوان الزمام •
هرثمة بن اعين •
حمـــاد البربري •
طريف صاحب بريد الشام والجزيرة ومصر في عهد المنصور[٣٥] •

على ان بعض المؤرخين الذين اعتبروا الموالي كتلة عنصرية (جنسية) لا كتـــلة اجتماعية سياسية يدّعون بأن اختيـــار العباسيين لوزرائهم من (الفرس) كان خطة مدروسة ، ومصممة تصميما جيدا من قبل الخلفاء كدليل على ان العهد العباسي الجديد شركة بين العرب والفرس • ونستطيع أن نؤكد بأن ليس هناك في مصادرنا التاريخية ما يشير الى ان المناصب في الدولة العباسية في عصرها الأول كانت توزع حسب اعتبارات أو مقاييس عنصرية ، وقد اظهرنا سابقا بأن الموالي لم يعتبروا أنفسهم فرسا ، كما وانهم لم ينظر اليهم كفرس من قبل الآخرين • وكان وزراء العصر العباسي الاول اما ذوي أصول غامضة غير معروفة تماما ترعرعوا في البلاط العباسي ، واما موالي جربوا لمدة طويلة فكانوا موضع ثقة بعدما أثبتوا كفاءة عالية • وقد عينوا في مناصبهم العالية بسبب مهارتهـــم الادارية وولائهم السياسي للعباسيين • ويجب أن نضيف بأن الخليفة كان بوسعه دون أية صعوبة أن يقصيهم من مناصبهم اما لشكه فيهم أو لاعتبارات يعتقد انها ضرورية •

وفي المدينة المدورة استوطن الموالي قطاعا خاصا بهـم سمي (درب الموالي) كما وان موالي آخـرين منحوا قطائع اما افرادا أو على شكل جماعات مثل عباد الفرغاني والفرغانية ، حسن الشروي والشروية ، والربيع ابن يونس ، وسليمان وسويد الخ •• على اننا يجب أن نشير بأن الشروية هم موالي محمد بن علي بن عبد الله العباسي ثم موالي الخلفاء العباسيين من بعده• وكان للموالي ديوان خاص بهم في بغداد يسمى (ديوان الموالي والغلمان)•

٦ ـ **الابنـاء :** في أواخر عهد المهدي وفي أيام الهادي وهارون الرشيد بدأ يظهر اصطلاح جديد بين كتل البلاط وفي تشكيلات الجيش العباسي الا وهو (الابناء) ويذكرهم ابن سعد في طبقاته باسم (أبناء أهل خراسان) حيث يشير الى ابي نصر التمار على انه كان من أبناء أهل خراسان من نسأ ، وتؤكد رواية اخرى الاصل الخراساني في كتلة الابناء هذه في مناقشة بين الرشيد وأحدهم الذي قال يتحدث عن نفسه بأنه « من ابناء هذه الدولة ، أصله من مرو وولادته في بغداد » ويذكر الدينوري ان الرشيد حين زار في سنة ١٨٠ مدينة الهاشمية التي بناها أبو العباس قرب الانبار وجد فيها عدد من (أبناء أهل خراسان) لا يزالوا يقطنونها • ويشير الدينوري نفسه الى ان ثورة رافع بن الليث في خراسان كان سببها سياسة الوالي علي بن عيسى ابن ماهان التعسفية تجاه أهل خراسان ، كما وان فشلها يعود الى انحياز (أبناء الشيعة) الذين كانوا مع رافع الليثي مثل عجيف بن عنبسة ، والأحوس ابن مهاجر الى الجيش العباسي • وفي رواية للطبري يسمي هذه الكتلة (معشر الابناء وأهل السبق الى الهدى) ، والهدى هنا معناه الانضمام الى الدعوة العباسية • •

كل هذه الروايات التاريخية تؤكد دون شك الاصل الخراساني للابناء وبمعنى آخر ان الابناء هم أبناء وأحفاد أهل خراسان جند العقيدة العباسية الذين ثاروا في وجه السلطان الاموي وزحفوا نحو العراق والشام وحطموا الدولة الاموية وأقاموا الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م •

وفي العراق ــ مركز السلطة العباسية الجديد ــ استوطن أهل خراسان محافظين على وحدتهم غير متناسين أصلهم ولذلك برزت كتلة الابناء من كتلة أهل خراسان كتلة واحــدة منسجمة تأثرت بالتطورات الجديدة السياسية والثقافية والحضارية الا انها لم تنس اقليم آبائها الاول حيث ولدت الدعوة العباسية وتفجرت •

وكما ان أهل خراسان كانوا عرباً وعجماً فالابناء دون شك سيكونون مزيجا من الجنسين • ولذلك يصدق ابن طيفور حين يسميهم (ابناء خراسان المولدون) • فمن أبرز العرب من الابناء هو عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي الذي أشار الخليفة الامين اليه بقوله : « ابن كبير صاحب دعوتكم ومن على يدي ابيه كان فخركم وبه تمت طاعتكم » • وداود بن عيسى بن موسى ، ومحمد بن ابي خــالد المروزي • **اما ابرز العجم من الابناء فهو يحيى بن خالد البرمكي الــذي كان يشار اليه كواحــد من (أبنــاء الشيعة وأهل الدولة) •**
ومما يدل على الصلة القوية والترابط الوثيق بين (أهل خراسان) و (الابناء) هو اشارة الروايات التاريخية لهم جنبا الى جنب ، فيذكر الجاحظ على لسان الخراساني « اننا النقباء وابناء النقباء » ويدعو البنوي الاصل بالخراساني دائما فأصله في خراسان وفرعه في بغداد حيث لا زال هنــاك بقايا رجال الدعوة وابناء الشيعة • ويؤكد الجاحظ في مناسبة اخرى في مناقب الترك بأن (البنوي خراساني) بقول البنوي : « أنا أصلي خراسان وهي مخرج الدولة ومطلع الدعوة ••• وفرعي بغداد وهي مستقر الخلافة والقرار بعد الحولة وفيها بقية رجال الدعوة وأبناء الشيعة وهي خراسان العراق وبيت الخلافة وموضع المادة »(٣٦) •

ويستطرد البنوي فيفخر بنفسه قائلا : « وأنا أعرف في هذا الامر من أبي وأكثر ترددا فيه من جدي وأحق في هذا الفضل من المولى والعربي ، ولنــا في أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال• ولنا الصبر على الجراح وعلى جر السلاح اذا طار قلب الاعرابي وساء ظن الخراساني »(٣٧) •

وقد أثبتت التجارب السياسية وقوف الابناء الى جانب أهل خراسان في فترات الشدة والازمات . فقد وقف الابناء من أهل خراسان ضد أهل الشام كما وقف الابناء مع الحربية (وهم من خراسان) ضد اجراءات المعتصم بادخال الترك في الجيش العباسي .

ولكن الابناء لم يكونوا قوة كبيرة في عهد الخلفاء العباسيين الاوائل ، ويزداد ذكرهم في عهد الرشيد ، ثم لعبوا دورا مهما في النزاع بين الامين والمأمون .

وسكن الابناء في بغداد الارباض وكانوا يسمون (أهل الارباض) أو (أبناء الارباض) **على ان الفرق بين الابناء وأهل خراسان هو ان أهل خراسان كانوا عربا تأثروا بالبيئة الفارسية وتقاليد حضارتها لاستقرارهم هناك ردحا من الزمن ،** أما الابناء فتأثروا بتقاليد الخلافة العباسية في العراق الذي كانت بيئته تختلف تماما عن بيئة خراسان الاعجمية .

٧ ـ **السودان والزنوج :** لقد تقربت الدعوة العباسية الى المستضعفين والمتذمرون في المجتمع الاسلامي ، فدعا ابو مسلم العبيد الى الانخراط في صفوف الثوار وأعلن عتق كل عبد ينضم اليه . فانضم اليه عدد غير قليل منهم . ولم يكن وجود العبيد في الجيش العباسي شيئا مبتدعا فقد كان العبيد يرافقون الحملات العسكرية منذ العهد الاموي .

وتذكر المصادر التاريخية وجود العبيد والزنوج كتشكيلة في الجيش العباسي . فكان هناك وحدة مكونة من ٤ آلاف زنجي في جيش يحيى ابن محمد العباسي والي الموصل حين وصوله الموصل سنة ١٣٣هـ/٧٥١ م . كما ورافق السودان الجيش العباسي الذي أرسله المنصور الى البصرة لاخماد ثورة ابراهيم الحسني سنة ١٤٥هـ/٧٧٦ م . والمعروف انه كان يوجد في بغداد دار خاصة بالرقيق تسمى (دار الرقيق) ، وكان الرقيق والمماليك يستوردون من مصادر مختلفة منها الشراء أو السبي أو هدايا أو جزءا من ضرائب اقليم من الاقاليم[٣٨] .

٨ ـ **الاعراب** : ولقد كان من عادة قادة الجيش العباسي ـ من أصحاب النفوذ القبلي أمثال خازم بن خزيمة التميمي ، ومعن بن زائدة الشيباني وعقبة بن مسلم الهنائي وعبد الله بن شهاب ، ويزيد بن مزيد الشيباني ـ أن يصطحبوا جزءا من قبائلهم مع الجيش المنظم عند انتدابهم للغزو أو لقمع ثورة ، وبهذا يستطيع القائد أن يعتمد على تفانيهم له في فترات القتال الحرجة ثم انهم سينتفعون بالغنائم والاسلاب ، ويتيسر للسلطة اشغالهم فترة من الزمن • ولقد استعمل ابو جعفر (المنصور) هذه السياسة مع قبائل الجزيرة حين كان واليا عليها في خلافة أخيه ابي العباس •

والملاحظ ان الحسد والمنافسة كانا شائعين بين الكتل المختلفة في البلاط وأحيانا بين شخصيات من الكتلة الواحدة • فقد يحالف الموالي لأسباب مصلحية شخصيات من العرب كما حدث للمولى هرثمة بن اعين حين تقرب ليزيد بن مزيد الشيباني في عهد المهدي • أو ان الوزير قد يرحب بدخول شخصيات عربية الى البلاط ليحد من تأثير الموالي المتزايد كما حدث للوزير ابي عبيد الله حيث ادخل صحابة عرب في بلاط المهدي ليقلل من تأثير الموالي • كما وان المنافسة كانت موجودة بين كتلة الخراسانية وكتلة الموالي ، أو الخراسانية والصحابة ، أو الموالي والصحابة أو الموالي والوزراء •

فالروايات التاريخية المبعثرة بين طيات الكتب تؤكد هذا الادعاء رغم الجهد الكبير الذي يجب على الباحث أن يقوم به من أجل العثور عليها •

ومهما يكن من أمر فاننا نشير الى رواية واحدة التي توضح مدى تأثير هذه الكتل والدور الكبير الذي لعبته الشخصيات المهمة التي تزعمت هذه الكتل في تقرير مجرى السياسة في عهد المهدي •

يذكر الطبري ان الخليفة المهدي أمر كلا من الحسن بن قحطبة الطائي والربيع بن يونس بمصاحبة هارون الرشيد في حملته ضد البيزنطيين سنة ١٦٣ هـ ، ولكن الحسن الطائي جلب انتباه الخليفة الى انه من الافضل

أن يتبقى أحدهم في البلاط في الوقت الذي يكون الآخر بعيداً مع هارون • ان هذه الرواية تدل دون شك الى دور هذين الرجلين وأهميتهما في تلك الفترة •

ولعل من الافضل الاشارة الى أمثلة اخرى للمنافسة بسبب تضارب المصالح بين الكتل والشخصيات المختلفة في البلاط والادارة العباسية ، ونترك لمن اراد التفصيل الرجوع الى المصادر التي نشير اليها • يروي الجهشياري ان ابا ايوب المورياني وزير المنصور أشار على المنصور بقتل المولى طريف صاحب بريد الشام والجزيرة ومصر بسبب تقرير رفعه الاخير عن التلاعب في الاموال •

ويروي ابن قتيبة خبرا عن سوء علاقة والي البصرة سلم الباهلي مع مولى المنصور الذي كان مسؤولا عن بعض الاعمال الادارية هناك •

ويروي الجهشياري ان فرج الخادم حرض المهدي على قتل خالد البرمكي والي فارس بسبب قتل الاخير لأحد أقرباء فرج وهو شاكر التركي(٣٩) •

وتتفق الروايات التاريخية ان سبب اقصاء عبيد الله وزير المهدي يعود الى سوء علاقته مع موالي الخليفة وان الربيع بن يونس كان من المحرضين الرئيسيين على قتل ابن الوزير بتهمة الزندقة واقصائه عن منصب الوزارة •

وكان الموالي من العوامل الرئيسية التي اقنعت المهدي بضرورة تنحية وزيرة يعقوب بن داود ويقول المؤلف المجهول صاحب كتاب التاريخ ، والطبري والجهشياري (فحسده موالي المهدي فسعوا اليه) • وفي رواية تاريخية اخرى : (ولم يزل موالي الخليفة يحرضون عليه ويوحشونه منه حتى عزم على ازالة الثقة فيه) •

وتشير المصادر بوضوح الى التنافس خلال مدة حكم الرشيد (١٧٠ – ٧٨٦/١٩٣ – ٨٠٩) بين كتلة البرامكة واتباعهم من جهة وبين الفضل ابن الربيع ويزيد بن مزيد الشيباني واشياعهم(٤٠) •

وكان الخادم مسرور الكبير والمولى هرثمة بن اعين من ابرز رجال الحاشية الذين نفذوا رغبة الرشيد بالقضاء على البرامكة ونفوذهم • أما أبرز من ظهر بعد نكبة البرامكة وازداد نفوذه فهو المولى الفضل بن الربيع ، والعربي يزيد بن مزيد الشيباني •

ولقد امتدح الشاعر سلم الخاسر خدمات الفضل بن الربيع واباه للدولة العباسية قائلا :

وابن الـذي جبر الاسلام يوم وهى	واستنقذ النـاس من عمياء صيهود
قالت قريش غـداة انهـاض ملكهم	ابن الربيـع واعطـوا بالمقـاليـد
ان الربيـع وان الفضـل قد بنيـا	رواق مجد على العباس ممدود[41]

بغداد رمز الحضارة العباسية في عصرها الذهبي :

ان بناء بغداد واتخاذها عاصمة للدولة العباسية الفتية يضم في اطاره كل ما يعنيه الانتقال من الامويين الى العباسيين من معان سياسية ومغاز حضارية•

ورغم ان بحثنا هذا ينصب بالدرجة الاولى على السياسة لا على الحضارة فانه يحسن بنا أن نذكر خطوطا عريضة للدلالةعلى مكانةبغداد سياسيا ودورها حضاريا •

فلقد كان تأسيس بغداد يعني من الناحية السياسية رغبة المنصور قطع دابر العهد الاموي بعدم اتخاذ أي من مدنهم مستقرا له • وكان لا بد للدولة الجديدة من عاصمة جديدة تمثل العهد الجديد • والواقع فان أهمية العراق والاقاليم الشرقية بدت بالازدياد في أواخر عهد الامويين حيث اضطرت كثرة الثورات السياسية ونمو هذه الاقاليم اقتصاديا الخليفة مروان الثـاني الى الاستقرار والانتقال الى حران التي كانت في موقعها أقرب الى الجناح الشرقي للامبراطورية من دمشق •

ولما جاء العباسيون اهتموا بالاقاليم الشرقية أكثر من اهتمامهم بالغربية

حيث بدأت بعد فترة تنفصل عن سيطرة الحكومة المركزية • وهكذا ازداد أثر سكان الاقاليم الشرقية في الدولة الجديدة ، فامتزجت الحضارة الايرانية بالعربية في اطار الاسلام بامتزاج العرب والعجم في بغداد حيث وفرت السلطة العباسية الامن والاستقرار وهما عنصرين رئيسيين لنمو الحضارة وتطورها • وأصبحت الحضارة الجديدة اسيوية أكثر منها تابعة للبحر المتوسط في صبغتها • على انها لم تكن حضارة « ساسانية حديثة » كما يروق للبعض تسميتها(٤٢) ، ذلك لأنها بقيت مخلصة لروح الاسلام •

ولعله يمكن القول الآن دون تردد بأن الحضارة الاسلامية هي حضارة مدن ، وان السلطة في سياستها العامة كانت تميل الى سكان المدن أكثر من ميلها الى البدو • وكانت المدن في الدولة الاسلامية مستودع الثقافات والعلوم • كما وان مراكز التمدن في المجتمع الاسلامي هي الجامع والمحكمة والمدرسة حيث توجد الحياة الكريمة في المدينة • ولقد توسعت بغداد وازدهرت ولما يمضي وقت طويل على تأسيسها ولعل ذلك يعود الى موقعها في وسط مراكز المدنيات القديمة البابلية والآشورية والكيشية والفارسية • فكانت نقطة التقاء ساعدت على ظهور مدن بابل ثم سلوقية ثم طيسفون والمدائن ثم بغداد •

كما وان موقع المدينة المدورة كان قريبا من مراكز الثقافة العربية الاسلامية الجديدة مثل الكوفة والبصرة • وكان لا بد لها أن تنتعش اقتصاديا وتجاريا لتسد احتياجات البلاط والجيش ورجال الادارة والناس الذين سكنوا حولها ، وساعد على نمو تجارتها تدريجيا قربها النسبي من موانيء مهمة مثل البصرة والابلة • ولقد وصفت الثورة العباسية بأنها (ثورة الطبقة البورجوازية)(٤٣) ، وبمعنى آخر انها كانت انتصاراً للطبقة المتوسطة الجديدة التي بدأت بالظهور واكتساب الثورة المادية والسلطة تدريجيا منذ بداية تأسيس الامبراطورية العربية ـ الاسلامية •

ان توسع رقعة الدولة الاسلامية وما صاحبها من تقلبات وتبدلات أدت الى فسح المجال أمام رؤوس الاموال للتحرك على نطاق أوسع في الاقاليم المختلفة ، ونتج عن ذلك حركة اقتصادية حرة تدعمها ثروات الدولة والارستقراطية الحاكمة • وانتعشت التجارة معتمدة على ما هو موجود من معادن ثمينة كالذهب والفضة • وهكذا ظهرت طبقة جديدة من التجار عربا وغير عرب ، مسلمين وغير مسلمين ، استطاعت بفترة قصيرة أن تكون لها ثروة طائلة •

على ان البوادر الاولى لظهور البورجوازية يمكن ملاحظته منذ عهد الامويين ولكنها تطورت ونمت بسرعة في عهد العباسيين حيث كانت الظروف مواتية أكثر لنموها وفعاليتها بحيث وجدت طريقها الى المناصب الحكومية • وعلى عكس ما كان مألوفا في المجتمع العربي من احتقار للمهن والحرف المدنية نجد الاحاديث وكتب الادب تحفل بالروايات التي تمتدح البيع والشراء والاتجار •

وكانت الدولة غنية بمواردها فهناك زراعة الحنطة والشعير والرز ، وهناك التمور والزيتون ، وهناك الفاكهة على أنواعها • وأما المعادن الثمينة فكثيرة ، الفضة من الاقاليم الشرقية وخاصة هندوكوش ، والنحاس من مناطق قرب اصفهان ، والحديد من فارس وآسيا الوسطى ، والذهب من الهند وما وراء النهر • وتطورت في الدولة الاسلامية صناعات كثيرة أهمها صناعة المنسوجات التي كان منها ما يصدر الى الخارج • وأشهرها صناعة المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية وصناعة السجاد • وحدث أن وقع في أسر المسلمين في معركة قرب نهر سيحون مع قوات صينية سنة ٧٥١ م بعض عمال الورق الصينيين ، وهكذا بدأت صناعة الورق في الدولة الاسلامية وانتشرت غربا محدثة ثورة ثقافية كبيرة •

وقد شهدت القرون الاولى من عهد العباسيين حركة ثقافية نشطة ، ذلك لأن الرفاه الاقتصادي أدى الى انشاء عدد من المدن حيث الحياة الحضرية

المترفة ، والسكان ذوو الـذوق الراقي ، والفـراغ الكبير نسبيا وحب الاستطلاع • ويقول البروفسور آدم متز ، بأن حركة الترجمة من العلوم والآداب الاغريقية الى العربية أدت الى ما يسميه حركة الرينيسانس (حركة الافاقة أو النهضة الاسلامية) على ان رد الفعل الاسلامي ضد الثقافة اليونانية والحضارة الساسانية كان قويا ومفيدا بحيث جـدد واغنى الادب والفكر العربي بانتاج جديد ذو خصائص أصيلة •

ولقد انشئت في بغداد المدارس والمعاهد لتدريس العلوم • وقد أنشأ الرشيد مجمعا علميا هو (بيت الحكمة) أودع فيه كتبا ـ بلغات مختلفة ـ تتعلق بعلوم عديدة ، وهي حصيلة ما جمعه جده المنصور وابوه المهدي وما استطاع هو جمعه •

وأنشأ المأمون مرصـدا فلكيا بالشماسية وطلب الكتب حيثمـا سمع بوجودها ، فقد طلب من أمير صقلية بعض الكتب الفلسفية والعلمية فأرسلها له • ونقل من خراسان الكثير من الكتب الى بغداد • وأرسل جمـاعة من المترجمين الى بلاد الروم لترجمة عدد من الكتب وأنشأ ديوانا خاصا بالترجمة على رأسه حنين بن اسحق • وأمر المأمون بوضع خارطة للعـالم سميت (الصورة المأمونية) وهي أول خريطة للعالم في عهد العباسيين • ولذلك يلقب بعض المؤرخين المأمون (بأستاذ الحضارة العربية)[٤٤] لأثره العلمي الكبير في المجال الحضاري •

وهذا غيض من فيض المظاهر الحضارية التي ازدهرت فـي عهد العباسيين الاوائل ولا غرو فان الاستقرار السياسي للدولة العباسية في عهدها الاول هو الذي انتج ما ذكرناه من رفاه اقتصادي وترف حضاري •

حواشي الفصل الرابع

(عاصمة جديدة لعهد جديد)

١ ــ من أراد المصادر الاصلية والثانوية التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا الفصل فليرجع الى مقالتنا The Composition of Abbasid Support التي نشرت في **مجلة كلية الآداب** جامعة بغداد سنة ١٩٦٨ . حيث اعتمد هذا الفصل على تلك المقالة مع بعض الاضافات والتوسعات التي أكدت على نفس وجهة النظر التي جاءت في المقالة وأسندتها بأدلة جديدة . وسوف لا نذكر هنا الا مصادر الروايات التي لم تذكر في المقالة آنفة الذكر .

٢ ــ **انساب** ص ٧٩٠ أ عن المدائني .

٣ ــ op. cit ، ص ٦٠٧ ــ ٦٠٨ أ . الطبري ٣ ، ١٥٣ . ــ **مقاتل الطالبين** ص ١٢٦ .

٤ ــ الدكتور صالح العلي ، بغداد في عهد المنصور . مؤتمر المدن الاسلامية اكسفورد ١٩٦٥ .

٥ ــ سورة الانعام ١٢٧ (القرآن الكريم) .

٦ ــ مصطفى جواد ، **بغداد** ص ٤٥ .

٧ ــ **E. I.** (Baghdad) .

٨ ــ الطبري ٣ ، ص ١٩٧ . ــ عن العواصم العباسية قبل بغداد انظر Lasner, **M. W.**, 1965, 1966. ، العلي **منطقة الحيرة** ، مجلة كلية الآداب ، ١٩٦٢ .

٩ ــ الطبري ٣ ص ٦٩٣ .

١٠ ــ **المقفى الكبير** ص ١٠٨ ب . ــ للرجوع الى مصادر أخرى انظر Omar, The Composition .... .

١١ ــ الطبري ، ٣ ص ٧٢ ، ٧٣ ، ١٢١ ، ٣٢٧ ــ ٢٣٨ ، ١٤٢ ــ ١٤٣ ، ٦٠٥ .

١٢ — اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٦ . — انظر كذلك .... Omar, The Composition

١٣ — الجهشياري ص ١٢٩ . — الطبري ٣ ص ٤٣٩ .

١٤ — الكندي **الولاة ص** ٣٩٧ — ٣٩٨ . — الفخري ص ١٦٢ — ١٦٣ .

١٤أ — عن مصادر هذا البحث . . . راجع ... Omar, The composition ..

١٥ الازري ، **تاريخ الموصل** ص ١٢٤ .

١٦ — جهشياري ص ١٤١ — ١٤٢ . — الطبري ٣ ص ٥٢٢ .

١٧ — **الاغاني** ج ٩ ص ٤٧ . — الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢١ .

١٨ — دينوري ٣٨٦ ، ٣٨٢ . — اليعقوبي ج ٢ ص ٤٩٢ . — الطبري ٣ ص ٦١٠ ، ٦١٥ .

١٩ — الازري ، **المصدر السابق** . — **المقفى** ص ١٩١ أ .

٢٠ — اليعقوبي ج ٢ ص ٤٧٨ . — انظر . . . **Melanges** ص ٤ — ٥ .

٢١ — ابن المقفع . **رسالة في الصحابة** ص ١١٩ ، ١٢٤ .

٢٢ — الطبري ٣ ، ص ٣٣٨ — ٣٤١ . — اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٦ — ٤٥٧ .

٢٣ — الطبري ٣ ، ٤٧١ — ٤٧٦ .

٢٤ — اليعقوبي ج ٢ ص ٤٨٩ — ٤٩٠ . — الجهشياري ص ١٧٤ . — الطبري ٢ ص ٥٧٢ ، ٦٠٠ — ٦٠١ .

٢٥ — الطبري ٣ ، ص ١٤٣ .

٢٦ — الخطيب البغدادي ج ٣ ص ١٧١ .

٢٧ — **المقفى** ، ص ١٠٧ أ .

٢٨ — **مناقب الترك** ، تحقيق هارون ، ص ٢٣ — ٢٤ من **وسائل الجاحظ** مصر ، ١٩٦٥ .

٢٩ — مقدمة ج ٢ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ .

٣٠ — الطبري ٣ ، ص ٧٦٦ .

٣١ ـ الطبري ٣ ، ص ٦٧٨ ، ٥٢٣ ، ٥٧٨ . ـ النجاشي ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ج ٢ ص ٣٣١ . ـ الخطيب البغدادي ج ٨ ، ص ٤٣٦ .

٣٢ ـ الخطيب البغدادي ج . ، ص ١٧١ .

٣٣ ـ **الاغاني** ج ١٨ ص ١٥٢ . ـ الطبري ٣ ، ٣٧١ . ـ انظر دور **الموالي** الجهشياري ١٦٧ . ـ **العيون والحدائق** ص ٢٨٦ . ـ الطبري ٣ ، ص ٥٧٥ ، ٥٢٣ ، ٥٩٩ . ـ ابن خلدون **العبر** ج ٣ ص ٤٥٩ .

٣٤ ـ الخطيب البغدادي ج ٥ ص ٣٩٣ .

٣٥ ـ الجهشياري ص ١٠٠ ـ ١٠٢ .

٣٦ ـ رسائل الجاحظ ص ٢٦ (مناقب) .

٣٧ ـ Ibid .

٣٨ ـ الكوفي ، **الفتوح** ص ٢٣٥ ب . ـ الطبري ٤٣٩ فما بعد . ـ **تاريخي طبرستان** ج ٢ ص ١١٨ . العاملي ، **أعيان الشيعة** ، ج ٢٠ ص ١١٠ . ـ **المقفى** ص ٩١ ب .

٣٩ ـ الجهشياري ص ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ١٥١ . ـ **عيون الاخبار** ج ١ ص ٢٩٠ .

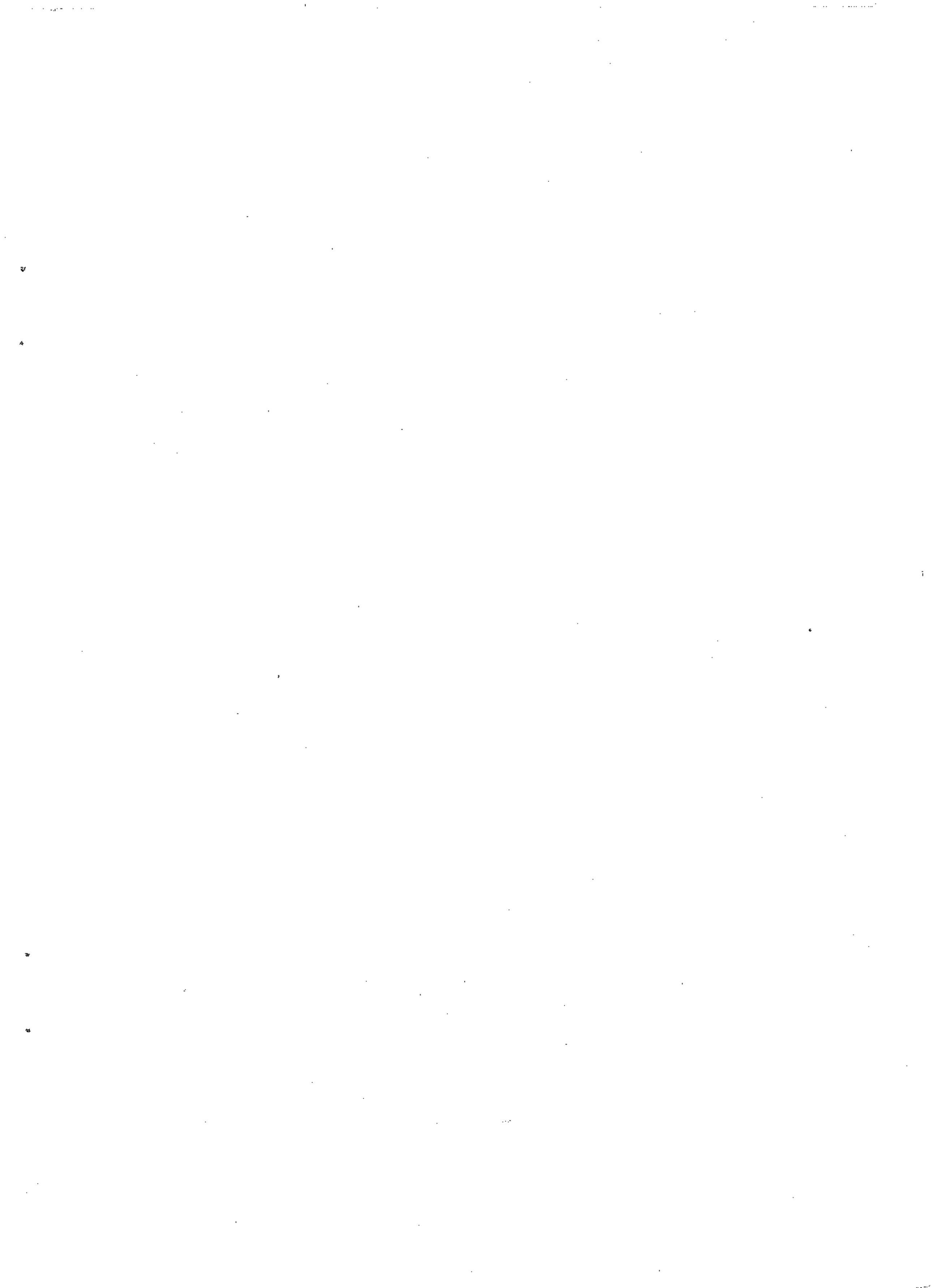
٤٠ ـ **الاغاني** ج ٢١ ص ١٢٨ . ـ **المكافآت** ص ٥٢ .

٤١ ـ **الاغاني** ج ٢١ ص ١٢٣ .

٤٢ ـ هذه النظرة هي التي لاتزال شائعة بين المؤرخين وخاصة في تاريخ الحضارة والنظم العباسية انظر مثلا
Wiet, L'empire n'eo - byzantin des Omayyades et le'mpire n'eo - Sassanide des Abbasides''. 1953 انظر فهرست المصادر

٤٣ ـ B. lewis, government..., **C. M. H.** , new ed. 1966, p. 643
s. Ceitein, The rise.. **J. W. H.** , III, 1956.

٤٤ ـ أحمد رفاعي **عصر المأمون** ، ج ١ ص ٣٧٥ .



الفصل الخامس

السياسة الدينية

((ان هذه الدولة (العباسية) ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك)) .

ابن طباطبا ، **الفخري**

((كان (المنصور) داهيا أديبا مصيبا في رأيه سديدا ، وكان مقدما في علم الكلام ومكثرا من كتابة الاخبار)) .

الجاحظ

((وهي دولة كثيرة المحاسن جمّة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة ... والحرمات مرعيـــة)) .

ابن طباطبا ، **الفخري** ص ١٢٨

قال الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري :

فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحى ثقـلاً على الجلساء
غرض القـوم متعـة لا يرقـو ن لدمـع الشـماء والخنســاء
كالذي قام يجمع الزنج بالبصر ة والقرمطي بالاحســـاء
انمــا هــذه المــذاهب أســبا ب لجذب الدنيــا الى الرؤساء

اللزوميات جـ ١ ، ص ٦٦ طبعة بيروت

مظاهر سياسة العباسيين الدينية

في مجتمع كالمجتمع الاسلامي في العصور الوسطى تتداخل المظاهر الدينية والسياسية للخلافة ويصعب تحديد خط واضح بينهما • حيث يظهر تأثير الدين الاسلامي واضحا جليا في مرافق الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة ، وتجتمع كل السلطات في يد الخليفة « خليفة الله » ••• في مجتمع كهذا ، من الطبيعي القول بأنه لا يمكن الكلام عن سياسة السلطة (الدينية) لانه لا يمكن تمييزها عن نشاطات السلطة في المجالات المختلفة الاخرى وخاصة المجالات السياسية المحضة •

على اننا أردنا (بالسياسة الدينية) اصطلاحا يتضمن من بين ما يتضمنه المواقف التي وقفها العباسيون الاوائل تجاه الفقهاء والمحدثين وأهل السنة والجماعة بصورة خاصة ونظريتهم السياسية حول الخلافة ثم سياستهم تجاه المعارضة الدينية ـ السياسية المتمثلة بالكتل الموالية لاعدائهم ، وتجاه الزنادقة والشعوبيين وأهل الذمة • ان كل مظهر من هذه المظاهر ، كما يلاحظ القارىء المتمعن ، من الممكن دراسته دراسة متأنية مسهبة تتقصى جوانبه المختلفة ، على أن هدفنا في هذا الفصل اعطاء الخطوط العامة العريضة للمظاهر التي ذكرناها آنفا والتي استجدت فيالعصر العباسيالاول دون الدخول في تفصيلات مسهبة ، لان هدف هذه الدراسة أن تكون فصلا في كتاب لا أن تكون دراسة مستقلة بحد ذاتها •

ان ادراكنا بأن التعميمات والخطوط العريضة ربما تشوه بعض الشيء الصورة التي يريد ايصالها المؤلف هو الذي دفعنا الى ذكر مجموعة وفيرة من المصادر الاصلية والحديثة في الحاشية وراء كل تعميم ليرجع اليها القارىء •

١ ــ العباسيون والسنة والجماعة :

قال ابن الطقطقي معلقا على سياسة الخلفاء العباسيين[١]: « ان هذه الدولة ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك » ويضيف هذا المؤرخ مفسرا فيقول بأن الاتقياء وأهل الورع والدين أطاعوها لموافقتها لمشاعرهم الدينيــة وأطاعها الآخرون خوفا أو طمعا ولعل في هذا القول بعض الصحة وخاصة فيما يخص شطره الاول • وسنرجيء التعليق على الشطر الثاني الى مناسبة قادمة •

رغم ان الدعوة العباسية كانت ذات صبغة سياسية واضحة الا انها كانت ذات جوانب مختلفة حيث لم يتورع الدعاة والنقباء من استغلال كل الشعارات الدينية التي مثلتها الفرق المختلفة المعادية للامويين من أجل كسبها الى جانب العباسيين في فترة الثورة •

وبعد الانتصار العباسي وسيطرة الخلفاء العباسيين على زمام السلطة تخلوا عن أنصارهم وتبرؤا من الافكار والشعارات المتطرفة وغير المتطرفة التي استغلوها أثناء الدعوة والثورة • فسحقوا حركات الراوندية المتطرفين في خراسان والعراق وأصبحت الخداشية تهمة يعاقب معتنقها بالقتل حيث قتل أبو مسلم محمد بن سليمان الخزاعي بتهمة الخداشية[٢] • وقضوا على الحركة الخارجية في خراسان والعراق كذلك وقضوا على ثورات العلويين الغلاة منهم والمعتدلين • كما قابلوا حركات الفرس بشدة صارمة واتخذوا تدابير عسكرية وفكرية لمجابهتهم • وهكذا فبعد تجارب مبدأية مع عقائد مختلفة قرر العباسيون تبنى مذهب الجماعة الذي يمثله في تلك الفترة المبكرة « أصحاب الحديث » والذي تطور فيما بعد الى مذهب « أهل السنة والجماعة » على أن تبلور موقف العباسيين واتضاحه أدى الى تبلور موقف معارضيهم أيضا الذين نظموا أنفسهم على شكل فرق عديدة انضمت اليها الجماعات المتذمرة والبائسة وتمثلت فيها مصالح شخصية ومحلية وعقائدية قديمة يعود بعضها الى ما قبل ظهور الاسلام وانتشاره •

على ان تبلور هذه السياسة ووضوح معالمها لم يحدث بين ليلة وضحاها بل اتخذ وقتا طويلا ومر بتجارب عديدة وتأثر بعوامل مختلفة • فلقد كان على الخلفاء العباسيين أن يكيفوا مواقفهم بحذر وبراعة • فالمنصور ذلك السياسي القدير كان مرنا ودبلوماسيا في مواقفه تجاه الفرق والتكتلات المعارضة حيث أبدى تفهما لمبادىء الراوندية وتساهل معهم أول الامر محاولا ابقائهم سندا للدولة ولم يكن يتبنى عقيدتهم أو يجعلها مذهبا رسميا كما فعل المأمون مع المعتزلة ولكنه اضطر الى ضربهم حين هددوا حياته وعرضوا الدولة للخطر • ومع ذلك فتظهر بعض الروايات التاريخية انه عفا عن بعضهم وتساهل مع البعض الآخر • ومن جهة أخرى فان هذا الخليفة نفسه هو رائد الحركة الرسمية الداعية الى تبني الدولة العباسية لمذهب « أهل السنة » وأصحاب الحديث بتقربه الى الفقهاء والمحدثين المعروفين بميلهم لهـذا المذهب كما سنرى بعدئذ •

ان هدف العباسيين من تبني مذهب رسمي لدولتهم كان بمثابة سلاح فعال في معركتهم ضد المعارضة من جهة والزندقة والشعوبية من جهة أخرى • فقد كان العباسيون بحاجة الى مذهب يجمع حولهم الرأي العام في دولتهم ضد العناصر التي تحاول القضاء على دولتهم سياسيا وعلى الاسلام مذهبيا • وعلى ذلك يمكن القول بصورة عامة بأن سياسة العباسيين الدينية كانت سلاحا سياسيا بيد الخلفاء أكثر من كونه عقيدة دينية • وقد كانت هـذه السياسة حصيلة عاملين :

الاول ـ ظهور مذهب أصحاب الحـديث الذي تبلور الى مذهب أهل السنة والجماعة •

الثاني ـ رغبة الخليفة العباسي في ضمان سلامة البيت العباسي والدولة العباسية ضد عناصر المعارضة المختلفة •

وكانت عناصر المعارضة لمذهب السنة والجماعـة تتمثل في تلك الفترة بالمعتزلة والغلاة من أتباع العلويين والخوارج والنابتة والمانوية (الزندقة)

أما عناصر المعارضة للدولة العباسية فتتمثل في العلويين والأمويين والفرس والخوارج •

لقد حاول أبو العباس والمنصور والمهدي والهادي والرشيد أن يعتمدوا على الاسلام الاول أو (التقليدي) اذا صح لنا استعمال هذا الاصطلاح ، المتمثل بأهل الحديث • بينما حاول المأمون والمعتصم والواثق أن (يوفق) بين أصحاب الحديث ويتقرب الى العلويين في نفس الوقت فتبنى (مذهب المعتزلة) • ولكن هـذه المحاولة أضعفت السند الشعبي ، المتمثل بالعامة المنضويين تحت مذهب أهل الحديث (السني) للعباسيين وليس ذلك فحسب بل اصطدموا بعنف بالسلطة العباسية حينما حاول المأمون أن يجبرهم على قبول الاعتزال • وفي عهد المتوكل برز الاسلام « التقليدي » منتصرا بعـد محنته المشهورة • وقد استند المتوكل على مذهب السنة والجماعة كقاعدة قوية لسلطته ، لا بسبب صمود هذا المذهب ومن يمثله من الفقهاء أمام المحنة فقط بل لقوة المعارضة المتمثلة بالعلويين وأنصارهم كذلك • ولعل الخليفة المتوكل يعتبر مثلا واضحا للخلفاء العباسيين الاوائل الذين تعتبر سياستهم الدينية انعكاسا صادقا ورد فعل طبيعي لاوضاعهم السياسية • وبمعنى آخر فان ارضاء فقهاء أهل السنة والمحدثيين وتقريبهم عن طريق احياء الشعائر الدينية والتأكيد عليها وفرض قيود جديدة على أهل الذمة • كل ذلك كان ضرورة ملحة لكسب تأييد هؤلاء الفقهاء ومن ورائهم جمهور العامة لضمان أمن الدولة العباسية ضد أحزاب المعارضة • وقد ظل فقهاء أهل السنة يبذلون جهودا كبيرة خلال القرون التالية لحماة مذهبهم تجاه التحديات المختلفة داخل نفوذالدولة وخارجها ولادراك أكبر درجة من الوحدة الدينية والاجتماعية والثقافية في العالم الاسلامي •

دور الخلفاء في تبلور المذهب السني :

لم يترك الخلفاء العباسيون الاوائل فرصة تمر دون أن يؤكدوا على ميلهم

الى مذهب أصحاب الحديث ودون أن يبدوا رغبتهم في جعله مذهبا رسميا للدولة • فقد أشار الخليفة الاول أبو العباس الى عدل خلافة الراشدين كما أشار المنصور الى حسن سيرة الخلفاء الراشدين[٣] • وأظهر الميل الى أحكامهم وتشريعاتهم •

وأظهر العباسيون انهم يمثلون السنة والجماعة وانهم خير من يحكم لان الله طهرهم وأذهب عنهم الرجس• وبأنهم ما جاءوا الا لاحياء السنة واتباع القرآن• ويشير الى هـذا الدور البروفسور كب فيقول « فقد أخذوا (العباسيين) يؤكدون للناس ما للخلافة من منزلة دينية ومن مهمات دينية ويرعون الفقهاء رعاية يكفلون بها حماية رسمية لمذهب سني تحت اشراف الدولة على أسس تذكرنا بتنظيم الزرادشتية في ظل الساسانيين[٤] • ويرى صديقي[٥] بأن محاولة الدولة تبني مذهب رسمي لها ساعد على زيادة انتشار الاسلام في ايران حيث كانت الديانات الفارسية القديمة لا تزال شائعة • وهذا الرأي يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا من أن وجود مذهب رسمي كان ضرورة دينية وسياسية ملحة • فالحركات الايرانية كالبهافريدية والمقنعية والخرمية كانت تعتمد على الايرانيين غير المسلمين بالدرجة الاولى وكذلك الحال بالنسبة الى ثوار طبرستان والديلم• وقد قام هارون الرشيد بنفسه بعدة محاولات لنشر الاسلام في هذه المناطق النائية ، كما عمل الولاة جديا لتقريب الاسلام الى أذهان الناس هناك وبناء المساجد لهم • ويشير البروفسور برنارد لويس[٦] الى أساس الوحدة في الدولة العباسية فيقول بأنه تحول من « الاصل المشترك للكتلة العربية الحاكمة الى العقيدة المشتركة (الاسلام) » • ويضيف البروفسور لويس فيقول « ان العباسيين مثل غيرهم من الحكام من قبل ومن بعد الذين سيطروا على السلطة بعد حركة ثورية وجدوا أنفسهم مجبرين على الاختيار بين شيئين : بين آراء وأفكار أنصارهم وبين متطلبات الحكومة والامبراطورية من جهة أخرى • وقد اختار العباسيون مذهب السنة والجماعة والاستمرارية ولذلك كان عليهم أن يواجهوا ويقمعوا حركات بعض أنصارهم السابقين • وقد أبعدت هـذه

السياسة بصورة خاصة الجناح المتطرف في الدعوة الذي عبّر عن نفسه في سلسلة من الانتفاضات الدينية السياسية في ايران • وفي فترة متأخرة بشكل حركات شيعية متطرفة كالاسماعيلية والحشيشية والقرامطة »[٧] • ويرى الدكتور الدوري بأن من واجهات الثورة العباسية الواجهة الدينية التي تنادي بالسير على الكتاب والسنة[٨] • ويقول الاستاذ نكسي كيدي[٩] بأن القرون الاولى في الاسلام شهدت ضغط الفقهاء والعامة عربا وغير عرب لصبغ الادارة والنظام السياسي بصبغة اسلامية ـ والمعروف ان الدين كان أحد الاركان الثلاثة التي استند اليها العباسيون في تأسيس حكمهم • أما الركنان الآخران فانهما الجيش والكتّاب وفي كل ركن من هذه الأركان أوجد العباسيون مظاهر جديدة أو طوروا المظاهر التي كانت موجودة في العهد الاموي خاصة في عهد هشام ومروان الثاني »[١٠] •

وفي رواياتنا التاريخية العديد من الامثلة التي تدل على تصميم العباسيين على محاولة ايجاد مذهب « سني » يدعمه الفقهاء ويعضده جمهور الناس • ففي عهد الثورة نادى العباسيون بالدعوة الى كتاب الله وسنة نبيه • وخطب داود بن علي في الكوفة فأكد ذلك ثانية ووعد الناس بأن يحكم العباسيون بما أنزل الله وبسنّة رسول الله (ص) • وخطب داود هذا في مكة فقال « والآن تولى القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الامر الى مستقره في أهل بيت نبيكم ••• فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا ولا تجعلوا النعم التي أنعم الله عليكم سببا الى أن تبيح هلكتكم وتزيل النعم منكم »[١١] • وخطب المنصور في مكة فكان مما حُفِظ من كلامه « •• ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون • أمر مبرم وقول عدل وقضاء فصل والحمد لله الذي أثلج حجته وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة عرضا والفيء ارثا وجعلوا القرآن عِضِين • ولقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون • فكم نرى من بئر مُعطّلة وقصر مشيد وأمهلهم الله حتى بدلوا السنة واضطهدوا العترة وعندوا واعتدوا واستكبروا وخاب كل جهار عنيد

ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكرا »[١٢] . وحين خطب المنصور بأهل خراسان بعد ثورة محمد النفس الزكية اعتبر النصر العباسي نصر من عند الله تعالى وبتأييده فقال « حتى ابتعثكم (أهل خراسان) الله لنا شيعة وأنصاراً فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ودفع بحقكم أهل الباطل وأظهر حقنا وأصار الينا ميراثنا عن نبينا ، فقرَّ الحق مقره وأظهر مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا ... »[١٣] ولا شك فان رد الخليفة المهدي لنسب آل زياد من معاوية الى نسبهم الاول كان ميلا الى حكم السلف وطبقا لقول الرسول (ص) « الولد للفراش وللعاهر الحجر »[١٤] . وكان الهادي والرشيد يأمرون بقتل كل من يدان بسبّه فردا من أفراد السلف الصالح ، بل أكثر من ذلك كان الرشيد يشرف بنفسه على تطور عملية دخول الايرانيين الى الاسلام فقد أسلم على يديه مجموعة منهم[١٥] . ويروي العاملي[١٦] أن أبا بكر بن عياش قابل الرشيد فسأله هذا الاخير : انك أدركت أمر بني أمية وأمرنا فأسألك بالله أيهما أقرب الى الحق . فقال : ان بني أمية كانوا أنفع للناس وأنتم أقوم بالصلاة منهم . وقد وقع هذا الكلام موقعا حسنا لدى الرشيد الذي أكرم القائل .

وقد أصبح الدين أساس الادارة في العصر العباسي بل غدا مرجعا رئيسيا لتحديد العلاقات بين السلطة والشعب وهذا يعود الى أن الفهم العباسي للاسلام كان أوسع وأكثر شمولا من الفهم الاموي له[١٧] .

ثم ان الاتجاهات الفكرية والثقافيــة في هذه الفترة تأثرت بالاعتبارات السياسية ــ الدينية . فقد اتخذ العباسيون الاسلام قاعدة لدولتهم وحاولوا أن يشيعوا الافكار والمبادىء التي تساند مصالحهم السياسية وحاربوا الافكار المعادية للسلطة العباسية من جهة والاسلام من جهة أخرى . ولعل نظرة سريعة الى المؤلفات التي ظهرت في تلك الفترة تؤيد ما ذهبنا اليه . فاذا تركنا جانبا ما كتبه الرواة والاخباريون والمحدثون لتأييد وجهة نظر العباسية نلاحظ ظهور عدد من الكتاب الذين ساندوا العباسيين بطريقة أو بأخرى . فابن قتيبة

أظهر الضرر الذي يحدثه وجود الفرق المختلفة المتضاربة على المجتمع وعلى الدين وأوضح الطريق الصحيح للمسلمين في كتابه أدب الكاتب والرد على المعتزلة • ودافع الجاحظ عن الدولة العباسية في معظم رسائله وكتبه وخاصة العثمانية والرد على النصارى والنابتة وغيرها • وكتب علي بن ريان الطبري كتابه الدين والدولة في عهد المتوكل • كل ذلك وغيره ساعد على خلق جو ملائم لنمو المذهب « السني » الرسمي •

٢ ــ العباسيون ونظرية الخلافة :

آ ــ الخلافة مؤسسة دينية : ربما حاول بعض الخلفاء والولاة الامويين اضفاء صبغة دينية مقدسة على الخلافة الاموية • ففي رسالة الوليد الثاني الى نصر بن سيار يظهر انه اعتبر الخلافة مؤسسة مقدسة مصونة بحفظ الله ورعايته وانها وسيلته لاحقاق الحق واقرار العدل وتطبيق الشريعة[١٨] • وان طاعة الخليفة الاموي معناها طاعة الله ورسوله • وتظهر نفس هذه الدعوة في رسالة هشام بن عبد الملك الى واليه على العراق يوسف بن عمر حيث يشير بأن الامويين وحدهم الممثلون الحقيقيون للجماعة • وكانت خطب ولاة الامويين تلح كذلك على مطالبة الرعية بالطاعة والتحذير من الفتنة ومعصية الجماعة ، فقد خطب خالد القسري في مكة : « فعليكم بالاطاعة ولزوم الجماعة واياكم والشبهات فاني والله ما اوتى بأحد يطعن على امامه الا صلبته في الحرم »[١٩] • ورغم أن المؤرخين لا يذكرون للخلفاء الامويين ألقابا الا ان ابن حزم يقول بأن قسما منهم تلقب حيث كان معاوية يلقب « الناصر لحق الله » وان مروان ابن محمد كان يلقب « القائم بحق الله » ولا يخفى ما لهذه الالقاب ان صحت من دلالات دينية[٢٠] •

ورغم أن أثر الدين لم يكن في الواقع ضعيفا بالدرجة التي تصورها لنا بعض الروايات التاريخية عن العصر الاموي الا ان الامويين فشلوا في ارضاء الشعور الاسلامي مما أدى الى التنافر بينهم وبين الفقهاء • ويشير الى هــذا

البروفسور كب[٢١] فيقول : « وكان الخلفاء العباسيون أكثر استبدادا من الامويين وأشد منهم تقليدا للمثال الفارسي في ادارتهم ، غير انهم على الرغم من ذلك استطاعوا أن يرضوا الشعور الاسلامي ارضاءاً لم يبلغه الامويون . ولعله من قبيل التناقض أن يلصق الناس بالامويين تلك التهمة الشائعة وهي انهم حولوا الخلافة الى ملك مع انه لم يحدث أن مارس أموي مثل تلك السلطة الشخصية التي مارسها العباسيون الاول أو ظهر بمثل تلك الأبهة الملكية التي ظهروا بها » . ويقول الاستاذ كيدي « ان الامويين لم يزعزعوا النظام الديني للخلافة الراشدة عن طريق بناء دولة دنيوية بالدرجة التي يصورها العباسيون »[٢٢] .

ومهما يكن من أمر فبقدر ما يتعلق الامر بالخلافة فيمكننا القول بأن المبدأ القبلي كان أكثر المبادىء تأثيرا على تطورها في عصر الامويين[٢٣] .

أما العباسيون فأكدوا ان سلطتهم هي امتداد للخلافة الراشدة بعد فترة « الملك » الاموية ودعوا الناس أثناء ثورتهم الى « كتاب الله وسنة نبيه » واستعمل ولاتهم نفس النغمة[٢٤] بعد ذلك . وقد خاطب المنصور الشيعة العباسية واصفا اياهم « بانصار الدين » [٢٥] بينما دعا الامويين « بانصار الباطل »[٢٦] . وقد أوصى المنصور نفسه ابنه المهدي بأن يكون أهل الدين أعضاده[٢٧] . وأصبح الخليفة مقدسا وأصبحت سلطته مستمدة من عند الله تعالى فقال المنصور « انما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده فأرغبوا اليه وسلوه أن يوفقني للرشاد والصواب وان يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم » [٢٨] . وقد وصفت احدى الروايات المتوكل بانه « حبل ممدود بين الله وخلقه » .

وقد أكد الكتّاب المعاصرون للفترة العباسية الاولى هذه المزايا التي استجدت أو تأكدت في الخلافة العباسية . ومن هؤلاء الكتّاب عبد الله بن المقفع وأبو يوسف قاضي القضاة والجاحظ .

ورغم ان نسبة المانوية الى ابن المقفع لم تثبت بعد فالمعروف عن هـذا الكاتب شكه في العقيدة الدينية أيا كان نوعها • ومع ذلك فقد اعترف باهمية الدين بالنسبة للمجتمع وضرورته [٢٩] • وأكد ان الخليفة لا يستحق الطاعة الا باطاعة الشعائر والسنن • واقترح على أمير المؤمنين بأن يجمع الناس على كتاب جامع وتشريع واحد ، وان يستشير بذلك أصحاب الرأي من العلماء (ذوي العلم والثقافة) والفقهاء [٣٠] ويجعلهم من بين صحابته • ويستطرد ابن المقفع فيقول بان الدين يشغل دورا رئيسيا في استقرار الحكومة • وبعد أن يقسم الملك الى ثلاثة أقسام : ملك دين أو ملك الحزم أو ملك الهوى ، يرى بان النوع الاول هو الافضل حيث تتوفر طاعة الرعية ويسود الاستقرار • ومن الواضح ان طبيعة النظام السائد في عصره كان نظاما قائما على الدين من الناحية الرسمية [٣١] •

أما ابو يوسف القاضي فقد بين للرشيد بصراحة في مقدمة كتابه (الخراج) المباديء التي تستند عليها حكومة اسلامية صحيحة تهتدي بسنة الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الاموي • وانبرى الجاحظ[٣٢] يدافع عن قدسية الخلافة فقال « فلسنا نشك ان الامام الاكبر بخصائصه من التوفيق والعصمة والتأييد لم يكن الله ليجلله باسم الخلافة ويحبوه بتاج الامامة وباعظم نعمة واسبقها •• ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته الا ومعه من الحلم والعقل ما لا يبلغه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم » • ويقول في رسالة استحقاق الامامة :[٣٣] « وان اول احكام الدين المبادرة الى اقامة امام المسلمين لئلا يكونوا نشرا ولئلا يجعلوا المفسدين علة وسببا » • وحث ابن قتيبة[٣٤] على التفقه بعلم الدين ولزوم السنة وهاجم المتشككين فقال « وارفع درجات لطيفنا ان يطالع شيئا من تقديم الكواكب وينظر في شيء من المنطق ثم يتعرض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله بالتكذيب وهو لا يدري من نقله • وقد رضي عوضا من الله ومما عنده بان يقال فلان دقيق النظر يذهب الى ان لطف النظر قد أخرجه عن

جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه • فهو يدعوهم الرعاع والغثاء وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهي به أليق •• ولو ان هذا المعجب بنفسه الزاري على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدى ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وأخبار الرسول وصحابته وعلوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه ••• » •

ب ـ سلطة الخليفة من سلطة الله :

في الاسلام السيادة لله تعالى واليه ترجع الامور وهو الذي يرعى المصالح العامة ولكن الله بدلا من أن يمارس الحكم شخصيا فوض سلطته في الامور الدينية للخليفة الذي يملك زمام الحكم(٣٥) • وعلى ذلك فقد كان للخيفة شيء من الصبغة الميثوقراطية التي لا تنبعث من ارادة الشعب • وقد ظهرت هذه النظرية منذ العصر الاموي رغم خفتها في تلك الفترة • قال عبد الملك ابن مروان في خطبة له : « فعظم عليهم حق السلطان وقال له هو ظل الله في الارض وحثهم على الطاعة والجماعة »(٣٦) • ومع ذلك فلم تكن الخلافة في الاسلام مجردة تماما عن ارادة الشعب التي كان يعبر عنها باساليب مختلفة غير منظمة •

وقد تأكدت هذه النظرية وتعمقت في العصر العباسي بازدياد قدسية الخلافة نفسها • فأصبح الخليفة خليفة الله وأصبح سلطانه سلطان الله • ولعل أول ما يجلب الانتباه هو ادعاء العباسيين بالعلم السري بما هو كائن في المستقبل • ففي رواية أخبار العباس (٣٧) تشير الى ان (الصحيفة الصفراء) التي ورثها العباسيون عن أبي هاشم فيها علم الباطن وتنبأ عما سيكون في أخبار الدعوة وتطورها • وفي احدى وصاياه لولي عهده المهدي يشير المنصور الى « العلم السري » الذي يحتويه كتاب يعود الى الفترة العباسية فيقول « فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة »(٣٨) • لقد استهدف المنصور من هذا الادعاء اعلاء شأن الخلافة العباسية بنظر الجمهور أولا والرد على دعوات المعارضة الشيعية العلوية ثانيا •

ولعل اهتمام المنصور البالغ باستقرار الحكم العباسي يظهر جليا في احدى وصاياه لولي عهده المهدي حيث استند على الدين مؤكدا على ان سلطان الخليفة من سلطان الله تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا .. » ويذكر الخليفة ابنه « بان السلطان حبل الله المتين وعروته الوثقى ودين الله القيم فاحفظه وحطه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه وأقمع المارقين منه وأقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلات بهم ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن . واحكم بالعدل ولا تشطط فان ذلك أقطع للشغب واحسم للعدو وأنجع في الدواء »[٣٩] .

كما وان البيت التالي الذي قيل في هارون الرشيد يؤكد نفس النظرة[٤٠]:

الله قلـد هـارونـا سيـاستنـا لمّا اصطفاه فاحيا الدين والسننا

وشاع استعمال الالقاب ذات الدلالات الدينية ـ السياسية بين الخلفاء فاستعمل لقب امام وخليفة الله وظل الله . ويقول القلشقندي[٤١] ان من ألقاب الخليفة ابي العباس القائم وقيل المهدي وقيل المرتضى . وتلقب أبو جعفر بالمنصور الذي كان له أكثر من دلالة . أما الخليفة العباسي الثالث فتلقب بالمهدي وهو (المنقذ المنتظر) وهكذا . وأضاف خلفاء آخرون كثيرون اسم الله الى أسمائهم مثل المعتصم بالله والمتوكل على الله الخ ... وتشير رواياتنا التاريخية بكثرة الى هذه الالقاب مما يدل الى تداولها بين الناس وشيوع استعمالها ولعلي أشير هنا الى قول ابن المولى في المهدي[٤٢] :

أغنى قريشا وأنصار النبي ومـن بالمسجدين باسعـاد وأحفـاد
كان منافعه فـي الارض شائعـة تترا وسيرتـه كـالماء للصادي
خليفـة الله عبـد الله والـده وأمـه حرة تنمـي لامجـاد
من خير ذي يمن في خيـر رابية من القبول اليهـا معقـل الناد

وفي رسائل العرب مواضع كثيرة تشير الى الخلافة العباسية وتصفها بخلافة الله . وفي قصائد بعض الشعراء نلاحظ اشارات جلية تدل على المفهوم

السائد بان ارادة الخليفة من ارادة الله تعالى [٤٣] . يقول ابن هرمة للمنصور :

فاما الـذي امنت امنـه الـردى   وأما الذي أوعدت بالشكل ثاكل[٤٤]

وحين يخاطب مروان ابن أبي حفصة المهدي يقول :

فـان طليق الله مـن أنت مطلـق   وان قتيـل الله مـن أنت قاتله[٤٥]

ولكن الفقهاء رفضوا هذه التسميات وخاصة منها خليفة الله بشدة والى هذا يشير الماوردي والقلقشندي اللذان يؤكدان بان الخلفـاء الراشدين رفضوا هذه التسمية[٤٦] .

ولعل من الظواهر الجديدة كذلك وصف العباسيين لنسلهم (بالشجرة المباركة) حيث قال عبد الصمد بن علي « أيها الناس لا يغرنكم صغر السن فانها الشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء »[٤٧] . وذلك في مناسبة البيعة للامين الذي لم يكن قد تجاوز الخمسة سنوات .

وقد أوضحنا في فصل سابق ان العباسيين أشاعوا في جملة خطبهم في السنوات الاولى من حكمهم وكذلك ما تدل عليه رايتهم «الظل» ان الخلافة فيهم وسوف لا تخرج عليهم حتى قيام الساعة .

ودخلت الظواهر الدينية في مراسيم البلاط والادارة فكان الخليفة يرتدي بردة النبي وهي اولى اشارات الخلافة في المناسبات والمظالم والقضاء والصلاة وحين اعلان الجهاد على الكفار[٤٨] .

ومن مظاهر قدسية الخلافة وتعاظم سلطة الخليفة نظام ولاية العهـد الوراثية الذي ضرب التقاليد العربية عرض الحائط فقد ذكرنا سابقا انالسيادة في الاسلام لله تعالى ثم للقانون (الشريعة) وكان على الخليفة ان يطيع الله ويعمل بموجب القانون الا انه لا توجد وسيلة قانونية لمناقشة شرعية ماتقوم به السلطة أو الخليفة مما جعلهما غير مقيدين قانونيا تجاه أية مؤسسة أو تنظيم دنيوي[٤٩] . وتبعا لهذا فان رد الفعل او الحكم على أعمال السلطة

كان يتخذ شكلا فرديا أي ان كل فرد يحكم بنفسه على مدى مطابقة أعمال السلطة للمصلحة العامة • ومع ان تسنم الخليفة الجديد لمنصبه لا يتم رسميا الا بعد البيعة العامة ، أي ان السلطة كانت ترجع الى رأي الامة وموافقتها ولكن هذه البيعة وخاصة في العصر العباسي لا يمكن ان تعتبر انتخابا بأي شكل من الاشكال وانما كانت ضرورة شكلية واعترافا بتنصيب خليفة حصل على سلطته بطريق التعيين أو الوراثة أو الاغتصاب والاستيلاء أو بأي شكل من الاشكال • ومع ان البيعة احتفظت بأهميتها في العصر العباسي الاول حيث كانت السلطة حتى عهد الرشيد ترجع الى رأي الامة • فقد فقدت البيعة مزاياها العملية بعد الرشيد • ويحض ابو يوسف القاضي المسلمين على طاعة خليفة الله مستندا على حديث عن رسول الله (ص) يحث فيه المسلمين على طاعة الخليفة حتى ولو كان عبدا حبشيا • والطريف ان حركة المعارضة الخارجية تستند في بعض أفكارها السياسية على نفس هذا الحديث النبوي • كما وان الامام الغزالي استند على نفس هذا الحديث ليبرر شرعية سلطة الامراء العسكريين الذين سيطروا على الحكم في العالم الاسلامي ويحث الناس على طاعتهم(٥٠) • فالغزالي يحذر من الثورة على السلطان الذي أيدته الجماعة واعترف به الناس من أجل الحفاظ على وحدة الامة الاسلامية من الانقسامات ••

ولنعد الآن الى العصر العباسي الاول فنلاحظ بأن نظام ولاية العهد تطور أكثر في عهد المأمون حيث لم يشترك في أمر تعيين الخليفة بعد المأمون الا قادة الجيش وكبار الموظفين وكان تعيين المتوكل في واقعه قراراً عسكرياً صدر عن قادة الجيش وأدى الى ازدياد تأثير الجيش في السياسة كما هو واضح في العصر العباسي الثاني • وهكذا وبصورة تدريجية فقدت الامة أية رغبة في التأثير على نظام ولاية العهد وبالتالي ضيعت حقها في التدخل لاختيار الخليفة • على اننا يجب أن نستدرك ونقول بان السبب في هذه اللامبالاة من جانب الامة لا يعود فقط الى الوضع السياسي وظروف البلاط

بل ان العصر كان عصر تقدم اجتماعي وازدهار اقتصادي ويظهر ذلك من انتعاش الزراعة والتجارة وازدهار المهن ورقيها وظهور المدن وتطورها .. كل ذلك غير من مصالح الناس واتجاهاتها وجعلها لا تهتم كثيرا بمسائل السياسة والبلاط وتعقيداتها .

ورغم ان المعارضة وابداء الرأي تجاه اعمال السلطة كان فرديا فانه كان واضحا . واذا تركنا جانبا أحزاب المعارضة السياسية التي بحثناها في فصل سابق ، فقد ابدى الفقهاء والمحدثون والعلماء الكثير من الآراء الجريئة . ورغم ان الفقهاء بصورة عامة تقبلوا « المذهب الرسمي » الذي أوجده العباسيون وأيدوا الاجراءات التي اتخذتها الدولة لحفظ الوحدة الدينية ومحاربة الزندقة في سبيل الاحتفاظ بوحدة الجماعة الاسلامية . كما وانهم اضطروا أحيانا الى التنازل والتوفيق في مواقفهم تجاه السلطة . الا اننا نلاحظ منذ البداية وجود تيار يعارض بعض مظاهر هذا المفهوم الرسمي للاسلام ويعارض سيطرة السلطة على الامور الدينية ويتمسك تمسكا شديدا بمبدأ الاستقلال عن السلطة [٥١] .

ولقد هاجم سديف بن ميمون مولى بني هاشم الدولة الاموية واصفا اياها بقوله « اللهم انه قد صار فيئنا دولة بعد القسمة وامارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للامة »[٥٢] ، وعاد فهاجم العباسيين وانضوى تحت لواء العلويين ومدح محمد النفس الزكية فقال :

ايه أبا اسحق حليتها ... في صحة منك وعمر طويل

اذكر هداك الله رحل الاولى ... سير بهم في مصفحات الكهول

ومال بشار بن برد الى العلويين كذلك وقال منددا بالمنصور :

تجردت للاسلام تعفو سبيله ... وتعري مطاه لليوث الضراغم

فمازلت حتى استنصر الدين اهله ... عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

ونلحظ نفس هذا الارتكاز على الدين في هجوم محمد النفس الزكية على المنصور حيث قال في خطبة له : « أيها الناس فانه كان من آمر هذا الطاغية عدو الله ابي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في ملكه وتصغيرا للكعبة الحرام وانما أخذ الله فرعون حين قال انا ربكم الاعلى ... »[٥٣] .

ويشير ابن قتيبة بـان « أموال الملوك صارت وقفـا علـى شهوات النفوس .... »[٥٤] . وفي المقريزي[٥٥] تندد رواية بالخلافة العبـاسية فتقول بانها استحالت الى كسروية وقيصرية . وفي رجال الكشي عن المعلى ان كان يرى بأن العباسيين بدلوا حكم الله ونبذوا كتابه وحرفوا فرائضه عن جهة الشريعة والسنة ويستمر المعلى قائلا « اللهم العن جبابرة زمانـنـا وأشياعهم واتباعهم وأحزابهم واخوانهم انك على كل شيء قدير »[٥٦] .

وكان بعض الافراد يعترض على الخلفاء في أثناء الخطبة أو في رسائل شخصية فقد اعترض على المنصور ، ويشير الطبري ان رجلا اعترض على المهدي وكان يخطب قائلا « وانت فاتق الله فانك تعمل بغير الحق » فقال له المهدي ما أراك الا نبطيا فاجابه « ذاك أوكد للحجة عليك أن يكون نبطي يأمرك بتقوى الله » . واعترض على الرشيد في مكة حيث قيل له « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » . وكان موقف الخلفاء يختلف بين قتل المعترضين أو حبسهم أو ضربهم . والمعروف ان المنصور كان يقول « الملوك لا تحتمل القدح في الملك »[٥٧] وهذا يدل على شدته تجاه اعدائه السياسيين على انه كان مرنا واسع الفكر فلم يعرف عنه انه عاقب الفقهاء أو الاتقياء، ولعله لم يجرأ على ذلك فقد أتهمه أحدهم في الكعبة بالبغي والفسادة والطمع حيث قال له : « ان الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحصى والآجر وأبوابا من الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك عنهم فيها .

وبعثت عما لك على جبايات الاموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع وأمرت ألا يدخل عليك أحد من الرجال الا نفرا سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا أحد الا وله من هـذا المـال حق .

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ألا يحجوا دونك تجبى الاموال وتجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله فمالنا لا نخونه ؟ فائتمروا ألا يصل اليك من علم اخبار الناس شيء الا مـا أرادوا ... وانتشر ذلـك عنك وعنهم فأعظمهم الناس وهـابوهم وصانعوهم ... » .

وقد بكى الخليفة وذهب الرجل دون أن يمسه شيء . على ان الجاحظ يحاول الدفاع عن الخليفة العباسي فيقول على لسان المأمون « لا يستطيع أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحمائتهم وكفائتهم وبين صنائعهم وبطائنهم .. وهناك خيانات في صلب الملك لا يستطيع الملك أن يكشف للعامة وضع العورة في الملك ولا أن يمنح لتلك العقوبة بما يستحق من الذنب ... »[٥٨] .

٣ ـ العباسيون والفقهاء من أصحاب الحديث :

المعروف ان أول من جاهر بالتذمر من حكم عثمان بن عفان (ض) كان عدد من الاتقياء الذين هزت ضمائرهم تلك النزعة الدنيوية التي بـدأت بالظهور حينئذ . وعارض هؤلاء أنفسهم الدولة الاموية منقاديـن بنفس الدواعي الدينية التي كانت تعارض الميول الدنيوية لبعض الخلفاء الامويين[٥٩]. ان شعارات الدعوة العباسية وسياسة الخلفاء العباسيين الاوائل تظهر بجلاء ادراكهم لاهمية الدور الذي لعبه الفقهاء والذي يمكن أن يلعبوه في مصير الدولة الجديدة . فأكدوا على صفة الخلافة الدينية وحاولوا تأسيس مذهب رسمي للدولة يهدفون من وراءه وضع المؤسسات الدينية تحت اشراف الدولة كما كان الحال في الدولة الساسانية . وتقربوا الى الفقهاء واصحاب الحديث ورعوهم وحاولوا كسبهم الى تأييد الحكم العباسي .

وسنتطرق في الصفحات التالية الى مناقشة النقاط آنفة الذكر واحـدة فواحدة لنتبين منها مدى نجاح العباسيين في تقربهم الى رجال الدين ومدى تقبل هؤلاء لوجهة النظر العباسية •

ولعله من المسلم به القول بان العصر العباسي الاول شهد نشاطا كبيرا في الحقول الفكرية والعقلية في المجتمع الاسلامي وما نتج عنه من ظهور المدارس المختلفة في الحديث والتفسير والتشريع واللغة والادب والتاريخ وعلم الكلام وغيرها من العلوم العقلية والنقلية • كما وظهرت من جهة أخرى فرق وأحزاب دينية ـ سياسية خالفت الدولة العباسية ورأت ان العباسيين اغتصبوا السلطةوحكموا بغير العدلفكان هناك العلويين والخوارجوالامويين وكان هناك المعتزلة والمرجئة والنابتة والناصبة وغيرهم كثير •

على ان الفرق الاسلامية والمذاهب الكلامية أخذت وقتا ليس بالقصير لكي تتبلور وتتوضح معالمها الرئيسية والواقع ان كل الفرق كانت تدعي لنفسها انها تمثل الجماعة وانها تدعو الى كتاب الله وسنة نبيه • ولكن الظروف السياسية والوقائع الحربية بين المسلمين أنفسهم وظهور علم الكلام الذي أدى الى مناقشات عنيفة حول مواضيع شائكة مثل حرية الارادة وطبيعة الله والقرآن ••• وغيرها أدت في حوالي منتصف القرن الثاني الهجري : التاسع الميلادي الى تبلور الاتجاهات ووضوحها •

فلم يكن مذهب (أهل السنة والجماعة) في بدايته الا فكرة غامضـة مرنة تتسع لكثير من الجماعات ، وبعد المحنة التي عركت الامة الاسلامية أثناء الحرب الاهلية الاولى وما جرى في أعقابها بانت الخصائص الاولى لمذهب أهل السنة حيث انقسم المسلمون الى فئتين تمثل الاولى دين عثمان، وتمثل الثانية « دين مروان » • وكان أتباع ابن الزبير يمثلون الفئة الاولى وأتباع الامويين الفئة الثانية ، واعتبر الشيعة الزيدية أنفسهم الممثلينالوحيدين « للمذهب السني » مذهب أصحاب الحديث ويظهر من هذا بان الجذور

الاولى لمذهب أهل السنة كانت تستند على عوامل عاطفية وجغرافية فقد اعتقد أهل الحجاز بأنهم أهل الحديث ورأى فقهاء المدينة وعلمائها بأن رأيهم في القضايا الشرعية هو الرأي الوحيد الذي يمثل الاجماع ويجب أن ينفذ ويطبق شرعيا باعتبارهم حفظة أحاديث الرسول (ص) وباعتبار أن المدينة كانت عاصمة الدولة الاسلامية ومبعث الدين الاسلامي • وترد روايات عديدة في هذا المجال لعلنا نذكر واحدة منها حيث تقول « وانما العلم عند أهل المدينة »[٦٠] •

من هذا نلاحظ بأن مذهب السنة والجماعة كان تطورا لمذهب (أصحاب الحديث) • ورغم اننا لا نعرف بالضبط الفترة التي شاع فيها استعمال هذا الاصطلاح ولكننا نعرف بأن أصحاب الحديث ضم مجموعة من المحدثين الذين اهتموا بجمع أحاديث الرسول (ص) وكذلك الفقهاء • والمعروف عن هؤلاء المحدثين والفقهاء الاوائل انهم كانوا ذوي ميول علوية رغم أن هذا الولاء للعلويين كان يختلف في نسبته بين التطرف والاعتدال • فقد عرف مالك بن أنس وأبي حنيفة وسفيان الثوري بميول علوية معتدلة • يقول الشهرستاني (ملل ١/١٦٣) عن أبي حنيفة انه زيدي[٦١] • ويقول الاصبهاني ان أبا حنيفة وسفيان الثوري والاعمش وآخرين من فقهاء الكوفة أيدوا ثورة محمد النفس الزكية[٦٢] • ويقول الاصبهاني « أصحاب الحديث اشتركوا في ثورة البصرة مع ابراهيم • وان عباد بن العوام من أصحاب الحسن البصري قاتل الى جانب ابراهيم الحسني • ويصف نفس المؤلف سفيان الثوري بأنه زيدي[٦٣] • ويؤكد الازدي بأن محمد بن هرمز الفقيه ومحمد بن غيلان وأبا حنيفة ومطر الوراق وبشير الرحال أيدوا ثورة ابراهيم[٦٤] • كما اننا نعتبر فقهاء آخرين في الكوفة من أمثال سليمان بن مهران الاسدي (ت ١٤٨ هـ) • وسلمة بن كحيل ، وابراهيم الخفي والحسن بن صالح بن حي ذوي ميول علوية معتدلة[٦٥] • على أن فقهاء كوفيين آخرين من أمثال جابر الجعفي وزرارة ابن أعين وحلقته كانوا من أنصار القضية العلوية غير المعتدلين • ولم يكن هناك

كبير اختلاف بين المحدثين « العثمانية » وبين « أصحاب الحديث » ذوي الميول العلوية المعتدلة في المدينة والكوفة فالكل كان يعترف بامامة الخلفاء الراشدين الاربعة وهي نقطة جوهرية كما وانهم يبنون آرائهم على الكتاب والسنة • ولعل أهم دليل على تقرب أصحاب الحديث الى العثمانية هي تبنيهم لمذهب الارجاء الذي يميل الى اللين والتوفيق وذلك بالكف عن تكفير أحد أو نفي الايمان عن أحد وارجاع الحكم في ذلك الى الله تعالى[٦٦] •

وحين حاول العباسيون تأسيس مذهب رسمي (سني) لدولتهم الجديدة كان هدفهم جذب الفقهاء من أصحاب الحديث في الحجاز وفقهاء الكوفة ذوي الميول العلوية المعتدلة وغيرهم من الاتقياء والعثمانية لمساندة السياسةالعباسية• ولذلك لم يبق هناك أي سبب لوجود العثمانية كفرقة منفصلة بل انها انغمرت شيئا فشيئا وتلاشت مع (أهل السنة والجماعة) • كما استطاع العباسيون أن يكسبوا الكثير من الفقهاء ذوي الميول المختلفة ـــ بطريقة أوبأخرى ـــ الذين أيدوا المذهب الرسمي للدولة حفاظا على وحدة الامة الاسلامية •

على أن عملية التلاحم والتوافق بين (أصحاب الحديث) والعباسيين أخذت فترة ليست قصيرة بدأت منذ عصر المنصور وتبلورت في عصر الرشيد وكان لها نتائج يهمنا منها في هذا الباب :

١ ـــ زوال فرقة العثمانية التي دخلت في مذهب أهل السنة والجماعة •

٢ ـــ مهادنة أنصار الامويين وظهور نزعة جديدة لاحياء فضائل الامويين والتمجيد بهم[٦٧] وبحقهم بالخلافة فقد جمع أبو عمر الزاهد[٦٨] أحاديث في فضائل معاوية كما دافع علي بن أحمد الاندلسي عن الخلافة الاموية وشرعيتها • بل تطرف بعضهم في هذه النزعة وبالغ فيها[٦٩] •

٣ ـــ ظهور نزعة الخضوع وروح الاذعان للسلطة على عكس نزعة التحدي والابتعاد عن السلطة التي اتصف بها الفقهاء في عهدهم الاول فقد تميز موقف الفقهاء من أهل السنة والجماعة بتبني مبدأ طاعة السلطان ولو كان جائرا حفاظا

على الوحدة وعدم شق عصا المسلمين وسفك دمائهم[٧٠] •

٤ ـ تقلد كثير من الشخصيات التي توصف بأنها عثمانية مناصب ادارية وقضائية في الدولة وخاصة في عهد الرشيد ،كما وان الجاحظ نفسه الذي دافع عن العباسيين بحرارة كان يوصف بأنه عثمانيا[٧١] •

٥ ـ وقد بدأ الامام محمد الباقر وأتباعه يعملون في حوالي نفس الفترة هذه بوضع أسس مذهبهم الذي سمي فيما بعد بالامامية أو الاثنى عشرية •

٦ ـ ان المحنة التي قادها المأمون ومن ورائه المعتزلة ضد الحنابلة أدت الى بلورة المذهب السني الذي كان لا يزال غير واضح حتى عصر المتوكل ٨٤٧/٢٣٣ • فلقد وصف المعتزلة الحنابلة بأنهم مجسمة حشوية وصموا الذات الالهية بصفات بشرية • وكان انتصار المذهب الحنبلي والشافعي على المعتزلة دون شك انتصار مذهب جمهور العامة على عقيدة الخاصة المتعلمة[٧٢] •

وقد هاجم الجاحظ بدافع من عقيدته الاعتزالية وولائه للعباسيين المحدثين الذين عارضوا مذهب الدولة الرسمي (الاعتزال) في عصر المأمون الى المتوكل ووصفهم (بالمشبهة) ولكنه يعترف بشعبيتهم عند العامة ويشير الى انهم وجهوا العامة في طريق الضلال والخطأ لكونهم لا يصلحون لقيادة الجمهور وتوجيهه[٧٣] •

٧ ـ وبدأنا نلاحظ ورود روايات تصف شخصيات معينة بولائها لمذهب معين مما يدل على بدأ تبلورهذه المذاهب ووضوحها فهذا «جماعي» أي من أهل السنة وهذا «شيعي» أي موالي للعلويين وهذا «خارجي» وهكذا ••• ويقول البلاذري نقلا عن المدائني «كان عبدالجبار الازدي شيعيا وكان أخوه عبدالعزيز قاصا يرى الاعتزال وكان له أخ يرى رأي الجماعة فقتلوا جميعا » • وفي رواية أخرى عن الهيثم بن عدي وهشام بن محمد الكلبي « كان ـ عيسى بن روضة ـ حاجب المنصور حتى ظهر منه على تشييع فعزله عن حجابته » وفي رواية ثالثة يقول « كان عبد الجبار يتشيع » [٧٤] وواضح ان التشيع اخذ

يتخذ معنـــا محددا لـــه يعني الموالاة لآل علي • ويقول الجـــاحظ « لم يكن في الارض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة »[٧٥] كل ذلك يدل على تحديد معاني هذه الاصطلاحات •

٤ ـ مواقف الفقهـــاء :

لقد لاحظنا بان العباسيين بنوا حكمهم على أساس ديني يستند عـــلى الشريعة • وحاولوا تأسيس مذهب رسمي للدولة يكون أحـــد الاعمـــدة الرئيسية الذي تستند عليه • على ان المنصور رغم كونه رائد هذه الحركة الا انه كان مرنا مع الجناح المتطرف للدعوة العباسية ولعل ذلك يرجع لاسباب سياسية أولا ولقرب العهد بالثورة العباسية ذاتها،اما عهد المهدي فيمثل انفصالا تاما عن العناصر المتطرفة وبدء حركة دينية منظمة مرتبطة بمذهب اصحـــاب الحديث والفقهاء فأحاط الخلافة بجلال الدين وأقام العدل وأشرف عـــلى المظالم وطارد الزنادقة •

وتشير رواياتنا التاريخية الى ان المنصور تقرب الى المعتدلين من اصحاب الحديث والفقهاء ولعله كان مدركا لظروف عصره ولتأثير هؤلاء الفقهاء على جمهرة الناس خاصة وان هؤلاء الاتقياء أنفسهم هم الذين وصموا الدولة الاموية بميول دنيوية وسموا عهدها « بالملك » لا « بالخلافة » • وقد دعا المنصور الفقهاء وقربهم وشجعهم على جمع الحديث والكتابة في الفقه والتفسير•

أما موقف هؤلاء الفقهاء فقد تباين واختلف ، منهم من لم يهضم ادعاء العباسيين بالخلافة ولم ير انهم أحق بها من غيرهم ومنهم من تحرج في قبول منصب اداري أو قضائي أو حتى الاتصال بالسلطان وهذا الموقف السلبي من الدولة امر متعارف عليه لدى الكثير من الفقهاء والاتقياء • ومنهم من كان معروفا بميوله العلوية المعتدلة او المتطرفة ومنهم من لم ير فرقا كبيرا بـــين دولة العباسيين الجديدة ودولة الامويين البائدة وكان يريد أن يرى دولـــة تعتمد على الدين اكثر من اعتماد العباسيين • كل هؤلاء لم يكن لديهم دافع

يدفعهم الى الانضمام للعباسيين • ولكن المنصور استطاع ان يكسب عددا آخر من الفقهاء الذين ساندوا النظام الجديد وأيدوه ضد أعدائه السياسيين والفكريـــين •

وكان مالك بن انس الاصبحي المدني من فقهاء المدينة ، وقد عرف المنصور فضله واثره والتقى به عدة مرات وقال له مرة : « يا أبا عبد الله لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم واني أخالك امانا لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة فانهم ما علمت أسرع الناس الـى الفتن وأضعفهم عنها قاتلهم الله أنى يؤفكون »[٧٦] • وقد طلب المنصور من مالك ابن أنس ان يقنن له كتابا في الفقه يجعله دستورا تسير عليه الدولة • ولعل هذه الفكرة هي نفس فكرة عبد الله بن المقفع الذي لاحظ عدم وجود قانون موحد تسير عليه الاقاليم فحث الخليفة على ذلك قائلا « فلو ان أمير المؤمنين كتب امانا معروفا محيطا بكل شيء يحفظه رؤسائهم ويقودوا به دهمائهم »[٧٧] • وربما كانت فكرة ابن المقفع ان تسيطر الدولة على التشريع فتسن القوانين الجديدة ويوافق عليها الخليفة باعتباره الرئيس الاعلى ويكون بمقـدور الخليفة الجديد ان يعدل فيها ويغير تبعا لتطور الظروف وتبدل الاحوال • وحين دعا المنصور مالك بن انس لكتابة هذا التشريع قال له « واقصد الى أواسط الامـور وما اجتمـع عليه الأئمة والصحابة لتحمل النـاس انشاء الله على علمك وكتبك » وهذا يدل على ان الخليفة كان يهدف الـى تشريع معتدل يرضي الجميع ويوحد رأي الامة • ولكن مالك لم يوافق على رأي الخليفة بتطبيق قانون موحد في كل الاقاليم التي اتبع كل منها فقهاء مختلفين اجتهدوا اجتهادات متباينة • ولذلك فان آثار مالك التي وصلت الينا وهي الموطأ والمدونة لم تكتب على الاعم الاغلب لكي تكون تشريعا عاما للدولة الاسلامية • لكن مالك كان يميل الى العلويين وحث على الانضمام لثورة محمد النفس الزكيـة قـائلا « انما بايعتم مكرهين وليس عـلى مكره يمين فاسرع الناس الى محمد ولزم مالك بيته » ولم يضطهده الخليفة

الا ان والي المدينة جعفر بن سليمان ضربه بالسياط . وقد توفي سنة ١٧٩هـ[٧٨] .

وكان عمرو بن عبيد ذا صلة قوية بالمنصور قبل الخلافة حيث كان الاخير يحضر حلقته في البصرة وقد استدعاه الخليفة وطلب منه العون والعضد المعنوي ولكنه رفض . وفي رواية للسيوطي[٧٩] ان عمرو قال للمنصور : « انه ما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه . فقال ابو جعفر فما أصنع ؟ قد قلت لك خاتمي في يدك فتعال واصحابك فأكفني ، قال عمرو ادعني بعد لك تسخ أنفسنا بعونك . ببابك ألف مظلمة أردد منها شيئا نعلم انك صادق » .

واذا استمرينا على نهجنا الذي سرنا عليه في هذا الكتاب وهو عدم تقويل الاحداث بل نتركها تتحدث عن نفسها بنفسها عن طريق الروايات التاريخية ، فنذكر ما يرويه السيوطي ان ابا جعفر سأل عبد الرحمن بن زياد الذي كان يطلب العلم معه قبل الخلافة . كيف سلطاني من سلطان بني أمية؟ قال ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئا الا رأيته في سلطانك فقال المنصور انا لا نجد الاعوان قلت قال عمر بن عبد العزيز : ان السلطان بمنزلة السوق يجلب اليها ما ينفق فيها فان كان برا اتوه ببرهم وان كان فاجرا اتوه بفجورهم فأطرق [٨٠] .

وكان الخليفة يحترم الفقهاء ويسميهم « المشيخة » وكان يسمى ابن أبي ذئب « خير أهل الحجاز » ... كما دعى المنصور الليث بن سعد ليستلم امارة مصر ولكنه رفض قائلا اني اضعف عن ذلك لاني من الموالي فاجابه : ما بك ضعف معي ولكن ضعفت نيتك . ويقول عنه الذهبي « ان نائب مصر وقاضيها من تحت اوامره واذا رابه من احد منهم أمر كاتب فيه الخليفة فيعزله » . وارسل المنصور الى سفيان الثوري فلما دخل عليه قال له عظني فقال : وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت[٨١] .

وقد حاول المنصور ان يكسب ابا حنيفة النعمان بن ثابت ليقبل منصب

القضاء[٨٢] وأجره على الاشراف على بناء بغداد ثم سجنه الخليفة بسبب ميوله العلوية وتأييده لثورة ابراهيم الحسني في البصرة ثم توفي بعد ذلك بقليل في سنة ١٠٥ هـ . وكان المنصور يستمع الى كلام الفقهاء دون ان يجيب بل ينصت ويظهر الاهتمام الشديد . وقد عفى المنصور عن أهل البصرة لان المبارك بن فضالة رجاه بالعفو بعد ثورة ابراهيم . وحين اعترض على حكم لسوار بن عبد الله القاضي قال الاخير « ان عدل سوار مضاف اليك وزين لخلافتك [٨٣] » .

وقد بينا في فصل سابق (المعارضة العلوية) علاقة الخليفة المنصور بجعفر الصادق واحترامه له ومحاولة كسبه الى جانب العباسيين ، ولا شك فان الامام الصادق كان يعتبر من مشاهير فقهاء الحجاز كما وان نسبه الهاشمي العلوي زاد من منزلته بين الناس وكان على السلطة العباسية ان تحسب لهذه الاعتبارات حسابها . وقد استمرت العلاقة الودية . مع بعض فترات الاستثناء، بين المهدي والامام الكاظم .

وكان لهؤلاء الفقهاء مواقف جريئة وحازمة في أثناء بعض الاحداث السياسية في عهد المنصور فلقد لاحظنا موقف مالك بن أنس وابي حنيفة وغيرهم مع محمد وابراهيم الحسني . وقد اتهم ابن أبي ذئب أبا جعفر بالظلم والجور لانه لم يعزل معن الشيباني بعد أن قتل الكثير من أهل اليمن . وقد حذر المنصور الفقهاء لمواقفهم الجريئة فقال « أما بعد يامعشر الفقهاء فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره وضاق به ذرعه وكنتم أحق الناس بالكف عن ألسنتكم وأولى بلزوم الطاعة والمناصحة في السر والعلانية لم استخلفه الله عليكم » .

وحين طلب المنصور من عبد الله بن طاوس ان يحدثه قال : « قال الرسول (ص) : ان أشد الناس عذابا وم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله »[٨٤] .

وقد علق عمرو بن عبيد على سارق تقطع يده فقال « سارق العلانية (السلطان) يقطع يده سارق السر » • وحذر سفيان الثوري من الاتصال بالسلطة والابتعاد عنها فقال حين شاهد رجلا من الجند [٨٥] : « يمر بكم المبتلي والمكفوف، فتسألون الله العافية ويمر بكم هؤلاء فلا تسألون الله العافية » وكان الاوزاعي فقيه أهل الشام ومحدثهم المشهور وقد طلبه عبد الله بن علي للقضاء فامتنع • وقابله المنصور حين زار الشام فاستأذنه ألا يلبس السواد فأذن له • وقد بعث اليه المنصور وقال له أريد الاخذ منكم فأجابه يا أمير المؤمنين انظر ولا تجهل شيئا مما أقول قال كيف اجهله وأنا أسألك عنه فأجابه أن تسمعه ولا تعمل به • وتروى مصادرنا روايات عديدة عن مواقفه الجريئة أمام السلطة العباسية[٨٦] • فقد جرت محاورة بينه وبين عبدالله بن علي العباسي أول والي للشام في عهد العباسيين وكانت على النحو التالي :

يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من ازالة أيدي أولئك الظلمة عن البلاد والعباد اجهاد هو ؟

أيها الامير سمعت يحيى بن سعيد الانصاري عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) « انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » •

ما تقول في دماء الامويين ؟

قال رسول الله (ص) « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة •

ما تقول في أموالهم ؟

ان كانت في أيديهم حرام فهي حرام عليك أيضا • وان كانت لهم حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعي •

ألا نوليك القضاء ؟

ان أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك واني أحب أن تتم ما ابتدأوني به من الاحسان •

وكتب الى المنصور مرة « أما بعد فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل وتواضع يرفعك الله •• واعلم ان قرابتك من رسول الله (ص) لن تزيد حق الله تعالى عليك الا وجوبا » • وحين علم الاوزاعي ان المنصور يتوانى في فداء المسلمين وتبادل الاسرى مع الروم كتب اليه « أما بعد فان الله تعالى استرعاك هذه الامة لتكون فيها بالقسط قائما وبنبيه في خفض الجناح والرأفة متشبها واسأل الله ان يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الامة ويرزق رحمتها فان سائخة المشتركين التي غلبت عام أول وموطئهم حريم المسلمين واستنزالهم العوائق والذراري من المعاقل والحصون كان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله أكثر ••• فليتق الله أمير المؤمنين وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا وليخرج من حجة الله فان الله تعالى قال لنبيه (ص) « ما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ••• » فكيف تبقيهم يا أمير المؤمنين بأيدي عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا نستحله الا بنكاح ؟ وأنت راعي الله والله تعالى فوقك ومستوف منك » • فلما وصل كتابه أمر الخليفة بالفداء • وعدا هذا وذاك فان مصادرنا حافلة بالروايات عن مشاورة المنصور للفقهاء وأهل الدين والاتقياء محاولا التقرب اليهم أو « الاخذ عنهم والاقتباس منهم » على حد قوله • ولعل المنصور كان يدرك الاهمية السياسية والدينية لهؤلاء حين سئل عن شيء يوده ولم ينله فقال « ان أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث »(٨٧) •

وللاوزاعي مواقف أخرى جريئة منها ما وقفه مع الولاة العباسيين الذين شددوا على أهل الذمة في بلاد الشام كما سنأتي عليه في مناسبة أخرى • وكان تأثيره كبيرا بحيث ان ولاة الشام كانوا يتحاشونه فقد قيل لاحد الولاة « دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلونك لقتلوك » •

وقال أحد الولاة عن الاوزاعي « كنت أخاف منه أكثر مما أخاف الـذي ولاني » (٨٨) وكان لليث بن سعد (٨٩) في مصر ما كان للاوزاعي في الشام من تأثير ونفوذ عظيمين وخاصة في اختيار الولاة والقضاة لمصر • يقول ابن تغري بردي « كان الليث كبير الديار المصرية ورئيسها وامير من بها في عصره بحيث ان القاضي والنائب من تحت امرته ومشورته » • وقد قيل عنه في رسالة الى المنصور :

أمير المؤمنين تـلاف مصـرا فـان اميرهـا ليث بن سعد

وفي عهد المهدي العباسي تأكدت الصبغة الدينية للخلافة العباسية وحاول الخليفة عن طريق تبنيه لمظاهر دينية متعددة ان يعطي الانطباع بانه المهدي المنتظر من اهل البيت • فبنى المساجد وقصر المنابر متبعا سيرة السلف الاول ووسع مساجد الحرمين واصلح طرق الحج وطارد أهل الزندقة وتقرب الـى الفقهاء وقرب أهل الحجاز • فقد زار المهدي المدينة وأمر بنسخ كتاب الموطأ لمالك بن أنس • وسأل المهدي سفيان الثوري ان يصحبه الى بغداد ليعينه على السير بالناس سيرة الشيخين (العمرين)(٩٠) ، وشددت العقوبة على كل من يسيء الكلام حين يذكر صحابة رسول الله • وعبر المهدي عدم رضـاه عن أحد أبناء أبي عون الداعية العباسي لانه يسيء الى الشيخين ابي بكر وعمر (ض) • ولقد كانت هذه النبرة هي التي أكد عليها العباسيون منذ تأسيس حكمهم واستطاعوا أن يجذبوا اليها في النهاية جمهرة كبيرة مـن أصحاب الحديث الذين مالوا الى الاعتدال والتوفيق كما بينا ذلك سابقا (٩١) •

وقد تودد الخليفة المهدي الى سفيان الثوري وطلب منه أن يتولى القضاء فرفض وتوارى عن الانظار ، وحين عثر عليه وجيىء بـه لم يظهر الاحترام للخليفة فهم الربيع بن يونس قتله فقال المهدي : « ان ما يريد هذا وأمثاله ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم • اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم » • ورفض المنذر بن عبد الله أن يلي القضاء للمهدي قائلا

« اني عاهدت الله ان لا آلي شيئا وأعيذ أمير المؤمنين بالله ان اخنث بعهدي» . وكان صالح بن بشير المري شديدا على المهدي حين وعظه(٩٢) .

وطلب الليث بن سعد من المهدي ان يعزل اسماعيل بن اليسع الكندي عن قضاء مصر لانه كان على مذهب ابي حنيفة فلم يرض به أهل مصر قائلا « انك وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله بين أظهرنا » فعزله (٩٣) .

وأظهر هارون الرشيد الاحترام والتودد الذي أظهره ابوه المهدي للفقهاء فتقرب الى الليث بن سعد والشيباني وابي يوسف القاضي وابي البحتري وغيرهم . وكان الرشيد حين يحج يأخذ معه قواده ووزرائه وقضائه . وفي رواية للطبري أن الرشيد دخل البيت الحرام ومعه كتاب ولاية العهد واحضر معه وجوه بني هاشم والقواد والفقهاء . مما يدل على أهمية منزلة الفقهاء عند الرشيد (٩٤) .

ويشير السيوطي (٩٥) الى أن الرشيد غضب حين شك أحد الجالسين معه من وجوه قريش في حديث نسب الى الرسول (ص) وقال « النطع والسيف زنديق يطعن في حديث النبي » . ولعل هذه الحادثة لها ما يشابهها في عهد المهدي حين قبل نعالا ادعى صاحبه انه للنبي (ص) فلما انصرف الرجل قال المهدي لخاصته : « والله اني لا أعلم ان رسول الله لم ير هذه النعل فضلا عن ان يلبسها ولكن لو رددته لذهب يقول الناس أهديت اليه نعل رسول الله فردها علي فتصدقه الناس لان العامة تميل الى أمثالها ومن شأنهم نصر الضعيف على القوي وان كان ظالما فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم ورأينا هذا أرجح وأصلح »(٩٦) .

وقد سار ولاة الرشيد على سيرته فحين تولى علي بن سليمان العباسي مصر أظهر (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) فمنع الملاهي والخمور وهدم الكنائس المحدثة بمصر . وحين تولى عبد الرحمن بن ابي الزناد خراج المدينة كان يستعين « بأهل الخير والورع والحديث »(٩٧) .

وكان المهدي والرشيد أقرب الى أصحاب الحديث وأميل الى وجهة نظر العثمانية وقد شددا على أهل القدر ونفوهم وتعقبوهم[٩٨] • والظاهر ان مذهب القدرية قويت شوكته في هذه الفترة وخاصة في البصرة •

ونحن لا نشك في أن ما تذكره كتب التراجم والطبقات وبعض كتب التاريخ عن سيرة هؤلاء الفقهاء وخاصة عن مواقفهم تجاه السلطة العباسية أو جرأتهم بحضرة الخليفة العباسي من روايات قد لعبت فيها الوضع والخيال والمبالغة والزركشة دورا غير قليل • وسواء كانت هذه الروايات أو بعضها موضوعة أم صحيحة فانها دون شك تظهر طبيعة العلاقة بين الفقهاء والخلفاء • ولا شك بان الموقف السلبي لبعض الفقهاء كان واضحا منذ العهد الاموي بل قبل ذلك في الفتنة الاهلية الاولى في عهد عثمان • ولقد اعتبر الفقهاء وأهل التقوى السلطان أصل الشر والبلاء وحاولوا تجنبه في رواية تنسب الى عمر بن عبد العزيز يحذر فيها من التقرب الى أصحاب السلطان ومجالستهم ويقول بأن ما يصيب صحابة الامير والمقربين اليه من الاثم بسبب مصاحبتهم له أكثر مما يقدرون على عمله من خير حتى ولو كانوا يقودونه في الطريق الصحيح ولذلك فضل أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وغيرهم النفي والهرب والسجن والتعذيب على الاشتغال في وظائف الدولة • ورغم ان سلوك أبا يوسف كان مثالا للفضيلة فلم يعترف به كمحدث ثقة بسبب «صحبة السلطان» • وحين يشير الغزالي الى أصحاب السلطان من الاشرار يحذر الفقهاء بان « لا يصرفونهم ولا يعرفونه » • ويقول الغزالي[٩٩] ان على الفقيه اذا قابل حاكما جائرا وفاسدا في مناسبة عامة فعليه ان يظهر له الاحترام اللائق بمركزه لان عكس ذلك ربما يشجع على الثورة والتمرد التي يعارضها الغزالي خوف الفرقة والتصدع في الامة • ولكن من ناحية أخرى اذا قابل الفقيه نفس الحاكم في مناسبة خاصة فعليه الا يقوم له ولا يحترمه من اجل أن يظهر له مكان الدين وحرمته وعلو شأنه • ولدينا اشارات الى ما قام به بعض الفقهاء في حضرة الخلفاء في العصر العباسي الاول فيشير الخطيب

البغدادي الى ان محمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب لم يقف للمهدي حين قابله • كما وان محمد بن الحسن الشيباني لم يقف للرشيد مبررا ذلك بانه لا يريد أن يخرج من طبقته (طبقة العلماء) الى طبقة الخدم (١٠٠) •

ولم يكن الفقهاء الذين قاسوا من السلطة العباسية السجن والتعذيب والضرب بالسياط ليعتبروا كل هذه الاعمال التي تعرضوا اليها اهانة بحقهم وتصغيرا لهم بل على العكس فقد كانت وسيلة لنقاء روحهم من الاثم الذي ربما لصق بهم بسبب صحبتهم للسلطان او قبولهم المناصب والهدايا منه كما وان اضطهادهم زاد كثيرا من منزلتهم عند الناس •

ولعلنا تتساءل الآن ما هو السبب وراء هذا الموقف السلبي لبعض الفقهاء المشهورين من الدولة والخلافة وربما امكننا القول بان ذلك يعود الى الاسباب التالية :

١ — ان نزعة الشك وعدم الخضوع للسلطة نزعة متأصلة وليست جديدة في المجتمع العربي • وان حب الحرية وعدم الانقياد لاية حكومة مركزية كانت من أهم صفات القبائل البدوية قبل الاسلام وبعده • ولعل هذه النزعة نفسها بقيت بعد ظهور الاسلام ولكنها ظهرت بمظهر جديد واصطبغت بصبغة دينية في مجتمع ديني • وليس أدل على ذلك من القول بان الخوارج وهم من اقوى الاحزاب الدينية في الاسلام كانوا في بداية حركتهم من البدو •

٢ — على ان السبب الآنف الذكر لم يكن دون شك وراء معارضة الاتقياء والفقهاء الخلص الذين تشبعوا بالروح الدينية والذين اعتبروا العهد الراشدي مثلا أعلى يجب أن يحتذي به الحكام اللاحقون • ولذلك عارضوا الحكم الاموي واعتبروه ملكا عقيما • كما وخاب أملهم بالحكم العباسي الذي لم يحقق في نظرهم ما كانوا يصبون اليه بل أكد على الدين ظاهريا فقط • وقد عارض هؤلاء الفقهاء سلوك بعض الخلفاء العباسيين وترف البلاط والاسراف على المظاهر الدنيوية •

٣ ــ ثم ان الجذور التاريخية لموقف الفقهاء السلبي تعود في أصلها الى دوافع اقليمية وشخصية ذلك لان الفكر الديني الاسلامي بما فيه من فقه وتشريع تطور ونما في الفترة الاموية في الحجاز والعراق • وكانت العداوة والنزاع السياسي شديدا بين العراق والشام • وقد حابى الامويون اهـل الشام واعتمدوا عليهم ولذلك وجد أهل العراق من القبائل العربية المستقرة في الكوفة والبصرة وكذلك ممثليهم من الفقهاء والمحدثين أنفسهم في نزاع مستمر مع الخلافة الاموية وبالتالي الابتعاد عنها والنفور منها •

وتتمثل في هذه النقطة ثلاثة عوامل رئيسية : العامل القبلي الذي عادى الامويين لاسباب سياسية والعامل الديني الذي عارض الامويين بسببوجهتهم الدنيوية ــ التي وصفوا بها ــ والعامل الاقليمي بسبب المنافسة بين العراق والشام • كل ذلك دفع أهل العراق وفقهاء العراق لمعارضة السلطة الاموية •

٤ ــ ولعل الموقف السلبي للفقهاء في العصور التالية التي تلت العصر العباسي الاول يعود الى سيطرة العناصر الاجنبية المرتزقة على السلطة فقـد سيطر القواد الاتراك على الحكم في العصر العباسي الثاني وتلاهم البويهيون والسلاجقة والاتابكة والمماليك وغيرهم من الحكام المحليين الذن كونوا لهم دويلات مستقلة أسميا أو فعليا عن الخلافة العباسية • ولا شك فان ذلـك أوجد صعوبات للاتصال والتفاهم والانسجام •

٥ ــ ومما هو جدير بالذكر بان وجود كتلة كبيرة من الفقهاء واصحاب الحديث كقوة في المجتمع الاسلامي لها تأثيرها الكبير على الناس وخـاصة جمهور العامة يعتبر عاملا مهما ساعدها على تكوين مثل هذا الموقف تجاه السلطة • ولما كان من تقاليد هذه الكتلة الا تتقاضى راتبا من السلطة بـل تتحرج في قبول الهدية أو العطاء من الخليفة أي انها لا تعتمد ماديا عـلى الدولة ولذلك كان بمقدورها ان تترفع عن الاختلاط برجال الحكم بل وتقف منه موقفا معارضا احيانا •

ولا بد لنا أن نضيف القول بان هذا الموقف تبدل في العصور العباسية المتأخرة (أي بعد القرن الثالث الهجري) حين اعتمد (العلماء) من قضاة وشيوخ وأساتذة مدارس وغيرهم في أمورهم المعاشية على الدولة • فقد كان لا بد لهم ان يغيروا موقفهم السلبي الى موقف ايجابي يدين بالطاعة للحكـــام •

٦ ــ والمعروف تاريخيا ان الرسالة الاسلامية التي أوصى بها الله تعالى الى الرسول (ص) بدأت في مكة وظل الرسول (ص) فترة من الزمن يبشر بها في مكة والطائف حتى تيسر له ان ينتقل الى المدينة ويضع أسس الدولة الاسلامية كان لها شريعة واحدة هي الشريعة المستمدة من الاسلام • ان هذه الحقيقة جعلت الفقهاء ورجال الدين وهم رعاة الـــدين ومفســروه وواضعوا مذاهبه الفقهية ينظروا بريبة الى النظم السياسية للدولة الاسلامية وبعدت الشقة بين الفقهاء وممثلي السلطة السياسية بتطور هذه النظم ونموها• وكان الفقهاء يرون بان المؤسسات السياسية لها قيمة محدودة وعليها ان تكون اداة أو وسيلة تساعد الشخص العادي ليعد نفسه اعدادا صحيحا للحيــاة الاخرى • وتشير بعض رواياتنـــا التاريخية(١٠١) الى النفور بين الفقهــاء والوزراء وغيرهم من ممثلي النظم السياسية •

• • •

ورغم وجود ذلك التيار المعارض بين الفقهاء للمفهوم الرسمي لمذهب السنة والجماعة ورغم معارضة الفقهاء لمحاولة الدولة السيطرة على الامور الدنيوية التي اعتبروها من اختصاصهم فاننا يجب ان نعترف بوجود عدد كبير متزايد من الفقهاء الذين تقبلوا اجمالا مذهب الدولة السني وأيدوا تدابير السلطة للحفاظ على وحدة الامة الدينية ومحاربة الزندقة والشعوبية • وهذا يعني بان الفقهاء الذين أيدوا العباسيين ربما كانوا أكثر واقعية من غيرهم حين توصلوا الى نوع من التسوية والتوفيق (١٠٢) يعترف باستقلالهم الروحي

وحقهم في فرض المقاييس الاخلاقية الاسلامية وفي نفس الوقت اعترفوا بدور السلطة في الحفاظ على الوحدة الدينية وبقائها ومحاربة الزندقة والحركات الهدامة وأدركوا كذلك بان تصلبهم المفرط سيكون خطرا على الاسلام نفسه .

وليس يهمنا هنا ما آلت اليه هذه السياسة التوفيقية والتنازلات من قبل الفقهاء من تطورات في القرن الثالث والرابع الهجريين (١٠٣) .

واذا أردنا أن ندلل على وجود التيار المؤيد للعباسيين من الفقهاء تقول بان سوار القاضي كان « يخذل الناس عن ابراهيم وأخيه » الثائرين في المدينة والبصرة . وان سعيد بن ابي عروبه أمر الناس بعدم الاشتراك ودخول المنازل وامتنع هشام بن ابي عبيد الله عن تأييد الثورة أو خذلانها كما امتنع عمرو بن عبيد عن تأييد محمد النفس الزكية . وقبل محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى قضاء الكوفة على عهد المنصور . ومن قضاة المنصور عاصم الاحول وسوار بن عبد الله وشريك بن عبد الله . وقد استعمل والي مصر ابو عون الازدي (القاضي عبد الرحمن بن سالم لتنظيم ديوان الجند . وقد عين المحدث عبد الرحمن بن ابي الزناد على خراج المدينة في هذه الفترة كذلك وعين اسماعيل بن عياش لتنظيم أراضي الخراج فيدمشق ثم مسؤولا عن خزانة السلاح فيبغداد. وتولى عبد الله بن شبرمة اعمالا قضائية وادارية للعباسيين وكان عيسى بن موسى يستشيره ويستشير محمد بن ابى ليلى ويأخذ برأيهم حول الاشخاص الذين ينوي تعيينهم في الادارة (١٠٤) .

ولسنا نود الاطالة ففي اليعقوبي (التاريخ) والازدي (تاريخ الموصل) وخليفة بن خياط (التاريخ) والخطيب البغدادي (تاريخ بغداد) وغيره من كتب التراجم والطبقات اسماء الكثير من الفقهاء والمحدثين والقضاة الذين استعان بهم الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الاول (١٠٥) .

من كل ذلك يمكن القول بان الخلفاء العباسيين الاوائل نجحوا في كسبهم

للفقهاء وأصحاب الحديث الذين أيدوا الدولة ومذهبها الرسمي وساندو تدابيرها الدينية والسياسية • ولعل الميل الى ما يسمى بالعثمانية وتأييد مذهب أهل السنة والجماعة ومحاربة القدرية وأهل الاهواء والبدع والزندقة هو أهم ما يميز الفترة بين ابي العباس والرشيد •

٥ ـ العباسيون والقضـــاء :

ان الدعوى التي بنى عليها العباسيون خلافتهم كانت دعوى دينية • وكان من مظـاهر تقوية هذه الصفة الدينية ان بدأ الخلفـاء العباسيون يعينون القضاة بأنفسهم وكان القضاة حتى ذلك الحين يعينون عادة من قبل أمراء الاقاليم ولذلك نرى المقدسي يسميهم (قضاة الخلفاء) وهذا يعني أنهم كانوا ممثلي ومنفذي سياسة الدولة في الامور الدينية • وبدأنا نلحظ اهتمام المؤرخين بالقضاة حيث يسرد اليعقوبي مثلا قوائم بقضاة الخليفة بعد الكلام عن عصره [١٠٦] •

وكان المهدي والهادي والرشيد يجلسون أحيانا للمظالم بأنفسهم ويحيطون أنفسهم بالفقهاء اظهارا لجلال الدين واحقاقا للعدل[١٠٧] ولعل ذلك كان اقتداءاً بالرسول (ص) الذي كان ينظر في مشاكل الجماعة بنفسه • ويذكر الفخري ان المهدي حين يجلس لرد المظالم يقول « ادخلوا عليَّ القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم الا للحياء منهم لكفى » •

وقد ظهر منصب (قاضي القضاة) في عهد الرشيد وهذا المنصب ربما شابه منصب (موبدان موباد الساساني) وقد تولاه ابو يوسف قاضي قضاة الرشيد وأصبح من اختصاصه تعيين القضاة في الاقاليم بعد موافقة الخليفة[١٠٨] •

وقد اتسعت سلطة القاضي فأصبحت تشمل اضافة الى حسم المشاكل القضائية الصرفية أمورا دينية ليس لها علاقة بالقضاء ولكنها ضمت اليه بسبب معرفته بالشريعة ومنها (الاحباس) وهي الاشراف على أموال الوقف ورعاية مصالح الايتام ضد سوء رعاية اوليائهم او اوصيائهم ،، وولاية الحج

والصــلاة بالناس والخطبة والاشراف على الاماكن الدينية ومصاحبة الجيش أثناء الحملات وقد تولى قاضي مصر الاشراف على بيت المــال الاقليمي مدة طويلة •

ولكن السلطة العباسية كانت تتدخل في أعمال القضاة او تستغلهم لمشايعة خططهاالسياسية ، ولذلك نرى بان أغلب قضاة الرشيد يوصفون بانهم عثمانية أي من المساندين لمذهب الدولة الرسمي • ولعل من الامثلة على حمل الخلفاء قضاتهم للسير وفق رغباتهم ، سكوت الفقهاء على نقض ابي العباس لامان ابن هبيرة ونقض المنصور لامان عمه عبد الله بن علي ونقض الرشيد لنص الامان الذي اعطاه ليحيى بن عبد الله الحسني • بل ان الرشيد حين سأل أبا البختري عن صحة الامان (١٠٩) أكد له هذا بان الامان منتقض من أوجه مختلفة فأجابه الرشيد انت أعلم بذلك ومزق الامان •

وتشير بعض الروايات الى محاولة بعض الفقهاء ايجاد منافذشرعية للخلفاء على هيئة فتاوى توافق (١١٠) رغبات الخليفة ــ بل يروى ان قاضي مصر في أوائل عهد العباسيين خير بن نعيم حكم على جندي من أهل خراسان بالسجن بسبب أعمال ارتكبها ولكن قائد الجيش ووالي مصر ابا عون الازدي امر باطلاق سراحه فلم ير القاضي طريقا غير الاستقالة من منصبه (١١١) •

ولعل التقــدم الحضاري والرفاه المادي تتج عنه تعقد الحياة ونموهــا وبالتالي ازدياد النشاط الفكري والعلمي وحين يتكلم الذهبي عن القرن الثاني الهجري يقول : « في سنة ١٤٣ هـ شرع علماء الاسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن ابي عروبة وحماد بن سلمة وغيرها بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة • وصنف ابن اسحق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه والرأي • ثم بعد يسير صنف هيثم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وابو يوسف وابن وهب وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية

واللغة والتاريخ وايام الناس [١١٢] . وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم من حديث وفقه وتفسير أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة » . وهذا يدل على مدى النشاط العلمي في العلوم النقلية من حديث وفقه وتفسير بصورة خاصة . ويقودنا ذلك الى القول بان التشريع في هذه الفترة تقاسمته مدرستان : مدرسة الحديث الحجازية ومدرسة الرأي العراقية. ورغم ان الخلفاء العباسيين الاوائل حاولوا جذب كل ما يستطيعون جذبه من الفقهاء والمحدثين لتقوية سلطتهم الدينية والسياسية ولكنهم اخذوا يرتبطون تدريجيا بمدرسة الرأي العراقية في التشريع واصبح الفقه الحنفي معمولاً به بصورة عامة في العراق . وحين عين الرشيد ابا يوسف قاضيا لقضاة بغداد ومحمد بن الحسن الشيباني للرقة فان مكانه المذهب الحنفي تأكدت بل وأصبح المذهب الرسمي للدولة . ومع ذلك فان مذاهب اصحاب الحديث الاخرى كالمالكي والشافعي والحنبلي والاوزاعي وغيرها لم تضطهد أو تمنع من مزاولة نشاطاتها في كافة انحاء الدولة بل على العكس ترسخت تدريجيا في اقاليم اخرى مختلفة . ولكن ظهور هذه المذاهب وتبلورها ادى الى ضعف روح الاجتهاد في الاحكام عند القضاة . حيث اصبح القاضي ملزما باصدار احكامه وفق احد هذه المذاهب خاصة اذا كان المذهب منتشرا في الاقاليم ويدين به جمهور الناس . فكان على قاضي العراق ان يحكم وفق احكامه وفق المذهب الحنفيوعلى قاضي مصر انيحكم وفق المذهب الشافعي وهكذا.

٦ ـ العباسيون وأهل الحجاز :

يتمتع الحجاز بين الاقاليم الاسلامية بوضع خاص في تاريخ الاسلام فهو منبع الاسلا مالذي ظهر فيه وانتشر منه ، كما ان للمدينة حاضرة الحجاز مركز اخص ذلك لانها عاصمة الدولة الاسلامية الاولى حيث وضعت فيها أولى التشريعات لتنظيم الحكومة الاسلامية التي أكدت على فكرة السيادة لله سبحانه وتعالى والسلطة للرسول (ص) .

ويخطيء من يظن ان بلاد الجزيرة العربية كانت عديمة الحضارة فقد ترعرعت فيها مراكز حضارية منها البيئة الحجازية وهي بيئة حضارية ظهر فيهـا الاسلام وترعرع ولذلك نراه يحارب الكثير من تقاليد البدو او الاعراب الرذيلة ويدعو الى تقويمها وهذا الموقف الشديد من البداوة يتجلى في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ٠

ان انتقال الحكم الى الامويين افقد الحجاز ميزاته التي كسبها في صدر الاسلام ، وجعل أهل الحجاز ينقمون على الامويين الذين نقلوا الخلافة الى دمشق بحيث أصبحت المدينة مصرا من الامصار بعد ان كانت عاصمة ٠ وقد ترتب على ذلك دون شك فقدانها للاهمية السياسية وحرمانها للموارد المالية التي كانت تدر عليها من الاقاليم ٠ وكان من نتائج السياسة الاموية ان بدأنا نلاحظ عدم اهتمام اهل الحجاز بشواغل السياسة بل كرسوا جهودهم لدراسة الحديث والفقه او للتنعم بسماع الشعر والغناء واقتناء الجواري الحسان ٠

ولم تكن الاحوال مستقرة في الحجاز خلال العصـر الاموي على ان معارضته لا يمكن مقارنتها بمعارضة العراق وذلك لاسباب ستراتيجية وبشرية واقتصادية ٠

وحين تسلم العباسيون الحكم مالوا الى أصحاب الحديث وأكدوا للناس انهم سيعملون بالكتاب والسنة ويعتبرون العهد الراشدي المثل الذي سيسيرون عليه ٠ وكان العباسيون يأملون تأييد أهل المدينة ومكة وهم أهل الحديث لهذه السياسة ولكن المعارضة للحكم العباسي بدأت بالتصاعد بسبب خيبة الامل من الوعود العباسية وتسترت بستار موالي للعلويين لا بدافع من ايمان باحقية القضية العلوية وانما استغلالا لها كشعار للمعارضة ٠

ولذلك استعمل العباسيون في سياستهم تجاه أهل الحجاز الوعد والوعيد ٠ فمن أجل تأكيد صبغة الخلافة الدينية وترضية الحجازيين « أهل الحديث » أغدقوا العطاء والهدايا ولكن من جهة أخرى كان الولاة يحذرونهم دائما من

التعبير عن ميول معادية للعباسيين ويذكرونهم بما عانوه على أيدي الامويين والخوارج (١١٣) .

ورغم ان رأي المنصور لم يكن حسنا في أهل المدينة حيث قال : « انهم أسرع الناس الى الفتن واضعفهم عنها ... » (١١٤) فقد اتبع عدة وسائل لتهدئة الحالة في الحجاز منها :

١ ـ محاولة التقرب من الفقهاء وأصحاب الحديث أمثال مالك بن أنس وجعفر الصادق وغيرهما .

٢ ـ التحالف مع القبائل الحجازية بالزواج منها (١١٥) .

٣ ـ قام باداء الحج عدة مرات ١٣٦ هـ ، ١٤٠ ، ١٤٤ هـ ، ١٥٢ هـ (١١٦) .

٤ ـ منح أهل المدينة عطاءا كاملا حين زارها في موسم الحج سنة ١٤٠ هـ(١١٧) .

٥ ـ توسيع مسجد الرسول (ص) في المدينة واعادة تعميره .

٦ ـ اصطنع المنصور بعض الشخصيات ذات النفوذ القبلي واختارهم صحابة له .

٧ ـ وقد صمم على توسيع المسجد الحرام فقد شاهد حين حج صغر المسجد الحرام وقلة معرفة بعض الناس بحرمته ورأى الاعرابي يطوف بالبيت على بعيره ويجاوره فساءه ذلك وعزم على شراء ما حوله من الدور وزيادتها فيه . وقد أفتى له أبو حنيفة بالاستيلاء على الدور المجاورة واقناع اهلها بالحجة على بيعها(١١٨) .

٨ ـ أرسل حملة بحرية في الحال حين سمع ان (القراصنة الكرك) يهددون جدة ويهاجمونها سنة ١٥٣ هـ .

ولعل مما يميز عهد المهدي العباسي ميله الى التوفيق والاسترضاء والمسالمة وقد كان كريما تجاه اهل الحجاز حيث اغدق الارزاق والهدايا عليهم

وادخل من لم يدخل فيهم قوائم العطاء التي كانت قد توقفت بامر المنصور بعد ثورة محمد النفس الزكية سنة ١٤٥ هـ • ويقول مصعب الزبيري :

« جلس المهدي للناس يعطيهم الاموال يعطي الرجل من قريش ٣٠٠ دينار ويكسوه ٧ أثواب ••• وكان المغيرة بن جنيب من صحابة المهدي يوليه القسم على أهل المدينة والفرض لهم في العطاء ••• وقد وفد على المهدي وفد من وجوه قريش بينهم ابن صفوان فأمر له المهدي ٧٠٠ دينار ولكل رجل منهم • وكانوا وجوه أهل المدينة » ••

على ان ما لدينا من نصوص قليلة لا يمكننا من اعطاء فكرة واضحة عن العطاء والفرائض ولكننا نستطيع أن نستنتج مما يورده الزبيري وابن حزم وغيرها ما يأتي :

أولا — ان المهدي قسم اهل المدينة في قوائم العطاء الى كتل أولها بنو هاشم الذين تسلموا أعلى نسبة من العطاء يتلوها قريش ثم الانصار ثم الموالي • وكان عطاء أفراد العشيرة الواحدة غير متساو ، فالشيوخ تأخذ نسبة أعلى ثم تتدرج النسبة الى الحد الادنى الذي يشمل اغلبية أفراد القبيلة• ويظهر ان عدد الذين شملهم العطاء بلغوا حوالي ٨٠ ألفا •

ثانيا — وكان النقيب هو الذي يصنف الناس والعشائر •

ثالثا — وكان العطاء يختلف باختلاف العشائر فان فرائض هذيل ١٥ دينارا وآل الزبير ٥٠ دينارا وليست لدينا قوائم بفرائض مختلف العشائر كما ان النصوص لا تذكر فيما اذا كانت هذه الفرائض عطاءا سنويا ثابتا أم منحا ربما لا تتكرر •

رابعا — ان ترتيب الافراد والكتل في ديوان العطاء لا يطابق ترتيب الانساب أي ان الفرد ربما سجل في غير ديوان عشيرته والمعروف ان العطاء لا يورث وقد يكون الاب في العطاء وابنه ليس فيه •

خامسا ـ وقد اشتهرت الفرائض الجديدة التي فرضها المهدي لاهل المدينة ولعل ذلك يعود الى انها كانت أحسن وأوفر من التي سبقتها • وقد بلغ عدد هذه الفرائض الجديدة الف فريضة ، كما وانه اطلق العطاء لاهل المدينة •

وقد اهتم المهدي ببلاد الحجاز واهلها ومن مظاهر اهتمامه :

١ ـ توسيع واصلاح طريق الحج بين بغدادومكة وتعيينموظفا مسؤولا للاشراف عليه وتعميره حيث يقول الطبري « وأمر المهدي سنة ١٦١ هـ ببناء القصور في طريق مكة ••• وترك منازل ابي جعفر على حالها وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل • وبتجديد الاميال والبرك وحفر السكايا مع المصانع »[١١٩] •

٢ ـ كسى الكعبة الشريفة كسوة جديدة واتبع السنة في المنابر والمقاصير ووسع في المسجد الحرام[١٢٠] •

٣ ـ اعاد تزويد الحجاز بالحبوب من مصر والشام بعد ان كانت قد قطعت عنها في عهد المنصور بعد ثورة العلويين •

٤ ـ عين بنفسه قاضي المدينة •

٥ ـ اصطفى لنفسه سنة ١٦٠ هـ خمسمائة من الانصار ليكونوا معه حرسا له بالعراق وأنصارا وأجرى عليهم الارزاق سوى اعطياتهم وأقطعهم عند قدومهم قطيعة في بغداد عرفت باسم قطيعة الانصار [١٢١] •

٦ ـ عمر مسجد المدينة وغير اسم الوليد بن عبد الملك ووضع بدله اسمه [١٢٢] •

٧ ـ وقد تميزت سنة ١٦٠ هـ بالنسبة للحجاز بالرخاء وكثرة الزراعة والمحاصيل فاستبشر اهل الحجاز خيرا وقالوا هذا هو المهدي ابن عم الرسول (ص) وسميه [١٢٣] •

٨ ــ كان يكرم أهل الحجاز الوافدين الى بغداد ويحسن صلتهم(١٢٤) •

٩ ــ رد المهدي ديوانه وديوان اهل بيته الى المدينة ونقله من دمشق اليهـا (١٢٥) •

ان اجراءات المهدي هذه ربما استهدفت شيئين رئيسيين : الاول التأكيد على صفة المهدية التي كانت احدى المبررات في تقديمه للخلافة على عيسى ابن موسى باعتباره المهدي الحق الذي تكلمت عنه الاخبار والنبوات والملاحم الذي سيملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا • اما الهدف الثاني فيرمز الى المدى الكبير الذي يستطيع الخليفة ان يصل اليه في تقريبه واصطناعه للافراد والجماعات التي توالي الدولة العباسية •

وقد اتبع الرشيد تجاه اهل الحجاز نفس السياسة التي اتبعها المهدي • يقول اليعقوبي حج الرشيد سنة ١٧٠ هـ وفرق بين أهل مكة والمدينة عطايا كثيرة وأموال وفيرة ثم انصرف الى قبر المهدي (بما سنبدان) فتصدق عنده باموال عظيمة وجعلها رسما في كل سنة • ويؤكد الدينوري ان الرشيد « وضع العطاء لاهل المدينة واجزل لهم » • وفي سنة ١٨٥ أعطى الرشيد لاهل المدينة ثلاث أعطيات واعطى أهل مكة عطاءتين(١٢٦) •

ويظهر ان المأمون اهتم اهتماما خاصا برأي أهل المدينة في بيعته للرضا فكتب الى عامله على المدينة « ان اخطب في الناس وادعهم الى بيعة علــي ابن موسى » (١٢٧) ولكن الحجاز فقد تأثيره السياسي وحين عارض أهــل بغداد خطة المأمون أجبروه على الرجوع عنها •

٧ ــ العباسيون والفرق الدينية السياسية :

لقد لاحظنا فيما سبق ان الاسلام دين ودولة وان الخليفة وهو ممثل الله سبحانه وتعالى وخليفته في الارض يجمع كافة السلطات في يده ولذلك كان لا بد للمعارضة مهما كان نوعها ومحتواها ومهما اختلف موقفها من الدين

او الدنيا ان تتبرقع بستار ديني لكي تستطيع ان تعمل في مجتمع يلعب فيه الدين دورا رئيسيا .

ولقد تكلمنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب عن المعارضة السورية والعلوية والخارجية والفارسية وكانت هذه التكتلات من اقوى احزاب المعارضة للدولة العباسية في عصرها الاول .. كما واننا تكلمنا في هذا الفصل عن كتلة (أصحاب الحديث) وكذلك االعثمانية .

وسنتكلم في هذا الباب عن المرجئة والمعتزلة في دورها الاول حيث لم تكن قد تبلورت بعد الى فرق سياسية دينية لها آراؤها الواضحة . فالواضح ان مجال البحث والدراسة في هذا الكتاب ينتهي بعهد الخليفة هارون الرشيد وسوف نخرج من الحد الزمني الذي وضعناه لانفسنا اذا استطردنا بالكلام عن المعتزلة والحنابلة والنابتة والكرامية وغيرها من الفرق التي تبلورت بعد القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وعلى ذلك فان الكلام عن هذه الفرق يعتبر خارج عن الصدد .

والمرجئة كفرقة نشأت في القرن الاول الهجري / السابع الميلادي بسبب تفرق المسلمين واختلافهم في الرأي حول الخلافة وما نتج عنها من حروب أهلية وفتن دموية . ويقول الشهرستاني عن المرجئة قولهم « لاتضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة » والمعنى السياسي لهذا القول هو اعتبار الاطراف التي اشتركت في الحروب الاهلية وتنازعت على الخلافة جميعها أطرافا مسلمة غير خارجة عن الاسلام . وهم بهذا يختلفون عن العلويين والخوارج والمعتزلة حيث يعتبرون الطرفين المتنازعين « ثقة وعندنا مصدق فنحن لا تتبرأ منهما ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجىء أمرهما الى الله .. » .

وفي رواية يرويها ابن عساكر تسمي المرجئة « بالشكاك » الذين شكو ولم يجزموا في الحكم على أحد . وقد اطلق عليهم الجهيمة نسبة الى جهم ابن صفوان الذي ادعى « بان الايمان عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه

بلا تقية » وقد انضم الى جهم بن صفوان الى الحارث بن سريج المرجئي حين اختلف هذا مع الامويين وثار في خراسان وبلاد ما وراء النهر وقتل سنة ١٢٨ هـ / سنة ٧٤٦ م •

ولعل في مبدأ المرجئية هذا اقرار بالامر الواقع ومسالمة وتأييد للسلطة الاموية الحاكمة الا ان هذا التأييد كان سلبيا لا ايجابيا فالمرجئة غير مستعدين للدفاع بقوة السلاح عن الدولة الاموية بل ان الحارث المرجئي حمل السلاح ضد الدولة الاموية معارضا سياستها المالية والادارية في خراسان بل وقد تدخلت في ثورة هذا الشيخ العربي المغامر عوامل قبلية وشخصية • ولعل أبيات ثابت قطنة تشير الى ان المرجئة ستظهر رأيها بوضوح في أعمال الجور والتعسف والفساد • ويؤكد فان فلوتن ان المرجئة كانوا لا يتحرجون عن قتال أية حكومة تقر مثل تلك المظالم[١٢٨] •

وقد يكون صحيحا القول بان حياد المرجئة السياسي كان حيادا سلبيا أي ان مسالمتهم للسلطة كانت مسالمة سلبية مثلما كانت معارضة العلويين من شيعة الامام جعفر الصادق (رض) معارضة سلبية •

والظاهر ان المرجئة اضمحلت بعد زوال الدولة الاموية ويعلل بعض المؤرخين سبب ذلك الى محاربة الدولة العباسية لهذه الفرق وعقيدتها لانها تجاري الامويين الى حد ما[١٢٩] على اننا نعتقد بان هذه الفرقة لم يبق لها مبررا للوجود بعد ان تبنى آراءها السياسية جماعة « أصحاب الحديث » الذين استطاعت السلطة العباسية ان تكسبهم اليها فمالوا الى الاعتدال في آرائهم حول الفتن الاهلية ومسببيها في القرن الاول الهجري وسلكوا سبيل التوفيق والتسامح •

موقف المعتزلة السياسي من العباسيين الاوائل (١٢٩ آ) :

من المعروف ان الدولة العباسية اتخذت الاعتزال مبدأ رسميا للدولة منذ عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ هـ /٨١٣ م ـ ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) •

ولكن الباحث المتأمل لسياسة الخلفاء العباسيين الاوائل قبل المأمون يجد فيها الكثير من الغموض والتعقيد بل المرونة والتوفيق • ولا غرو في ذلــك فان الخلفاء العباسيين الاول جاءوا في أعقاب ثورة عارمة أقل ما توصف بهـ ـ كما قلنا ـ انها ذات طبيعة معقدة وواجهات متعددة • وقد وضع اعلان الدولة العباسية الخلفاء الاوائل في وضع حرج تجاه التكتلات الدينية ، السياسية التي عاضدتهم اثناء الثورة والتي استغلوها من اجل الحصول على السلطة • فكان على أبي العباس وابي جعفر المنصور ان يعلنوا الاتجاهات العقائديـة للدولة الجديدة • هل انهم يدينون بالتطرف ام انهم مسلمون يسيرون على كتاب الله وسنة نبيه • هل انهم سند للشيعة الراوندية ام للشيعة العباسية المعتدلة ام الشيعة العلوية ام لغيرها من الجماعات الدينية او السياسية • والحقيقة فان السموات الاولى من الحكم العباسي شهدت تناقضات واضحة في السياسة الدينية بالرغم من ان الخليفة ابا العباس اظهر نفسه بانه حامي الاسلام والحريص عليـه وان داود بن علي العباسي خاطب جمعا غفـيرا بالكوفه قائلا :

« لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله (صلعم) وذمة العباس رحمه الله ان نحكم فيكم بما انزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة منكم بسيرة رسول الله (صلعم) » وان المنصور اضفى على الخلافة ابهة دينية واظهر نفسه بمظهر « سلطان الله في ارضه » •

الا ان العباسيين بعد تجارب وتفاعلات مع آراء دينية مختلفة قرروا تبني عقيدة ما يسمون « باهل السنة والجماعة » ـ اذا صح لنا استعمال هذه الاصطلاحات في تلك الفترة المبكرة ـ وحاولوا كسب عدد كبير من اصحاب الحديث والعلماء الى جانبهم • وكان من الطبيعي ان يكون هناك رد فعل وان تظهر تكتلات دينية سياسية تعارض مجيء العباسيين للحـكم من جهة او تعارض سياستهم الدينية من جهة اخرى • وسرعان ما تطورت المعارضة هذه الى فرق دينية متبينة آراء ومصالح لفئـات مختلفة فثارت

الراوندية في خراسان والعراق وثار مؤيدوا العلويين في خراسان والحجاز والعرا ق وثار الخوارج في خراسان وسجستان والجزيرة وعمان وهكذا فقد كان على السلطة العباسية ان تتخذ اجراءات جديدة مناسبة لتحديد انتشار المعارضة هذه فزادت السلطة تشبثها بمذهب « أهل السنة » مستعملة اياه سلاحا قويا ضد اعدائها وخاصة العلويين منهم ، وزادت في محاولاتها لكسب الفقهاء والعلماء لتزيد من لونها الديني في نظر الناس • وكان هذا الاجراء من قبل السلطة العباسية يشابه في حقيقته الاجراء الذي اتخذه الملوك الساسانيون حينما تبنوا الزرادشتية مذهبا رسميا لدولتهم • فعلى الصعيد الديني حاول العباسيون بناء رأي عام اسلامي يقف حجر عثرة ضد كل الآراء الدينية الاخرى وعلى الصعيد السياسي فقد تميز هؤلاء الخلفاء الاوائل بسياستهم العنيفة تجاه العلويين والزنادقة • ولذلك فيمكننا القول بان سياسة الخلفاء العباسيين الدينية كانت تتميز بصفتين متداخلتين :

الاولى : مساندة مذهب « أهل السنة » أو أصحاب الحديث في محاولته تثبيت نفسه أمام التيارات الدينية المتعارضة •

الثانية : ان هذه المساندة الرسمية تعكس بصورة واضحة اهتمام الخليفة بالمحافظة على الكيان السياسي للخلافة العباسية وضمان استمرار بقائه بايدي العباسيين وعدم خروجه منهم الى العلويين مثلا خاصة اذا علمنا ان الكثير من العناصر في هذه الفترة المبكرة من الحكم العباسي والتي عارضت السياسة الدينية للعباسيين او عارضت السلالة العباسية نفسها كانت اما علوية او رفعت شعارات علوية من أجل تحقيق اغراضها •

الرواد المعتزلة والعباسيين الاوائل :

ومع كل ذلك فان السياسة الدينية للعباسيين لا يمكن ان تحدد فقد ظل الخلفاء العباسيون الاوائل مرنين في مواقفهم ونظرة الى سياسة المنصور —

وهو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ــ تؤكد ذلك كما سنرى في الصفحات المقبلة • ان هذا الغموض وهذه المرونة أثارت الكثير من التأملات والتفسيرات من قبل مؤرخي هذه الفترة من التاريخ العباسي • والذي يهمنا هنا هــو موقف ما يسمون برواد حركة الاعتزال أي أصحاب واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد من الثورة العباسية والسلطة العباسية حتى عهد المأمون •

وهنا تواجهنا فرضية الاستاذ نيبرك التي أوضحها في مقالة له في (دائرة المعارف الاسلامية) بأن المعتزلة اتصلوا بالعباسيين وعملوا لهم دعاة ممهدين لثورتهم • فالمعتزلة هي الواجهة الدينية للحركة السياسية العباسية • ولكننا اذا رجعنا فتعقبنا تاريخ حركة المعتزلة لوجدنا انها لم تكن متبلورة بعد في تلك الفترة (نهاية القرن الاول وبداية القرن الثاني الهجري) كفرقة فلسفية دينية وانما كان الاعتزال في بدايته عبارة عن الموقف السياسي المحايد الذي وقفه جماعة من المسلمين من الحروب والفتن الاهلية الاولى في تاريخ الاسلام • وتطور هذا الموقف الى ما يسمى بمبدأ (المنزلة بين المنزلتين) ولم يكن هذا الموقف في حقيقته موقف اللامبالاة أو السلبية من جانب المعتزلة وانما كان موقفا حتمه عليهم اعتقادهم بأن تقدم المجتمع الاسلامي يجب أن ينبع من حركة تطورية من داخل الدين الاسلامي نفسه وهذا سيؤدي بالمجتمع الى انتخاب امام عادل ليحكمه • ولم يعتقد المعتزلة بأن هناك أشخاصا أو عائلات معينة لها صفة القدسية بل ان منزلة الشخص تعتمد على مقدار علمه وسلوكه في المجتمع وهذا بالتالي يؤهله لاي منصب من مناصب الدولة حتى منصب الخليفة • وعلى هذا القياس قدر المعتزلة مدى صلاحية أي نظام من أنظمة الحكم فالسلطة تطاع اذا اتبعت كتاب الله وسنة نبيه وكانت عادلة وتقاوم اذا فعلت عكس ذلك • على أنه بالرغم من دعوة المعتزلة الى شهر السلاح على السلطان الجائر فان دعوتهم الى الثورة كانت مشروطة بتقدير الثوار بأن النجاح سيكون حليفهم لا محالة ! « ولكنه لا يجوز الخروج على الامام الجائر الا لجماعة لهم من القوة والمنعة ما يكفي لازالة الجور ولا يصح الا مع امام

عادل » • ولذلك فيمكن القول بأن المعتزلة كانوا يوافقون المعتدلين من الشيعة العلوية وخاصة الزيدية وكذلك الخوارج في معارضتهم للامويين • ويظهر كذلك ان المعتزلة أظهروا تفضيلاً لأهل بيت الرسول (ص) ولكنهم عارضوا أية فكرة تظهر أهل البيت الهاشمي على أنهم فوق البشر وأكدوا أن القدسية لله وحده • ولذلك لم يتفقوا مع غلاة الشيعة العلوية وغير العلوية في هـذه الناحيـة •

ان هذا الموقف العقائدي الاخير للمعتزلة هو الذي أدى بالبروفسور نيبرك أن يؤكد بأن المعتزلة أيدوا الحركة العباسية ذلك لانهم لم يتفقوا مع الشيعة العلوية وخاصة الغـلاة منهم وكانوا في نفس الوقت معارضين لبني أمية فالعباسيون هم أنسب المرشحين اليهم ، ذلك لان العباسيين هاشميون وانهم على الاقل قبل الخلافة لم يدعوا قدسية ولا صفات خارقة • وهكذا ينتهي نيبرك الى ان المعتزلة هي الواجهة العقائدية للدعوة العباسية • ويعزز نيبرك تفسيره بظواهر :

أولها التوافق الزمني بين الدعوة العباسية ودعوة واصل بن عطاء الغزال حيث يذكر الشاعر صفوان الانصاري واصفا دعوة واصل :

له خلف شعب الصين من كـل شفرة ... الى سوسها الاقصى وخلف البرابر
رجـال دعـاة لا يفـل عزيمهم ... تهـكم جبـار ولا كيـد ماكر
اذا قـال مروا في الشتاء تطاوعـوا ... وان كان صيفا لم يخف شهر ناجـز

وثانيها الصداقة الوطيدة بين الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ/ ٧٥٤م ــ ١٥٨هـ/٧٧٥م) قبل خلافته وبعدها مع عمرو بن عبيـد حيث كان يحضر حلقاته في البصرة •

وثالثها ــ سياسة الخلفاء العباسيين في تقصي أهل البدع والزندقة والقضاء عليهم وخاصة سياسة الخليفة المهدي تجاه المانوية (الزنادقة) توافق الى درجة بعيدة أهداف رواد حركة الاعتزال ونشاطاتهم في الدفاع عن الاسلام

ضد خصومه كل هذا دفع البروفسور نيبرك الى حبك فرضية العلاقة بين المعتزلة والعباسيين •

لقد وقف المؤرخون المحدثون من فرضية نيبرك بين مؤيد ومعارض • فالبروفسور كَب يعكس فرضية نيبرك رأسا على عقب حين يقول بأن حركة المعتزلة أقدم من الدعوة العباسية ومستقلة عنها وأنهم أي المعتزلة استغلوا الخلافة العباسية لتحقيق أهدافهم وليس العكس• أما البروفسور لويس فيؤكد الواجهة المتطرفة من الحركة العباسية موضحا علاقتهم بالراوندية ويدعم وجهة نظره بروايات تاريخية موثوقة • أما البروفسور وات فهو يدرك ضعف فرضية نيبرك ويقول دون أن يلزم نفسه برأي « ان المعتزلة ربما رحبوا بالحركة العباسية حينما سمعوا بها بالرغم من أنــه من غير المحتمل أن يكونوا دعاة عباسيين ، كما اقترح نيبرك وذلك لاختلافهم (في العقيدة) عما بثه أبو مسلم »• ويعترف البروفسور پلا بصعوبة استنساخ أية معلومات أكيدة من قصيدة صفوان الانصاري المارة الذكر ، بينما يؤكد البروفسور سورديل الاستاذ في السوربون أن تلك القصيدة التي تظهر نشاطات واصل بن عطاء قد تكون مرتبطة بحركة علوية لا عباسية • أما البروفسور كلود كاهن فيرفض كلا الادعائين القائلين بأن الحركة العباسية اعتمدت على المعتزلة أو على المتطرفين الراوندية ويرى في الدعوة العباسية « رغبة عميقة الى تطبيق الاسلام •• واندحار الفكرة القائلة بارتباط الاسلام بجنس متحكم واحـــد (الجنس العربي) » • وبالرغم من أن البروفسور كاهن يعترف بوجود متطرفين في الحركة العباسية الا انه يقول بأن عقيدتهم لم تكن القوة المحركة للثورة ولم يكن التطرف ــ على الاقل ــ عقيدة الغالبية العظمى من الثوار •

والمعروف أنه في الوقت الذي كانت الفرقة « الهاشمية » وهي النـــواة الحقيقية للدعوة العباسية في خراسان قد انتظمت على شكل نقباء ونظراء النقباء ودعاة يعملون من أجل تأسيس دولة عباسية لم تكن ــ في تلك الفترة ذاتها ــ حركة الاعتزال قد تبلورت في فرقة معروفة من حيث مبادئها • ويؤكد

هذا الرأي انبروفسور وات حيث يقول ان المعتزلة لم تظهر ككتلة معروفة حتى سنة ٨٠٠ م/١٨٤هـ أو ٨٥٠م/٢٣٦هـ . والراجح أن الانطباع الخاطىء الذي يصور حركة المعتزلة وكأنها فرقة متبلورة في فترة متقدمة يعود الى زعماء المعتزلة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حيث حاول هؤلاء دفع تهمة علاقتهم بالجهمية وذلك باظهارهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بمظهر رواد فرقة المعتزلة الفكرية ومؤسسيها في الوقت الذي لم يكن هذان الاثنان الا ضمن كتلة من الفقهاء يعرفون باسم أصحاب الحديث . ويسمى البروفسور جويدي والبروفسور كَب رواد حركة الاعتزال بالجناح الفعال من كتلة أصحاب الحديث . أما الجذور التاريخية لاصطلاح المعتزلة فلقد أوضح البروفسور پلنيو في مجموعة من بحوثه بأنها تدل على موقفهم الحيادي من الفتن الاهلية . فلقد كان واصل أول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو ان الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال والمعروف ان تاريخ الفرق الاسلامية قد تأثر بالخصومات السائدة آنذاك ولذلك من الافضل الاهتمام دائما بالشخصيات المعروف ارتباطها بالفرقة المبحوثة لا بما يقال عن المبادىء الفرقة نفسها بصورة عامة وفي هذا المجال سنستعرض آراء واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد السياسية .

واذا سلمنا بصحة الروايات التاريخية التي تقول بأن واصل بن عطاء كان رأس المعتزلة ورائدها فاننا لم نسمع عن نشاطات سياسية له خلال فترة حياته (٨١هـ/٧٠٠م — ١٣١هـ/٧٤٨م) . وفي اعلانه القول (بالمنزلة بين المنزلتين) قرر أن أحد الفريقين المتنازعين في معركة الجمل مخطىء دون أن يعينه ولم يتخذ قرارا في الفتنة التي أدت الى مقتل عثمان بن عفان حيث « أشكل عليه أمره فأرجأه الى عالمه » . وهكذا فقد أوضح وجهه نظرة الحيادية في المعترك السياسي وتفرغ للعلم والعبادة مع أصحابه ، « وهذه هي سبيل أهل الورع من العلماء أن يقفوا عند الشبهات » . وبالرغم من أن أغلب المعتزلة ومنهم واصل « يتبرأون من معاوية وعمرو بن العاص ومن كان في شقهما » فان

المصادر تذكر صلتهم بيزيد بن الوليد الاموي • فالمسعودي يقول ان المعتزلة تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز • وقد يخيل للقارىء أن هناك تناقضا في موقف المعتزلة هذا ولكننا ذكرنا بأن حياد المعتزلة لم يكن سلبيا وكان من مبادئهم شهر السلاح على السلطة الظالمة والثورة مع امام عادل ولعل تأييدهم ليزيد كان تأكيدا لهذا المبدأ ولما استقر واصل بالبصرة وكون له حلقته المشهورة بدأ يرسل البعثات والدعاة الى أرجاء مختلفة من العالم الاسلامي للدفاع عن مبادىء الاسلام ضد الدهرية والمانوية وغيرها فأرسل حفص بن سالم الى خراسان وقاسم بن السعدي الى اليمن والحسن بن دكوان الى الكوفة وعبد الله بن الحارث الى المغرب وأيوب الى الجزيرة وعثمان الطويل الى ارمينية وغيرهم • ولكن المصادر لا تذكر ميولا سياسية لهؤلاء الدعاة والمعروف عن واصل نفسه أنه قبل أن ينضم الى حلقة الحسن البصري كان تلميذا لأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفة واتصل بمحمد الباقر كذلك يظهر أن علاقة واصل كانت جيدة مع شخصيات علوية كثيرة منها زيد بن علي وأولاده وعبد الله بن الحسن المحض وأولاده كما وان المناقشة الحادة بينه وبين جعفر الصادق تبين أن علاقتهما لم تكن على ما يرام ولعل ذلك يعود الى ميل واصل والمعتزلة الى زيد وعبد الله المحض وابنه النفس الزكية الشخص المرشح للخلافة من بعدهم • ففي اجتماع الابواء الذي عقده بنو هاشم في نهاية حكم بني أمية تذكر بعض الروايات أن المعتزلة بايعوا (محمد النفس الزكية) مع من بايعه من الهاشميين • الا ان هذه الرواية على الاكثر موضوعة من قبل رواة ذوي ميول علوية • فقد يكون من المحتمل أن بني هاشم اجتمعوا ليتداولوا في أمر الخلافة ولكنهم لم يبايعوا محمدا على شيء • ثم ان محمدا هذا لم يذكر البيعة في رسالته المشهورة الى الخليفة العباسي المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م مما يزيد عدم الثقة بصحتها • ولكن المعتزلة اشتركت في ثورة محمد وبايعته ثم بايعت أخاه ابراهيم من بعده وأيدت ثورته في العراق ضد المنصور • وتشير بعض الروايات التاريخية ان المعتزلة والزيدية كانوا مرتبطين

به تمام الارتباط وساعدوه على ادارة شؤونه • وتذكر رواية أخرى أن المعتزلة كانوا مهتمين جدا بمستقبل ثورة ابراهيم الحسيني حتى أ نقسما منهم كان يقتصي له الاخبار ويرشده على أعدائه بالبصرة • ويذكر الاصفهاني أن أتباع عمر بن عبيد كانوا ميالين الى ابراهيم الحسني أما المسعودي فيقول بأن الزيدية وهؤلاء الذين سموا (فيما بعد) بالمعتزلة البغداديين ساعدوا ابراهيم في ثورته • وهكذا نلاحظ بأن كتلة من المعتزلة أظهرت ميلا نحو العلويين من بني هاشم أو بتعبير أدق من كان من العلويين على مذهب الزيدية •

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان علاقة عمرو بن عبيد الودية مع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور قبل الخلافة وبعدها أشهر من نار على علم • فلقد تجول المنصور قبل الخلافة في أنحاء مختلفة من الدولة وحضر في البصرة حلقة عمرو بن عبيد في مسجدها وتوطدت علاقته به • وكان المنصور نفسه معروفا بعلمه بالحديث والاخبار • وفي رواية أن أبا جعفر بعد رجوعه من احدى رحلاته من البصرة الى الشام تكلم عن آراء قدرية وما أن سمع بها والده محمد بن علي العباس حتى منعه من التطرق الى الحديث فيها ثانية • فاذا كانت هذه الرواية صحيحة فانها تدل على أن العباسيين لم يفكروا باستقلال آراء المعتزلة في دعايتهم السياسية خاصة اذا علمنا أن محمد العباسي كان الواضع الحقيقي لأسس الدعوة العباسية ومنهجها •

وأكثر من هذا فان البلاذري خصص في أنسابه عدة صفحات باحثا عن علاقة المنصور بعمرو بن عبيد ولكنه لم يذكر أبدا صلة عقائدية بين الطرفين حتى ولا الى درجة علاقة يزيد الثالث الاموي بالمعتزلة • فلقد كان عمرو من أكثر العلماء منزلة عند المنصور وهذا ربما يعود الى موقفه غير المتحزب للكتل السياسية • ويظهر ان الخليفة لم يكن ينظر الى عمرو أكثر من كونه رجلا تقيا من رجال الدين وأصحاب الحديث غير ميال للسياسة • ولقد كان من سياسة العباسيين الدينية أن يقربوا أمثال هؤلاء الفقهاء والمحدثين فيكسبوهم الى

جانبهم بدلا من أن تغرر بهم المعارضة العلوية أو غيرها أولا ثم ليؤكدوا الصبغة الدينية للخلافة العباسية ثانيا .

لقد حاول المنصور اكثر من مرة ان يغري او يقنع عمرو بن عبيد باشراكه في ادارة الدولة ولكن عمرا رفض المرة تلو المرة قائلا له « ارفع علم الحق يتبعك أهله » . كما وان تعليق المنصور « شغل والله الرجل بما هو فيه عما نحن فيه » يدل على اهتمام عمرو بالمسائل الدينية اكثر من السياسة وتظهر روايات أخرى المواعظ الشديدة اللهجة التي كان يوجهها عمرو للمنصور كلما استدعاه المنصور للبلاط أو التقى به في احدى زياراته للبصرة . فقد وعظه مرة فقال « يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان الامر الذي صار اليك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك . » وقال له مرة « ان الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر وان امة محمد خصماؤك يوم القيامة وانك لا ترضى لنفسك الا بان يعدل عليك فان الله لا يرضى منك الا بالعدل على رعيتك . يا أمير المؤمنين ان على بابك ميزانا تأجج من الجور » . وقال للمنصور حين رشح ابنه المهدي للخلافة من بعده « ... قد رشحته لامر يصير اليه ان صار وانت عنه في شغل وقد وطأت له الدنيا وانت منتقل عنها الى الآخرة فهناك الحساب . ان الله قد جعلك فوق كل احد فلا ترضى ان يكون فوقك في طاعته أحد » . واذا سأله الخليفة عن حاجته قال « حاجتي أن لا تبعث اليَّ حتى أجيك ولا تعطني شيئا حتى أسألك » وقد اتهم عمرو بعض موظفي الدولة بالسرقة وهاجم ابا ايوب المورياني وزير المنصور لسوء ادارته . وحينما دعاه المنصور لسوء ادارته . ليعينه باصحابه قال له عمرو « ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك فان أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك لانهم ان باينوهم ولم يعلموا باهوائهم ارشوك بهم وحملوك عليهم » . وقال له مرة « ادعنا بعدلك تسخ انفسنا بعونك . ببابك الف مظلمة اردد منها شيئا نعلم انك صادق » . ان موقف عمرو بن عبيد من المنصور لا يمكن بأية حال من

الاحوال ان يوصف بأنه موقف داع عباسي من نظام حكم عمل من اجل اقامته • وحينما كان المنصور يجابه تحدي (محمد النفس الزكية) شك بميول عمرو الى الثائر العلوي فاراد أن يعرف رأيه فأجاب عمرو « لو قلدتني الامــة أن اختار لها رجلا ما وجدته » • وسأله المنصور ثانية عن رسالة تسلمها من العلويين فاجابه عمرو بانه تسلم رسالة من العلويين ولكن لا يرى الثورة على السلطان • فقال المنصور « أجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي » • قال عمرو « لئن كذبتك تقية لاحلفن لك تقية » ولكن الصلة الشخصية بين المنصور وعمرو استمرت وحزن الخليفة كثيرا حين توفى عمرو وكان اول خليفة يرثي شخصا دونه حين قال :

صلى الاله عليك من متوســـد ... قبرا مررت بــه عــلى حــران
قبرا تضمن مؤمنـــا متحنفـــا ... صـــدق الاله ودان بالعرفـــان

وقال أيضاً « يرحم الله عمرا هيهــات ان يرى مثل عمرو » •

ولكن اذا كان المنصور حاول ان يكسب عمرو بن عبيد فانه عمل مثل ذلك مع غيره من المحدثين وأهل الدين والعلماء مثل مالك بن أنس والليث بن سعد والاوزاعي وابي حنيفة والامام جعفر الصادق وغيرهم كثيرون وقد نجح في كسب بعضهم وفشل مع البعض الآخر • واذا كان المنصور قد تودد الى عمرو ومن ماثله من العلماء فانه تسامح مع رؤوس الراوندية المتطرفين في آرائهم الدينية وحينما نبهه احد صحابته الى خطرهم قال « دعهم يدخلون النار في طاعتنا على أن يدخلوا الجنة في معصيتنا » ولم يقابلهم بالقوة الا بعد أن أصبحوا خطرا يهدده شخصيا ويهدد كيان الدولة العباسية • وهذا يؤكد استمرار ميزة المرونة في سياسة المنصور الدينية التي هي استمرارا للمرونة التي تميزت بها طبيعة الثورة العباسية ذاتها •

ولقد استمر الخلفاء العباسيون بعد المنصور متبعين نفس السياسة الدينية محاولين تأكيد صبغة الخلافة الدينية • وتذكر المصادر التاريخية روايات قليلة

مبعثرة تؤكد ضعف فرضية الاستاذ نيرك السابقة • فبالرغم من ان سياسة الخليفة المهدي (١٥٨ — ١٦٩ هـ) في مطاردة أهل الالحاد والمرتزقة توافق أهداف ومخططات المعتزلة في مجالاتهم مع الملحدين والدهريين والمانوية فليس هنا لثما يثبت ان المهدي كان معتزليا أو انه تساهل مع المعتزلة • فالطبري والخطيب البغدادي يذكران بان والي المدينة اعتقل جماعة من اهاليهـا بتهمة القدرية وانكر عليهم ادعاءهم ورفض ان يرتبط بهم • ويضيف الخطيب ان المهدي أتهم زورا وبهتانا بالمقدرية وانه (أي الخطيب) قد علم من مصدر يثق به بان الخليفة لم يتكلم بالقدر أبدا • ويذكر الكندي بان علي بن سليمان العباسي اتهم بالقدرية لانه أفرج عن اثنين من القدرية من السجن • ولكن هذه الرواية الاخيرة ان دلت على شيء فانما تدل على ان اصحاب حرية الارادة من القدرية كانوا مطاردين من قبل السلطة العباسية في عهد الخليفة العباسي الهادي (سنة ١٦٩ هـ / سنة ٧٨٥ م — سنة ١٧٠ هـ / ٨٧٦ م) • وفي عهد الخليفة الرشيد قتل أو هدد بالقتل أشخاص متعددون نظرا لآرائهم حول خلق القرآن • ويذكر الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب ان العتابي وهو كاتب معتزلي هرب الى اليمن خوفا من الرشيد • وسجن الرشيد بشر بن المعتز ومنع الجدل وحدد نشاطات المتكلمين فيه • وفي البصرة قطعت يد الزاهد المعروف باسم عيسى الطبري بأمر من الوالي محمد بن سليمان العباسي • كل هذه الحوادث التاريخية تضعف فرضية الاستاذ نيرك وتؤكد بان أوائل الخلفاء العباسيين لم يكونوا معتزلة وان الثورة العباسية لم تكن الواجهة السياسية لحركة كانت المعتزلة واجهتها الدينية •

خاتمـة :

وفي الختـام نرى من الانسب أن نجمع خلاصة ما استنتجناه على شكل نقـاط هي :

١ — ان تاريخ المعتزلة — كباقي الفرق الاسلامية الاخرى قد تأثر

بالخصومات السياسية والعقائدية على نفس الطريقة التي تأثر بها تاريخ الاسلام السياسي في صدره الاول • وقد أخطا قسم من مؤرخي الفرق المحدثين حين قبلوا الروايات دون تمييز بين مصدرها ورايتها ووقتها ولذلك وقعوا في تناقضات كثيرة فيما كتبوه عن الفرق • ويجب أن نلاحظ في هذا المجال ان معلومات أكيدة عن شخصيات معينة معتزلة تعتبر أكثر اعتمادا وأهمية من روايات عامة عن الفرق ذاتها كما وان بعض اصطلاحات اختلفت حسب العصور من حيث المعنى ولم تبق ملتزمة بنفس الفحوى التاريخي الذي كان سبب ظهورها •

٢ ــ ان موقف المعتزلة السياسي غامض ولذلك اختلف المؤرخون المحدثون في تفسير منشأ حركة الاعتزال • كما وان الروايات التاريخية عن موقفهم السياسي في فترة الثورة العباسية وبداية العصر ما هو الا محاولة جمعنا فيها القليل من الروايات عن موقف المعتزلة من العباسيين لنوضح ضعف الاساس الذي بنى عليه الاستاذ نيرك فرضيته •

٣ ــ لقد كانت الثورة العباسية حدثا كبيرا في تاريخ الاسلام سبب أزمة الفكر السياسي الاسلامي فقد كان على الفرق والكتل المختلفة ان تعيد النظر في موقفها السياسي بعد هذه الثورة فاما ان تؤيد النظام الجديد أو تعارضه ، وبقدر ما يتعلق الامر بالمعتزلة فانها في هذه الفترة التي نبحثها لم تكن فرقة لها كيانها الخاص بل واراؤها المتبلورة المعروفة بها ، وانما كانت تعبيرا عن الشعور السياسي لفئة من فئات المجتمع الاسلامي وقد مثل هذه الكتلة شخصيات سياسية ودينية مختلفة وقفت على الحياد في المعترك السياسي وجاهدت من اجل اعلاء كلمة الاسلام ودحض اعدائه في المعترك الديني •

٤ ــ ومن هذا المنطلق فان فرضية نيرك لا تثبت أمام النقد التاريخي للاسباب التالية :

آ ــ اعتماد الفرضية على القياس والاستنتاج في اثبات آرائها لا على الوثائق والروايات التاريخية وهو ما يعول عليه المؤرخون لتقرير حقيقة ما • فالاستنتاج في التاريخ يجب أن يستند الى رواية تاريخية أو وثيقة قدر الامكان •

ب ــ يقول نيرك ان المعتزلة كانوا ميالين لبني هاشم بصورة عامة (أهل البيت) وبما ان آراءهم لا تتفق مع الغلاة والامامية من الشيعة العلوية حول مسألة الامامة ولذلك مالوا الى العباسيين • الا اننا نرد على ذلك فنقول بان للدعوة العباسية جناحا متطرفا هو الجناح الروندي وان حادثة خداش في خراسان تؤكد ان الآراء التي بثها كانت متطرفة لا تتفق مع آراء المعتزلة حول الامامة • ولذلك فليس هناك مجال للتوفيق بين المعتزلة وبين ما بثته بعض الكتل ذات الميول العباسية من آراء •

جـ ــ لقد كان مهد الدعوة العباسية خراسان وكانت مراكزها الرئيسية الحميمة حيث يسكن الامام العباسي ، والكوفة حيث يوجد وزير آل محمد ويكون حلقة الوصل بين الامام ونقيب خراسان الذي اتخذ مرو وقراها مقرا له • ومن هذا تبين بان مركز الدعوة العباسية كان يختلف عن مركز الرواد المعتزلة التقليدي وهو البصرة •

وأكثر من هذا فان البصرة لن تظهر استبشار بمجيء العباسيين للحكم بل بالعكس قاومت الجيش العباسي الذي احتلها بالقوة • كما وان كثرة تبديل الولاة العباسيين في البصرة وكثرة زيارات المنصور لها يدل على عدم الاستقرار فيها • وقد اختيرت البصرة محلا لثورة ابراهيم بن عبد الله المحض العلوي لا لميولها العلوية ولكن لكونها ضد الحكم العباسي •

د ــ لم يظهر الحكم العباسي الجديد مبــدأ الاعتزال مبدأ رسميا له لما تسلم السلطة • ولم يظهر الخلفاء العباسيون الاوائل قبل المأمون أية ميول تدل على كونهم معتزلة • بل ان علاقة المنصور بعمرو بن عبيد لا يمكن أن

توصف بكونها علاقة خليفة باحد دعاته خاصة اذا قارناها بعلاقة المنصور بالدعاة او بشيوخ القبائل العربية في خراسان الذين ساندوا الثورة فالمنصور يقول مثلا عن شيوخ القبائل اليمنية « والنقباء اثنا عشر نقيبا كلهم يمانية » ثم يتكلم عن سياسة مروان القبلية فيقول « ثم قام الفاسق الجعدي (مروان الثاني) فحملكم (أي المضرية) على رقاب الناس واقصى أهل اليمن فجاشت عليه من كل ناحية ... ومالوا الينا فيحق لنا ان نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا . ويخاطب عبد الله بن علي العباسي اليمانية فيقول « انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وانصارنا » ولم يقل أي خليفة عباسي مثل هذا الكلام في عمرو بن عبيد وجماعته .

هـ ــ ان شعر صفوان الانصاري المار الذكر ليس فيه ما يدل على مساندة المعتزلة للحركة العباسية خاصة وان المصادر تذكر لنا عددا من الرجال الذين أرسلهم واصل لبث تعاليمه والدفاع عن الاسلام ، كما وتذكر المصادر اسماء الدعاة والنقباء العباسيين الذين عملوا على نشر الدعوة العباسية وليس هناك أي توافق بين القائمتين . ولقد ذكرنا قائمة دعاة واصل بن عطاء سابقا . وهي لا تتفق مع قائمة النقباء العباسيين .

و ــ اذا كان المعتزلة قد مالوا الى بني هاشم فان ذلك شمل الهاشميين بصورة عامة لا فرعا معينا منهم . وان علاقتهم بكثير من العلويين قبل تأسيس الدولة العباسية وبعدها كانت مساوية ان لم تكن أقوى من علاقتهم بالعباسيين قبل المأمون . ولقد أظهر البروفسور نلينو والبروفسور سورديل بان دعاة واصل بن عطاء كانت لهم علاقــة بالادارسة في افريقية وانهم ربما بثوا دعاية علوية في انحاء أخرى من الدولة الاسلامية .

ز ــ لقد كان هدف العباسيين هو الاستفادة ممن يسمون برواد حركة الاعتزال كعمرو بن عبيد كما استفادوا من جماعة « أهل السنة » وأصحاب الحديث . فلقد كان عمرو بن عبيد ذا فائدة كبيرة في معارضة آراء الشيعة

العلويين من الغلاة والامامية • واكبر شاهد على ذلك المناقشات الحادة بين عمرو بن عبيد وبين هشام بن الحكم وبين هـذا الاجير والعلاف المعتزلي فلقـد كتب كثير من المعتزلة ضـد مبدأ النص الذي يدين بـه الشيعة العـلوية وفحواه ان الامامـة محصورة في الامـام علي بن أبي طالب وأولاده من بعـده لان الرسول (صلعم) نص عليهم • وكذلك عارض المعتزلة مبدأ العصمة ويقصد به ان الأئمة معصومون في أعمالهم وأقوالهم ولا يجوز عليهم خطأ • ورفع المعتزلة شعار حرية الامة في اختيار الامام الذي ترتضيه ، ثم ان العباسيين استخدموا المعتزلة في الدفـاع عن الاسلام ضد المانوية والجهمية والدهرية وغيرهم وهذا يفسر لنا لماذا كانت احاديث وأقوال عمرو وواصل وغيرهم من أصحاب الحديث تذاع وتحترم في البلاط العباسي فكان المهدي يقول للمحدث شبيب بن شبه « يا ابا معن حدثنا وزين مجلسنا بحديث عمرو بن عبيد » • وكذا حدث في عهد الرشيد حيث حضر مجلسه ومجلس وزرائه شخصيات عرفت بميولها لمذهب الاعتزال مثل ابراهيم بن يحيى المدني وابي الهذيل العلاف وتمامة بن اشرس • ولكن نعود فنؤكد بان النظرة اليهم كانت على انهم محدثون ثقات وفقهاء علماء وان كسبهم يزيد من قوة الخليفة ولكن الخليفة في الوقت نفسه لم يتردد في سجن واضطهاد معتزلة آخرين اذا ما أظهروا ميولا علوية أو معادية للدولة كما رأينا ذلك سابقا •

ح ــ ثم انه لو كان مذهب المعتزلة هو عقيدة الثورة العباسية المذهب الذي يدين به الخلفاء العباسيون الاوائل لحدث الانشقاق بينهم وبين اصحاب الحديث منذ بدء حكمهم ولحدثت « المحنة » في وقت مبكر ولما تأخرت حتى زمن الخليفة حينما أعلن الاعتزال مذهبا رسميا للدولة حيث حدثت تلك الضجة الكبرى وما اعقبها من ردود فعـل •

وأخيرا فان قلة المعلومات الموجودة في مصادرنا وندرتها يجعل دراسة الموقف السياسي للمعتزلة الاوائل امرا شاقا غامضا غير متكامل • وكل ما ترجو هذه المقالة ان تكون قد نجحت في اعطاء صورة للاعلاقة بين السلطة العباسية

قبل عهد الخليفة المأمون وبين رواد حركة الاعتزال واظهرت الصعوبات التي تواجهنا في حالة قبولنا بالفرضية القائلة بان الاعتزال كان عقيدة الثورة العباسية •

٨ ـ العباسيون وحركتا الزندقة والشعوبية :

لم تكن الثورة العباسية ثورة سياسة غيرت مفاهيم الحكم ووسائله فحسب بل كانت ثورة اجتماعية وفكرية ايضا لما اعقبتها من تغيرات جذرية في المفاهيم الاجتماعية ولنشاط حركة الترجمة والتأليف والابداع الفكري في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي •

ومن نتائج حركة النشاط العقلي هذه تبلور المذاهب الفكرية والفلسفية السياسية وغير السياسية فكان هناك من الصنف الاول أهل السنة وأصحاب الحديث والشيعة العلوية والخوارج والسفيانية ، ومن الصنف الثاني المعتزلة والمرجئة الشعوبية والدهرية والشكاك والزنادقة وغيرهم • فكانت حلقات المناظرة والمجالس الكلامية والمناقشات في المسجد والبيت والحلقة من الظواهر البارزة في الحياة الاجتماعية في تلك الفترة التي ولع بها العامة من الناس قبل الخاصة وجدوا الى الاستمتاع بما يدور فيها من حوار عقلي وادبي •

لقد ساد العصر العباسي عقلية جديدة متفتحة جعلته عصرا من اخصب العصور الفكرية في تاريخ الحضارة الانسانية ولعل مرجع هذه الحيـاة العقلية النشيطة يعود الى حقيقة كون الدولة الجديدة العباسية نتاج اقليمين من اخصب اقاليم الدولة الاسلامية حضارة وهما خراسان والعراق حيث التقت حضارات قديمة وحديثة مختلفة وتفاعلت فانتجت صراعا فكريا حادا كا نله اكبر الاثر في تكوين العقلية الحضارية المرنة •

أما الشعوبية : فهي حركة كانت تستهدف اما معارضة السيطرة العربية والنفوذ العربي على سائر الاجناس الاخرى في الدولة الاسلامية او انهـا

افتخرت بمآثر غير العرب ورفعت من شأنهم في مقابل العرب او انها احتقرت العرب وأظهرت مثالبهم عمدا وقصدا .

ورغم ان بدايات الحركة الشعوبية ترجع الى القرن الاول الهجري الا انها لم تتبلور الا في العصر العباسي الاول . فالدولة الجديدة دولة اممية اصطرعت فيها الاجناس للسيطرة السياسية واصطرعت فيها الآراء والعقائد للسيطرة الفكرية. ويعرف الجاحظ الشعوبية بانها «من يتعصب للعجمية»[١٣٠]. اما لسان العرب فيقول « الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم » اما ابن عبد ربه فيرى ان الشعوبية هم اهل التسوية أي انهم لا يفضلون العرب على العجم[١٣١] . ويرى الاستاذ الدكتور الدوري[١٣٢] ان مفهوم الشعوبية معقد يشمل الحركات السرية التي تتظاهر بالاسلام وتعمل على هدم السلطان العربي الاسلامي او على هدم الاسلام او الاتجاهات التي تحاول نسف الاسلام والعرب من الداخل ، كما تشمل الجهود التي بذلت لمسخ التراث العربي او لتشويه دور العرب في التاريخ . ويؤكد الاستاذ الدكتور الدوري ان الشعوبية ليست حركة قامت بها جماعة او طبقة معينة بل تمثل جهود فئا تمختلفة من شعوب متعددة لزعزعة السلطان العربي والاسلام ولصد تيار الثقافة العربية الاسلامية عن طريق تركيز الوعي الديني السياسي والثقافي القديم الذي يمثل حضارتها البائدة. اما الدكتور العدوي فيرى بان الشعوبية تعني العودة الى ماضي الشعوب والتفاخر بعصبياتها الجغرافية والتاريخية ونبذ رسالة العرب التي تهدف الى خلق مجتمع جديد قوامة العدالة[١٣٣] .

ويرى البروفسور هاملتون كب بان « أهمية الحركة الشعوبية تكمن في انها تمثل جهود طبقة الكتاب ليفرضوا (وهم يتحاشون الاصطدام جهارا بالنظام الديني) سيطرة تقاليد البلاط الفارسي ، وليس هذا وحسب بل لكي يبعثوا البناء الاجتماعي الفارسي القديم بكل ما يحويه من مراتب طبقية متمايزة ولكي يَحِلوا روح الثقافة الفارسية محل ما خلفته التقاليد العربية

من مؤثرات في المجتمع المدني الجديد المتطور بسرعة في العراق وسبيلهم الى ذلك ان يترجموا للناس وينشروا بينهم كتبا فارسية الاصل تلقى بينهم ذيوعا ورواجا » •

ويستطرد البروفسور كب قائلا : « وتمضخت هذه الحركة عن اولى النتائج واذا بالمانوية المستخفية في العراق تنبعث من جديد وانتشرت في مجالات اوسع روح استخفاف بالدين وقلة احترام له خفيه مستترة • وبينما كانت الخلافة تحاول ان تستأصل شأفة الزندقة بتعذيب اصحابها ، اتجه المفكرون الدينيون ممن كانوا اكثر ثقافة وتشددا ــ اعني رجال المعتزلة ــ الى المؤلفات الفلسفية الاغريقية والى مؤلفات الجدل النصراني ــ الهلسنتي حيث وجدوا وسائل الجدل التي تكفل لهم ان يقارعوا الثنوية حجة بحجة وان يقحموهم وان يسندوا الفلسفة الاخلاقية المستمدة من القرآن •

وفي الوقت ذاته دخلت حركة الشعوبية في مرحلة الهجوم العلني على العرب وتوجيه النقد اللاذع للتقاليدوالامجادالعربية وبذلكدفعت بالنظامالديني كله الى ان يقف نصيرا للدراسات العربية على أسس دينية لان هذه الدراسات هي التي كانت تزود « العلوم الدينية » الناشئة بالاسس اللازمة لها • وبذلت جهود لمواجهة ما ابداه الشعوبيين من نشاط ادبي ومن تلك الجهود ولد ادب عربي انساني متشرب بتقاليد الجزيرة العربية ونظمها حسبما كانت قبل ظهور الاسلام وبعده • وهكذا كانت المقاومة المضادة للشعوبية ذات طرفين ديني وأدبي وكانت مقاومة استطاعت بقوتها ووزنها ان تكبح في سرعة تيار الاخطار التي تنطوي عليها الحركة الشعوبية(١٣٤) •

ولقد اظهرت الشعوبية نفسها في اشكال مختلفة : فمنها ما كان واجهة دينية ومنها ما كان واجهة اجتماعية ومنها ما ظهر على نطاق ادبي وثقافي(١٣٥) •

وعلى حين يعتبر الكتاب العرب المحدثون الحركة الشعوبية حركة تستهدف تقويض كيان الدولة الاسلامية بتقويض أسسها

وقيمها فان البروفسور كب ينفي ذلك قائلا بأن من الخطأ القول بان حملة الكتاب على العرب من أي وجهة نظرت اليها كانت حركة قومية فقد كانت المقاومة الفارسية (اذا كانت كلمة قومية مضللة او ابعد عن الواقع) في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي قد تجلت مرارا في خراسان وولايات ايران الشمالية في شكل ثورات لن تكن موجهة ضد العرب فحسب بل ضد الاسلام ايضا • وليس هنالك ما يوحي بان الكتاب بوصفهم طبقة اجتماعية كانوا يعطفون على هذه الحركات • بل ان القرائن في الحقيقة تشير الى عكس هذا • فلم يكن هدفهم تقويض الدولة الاسلامية بل اعادة تشكيل نظمها الاجتماعية والسياسية والروح الداخلية للثقافة الاسلامية على مثال النظم والقيم الساسانية التي كانت تمثل في نظرهم ذروة الحكمة السياسية[١٣٦] ويرى البروفسور كَب الى ان استغواء نزعة تقليد الفرس في النظم امر طبيعي متوقع لا ضرورة في تفسيره الى رده لميول فارسية يُظن انها كانت لدى الخلفاء العباسيين فليس من شيء يشير الى ان المنصور كان يميل الى أي فرع من فروع الثقافة الفارسية سوى التنجيم • وكان ادب البلاط يتسع وينمو نحو اقرار التقاليد الساسانية بدافع من ذاته • واقع بدأت اولياته في الظهور زمن الامويين واخذ يستقوي مع ازدياد طبقات الموظفين[١٣٧] •

وليس من اختصاص هذه الدراسة ان تبحث في تاريخ الحركة الشعوبية باعتبارها حركة فكرية ثقافية اجتماعية[١٣٨] بل اننا سنبحث مظاهر الشعوبية في الحقل الديني ــ السياسي وهذا ما نسميه (بالزندقة) • وفي هذا الحقل بالذات يظهر ارتباط الحركتين ببعضهما • ولعل في كتابات الجاحظ وابن قتيبة دلائل كثيرة على غلو الشعوبيين في القول والتشكك في الدين مما يجعلهم في مصافي الزنادقة ، كما ويؤكد كلا الكاتبين وغيرهما مدى الترابط الوثيق بين الاسلام والعروبة مما يجعل هدف الشعوبية والزندقة واحد[١٣٩] •

معنى الزندقــة :

ويعتبر اصطلاح الزندقة في تلك الفترة اصطلاحا غامضا فيه الكثير من المرونة التي اتسعت لكل الميول الدينية المخالفة للاسلام والتي عملت من اجل هدمه • كما ان هذا الاصطلاح شمل كافة المتشككين والدهريين والخلفاء والمجان اضافة الى اعداء الدولة السياسيين الذين ينتمون الى فرق معارضة او الذين يعتبر وجودهم خطرا على الدولة وتهديدا لهـا •

ورغم اختلاف مصادرنا العربية القديمة في تعريفها للزندقة فان الذي يهمنا هنا هو ان الزندقة التي حاربها الخلفاء العباسيون الاوائل هي في حقيقتها المانوية أي الديانة الفارسية الثنوية التي تؤمن بالنور والظلمة ثم اتسع معنى الزندقة ليشمل التهتك والمجون والملحدين الدهريين الذين لا دين لهم ، والمتشككين المتفلسفين والاعداء السياسيين •

ان الباحث عن معنى الزندقة في مصادرنا الاصلية ليجد لها تعريفا او اكثر لا يخرج(١٤٠) عن نطاق ما ذكرناه سابقا • ففي الوقت الذي يعرف لسان العرب الزنديق بانه دهري يقول الجوهري انه ثنوي • أما ابن النديم فيقول بان الزنديق من أصحاب ماني • بينما يصفه ياقوت الحموي بانه الكافر الذي يتظاهر بالايمان ويدلل على ذلك بقول الشاعر :

بغداد دار لاهل المـال طيبــة ‌‌ ‌ ‌ وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران امشي في أزقتهـا ‌ ‌ ‌ ‌ كانني مصحف في بيت زنديق

ويشير السيد المرتضى بان الزنادقة جماعة يتسترون باظهار الاسلام • ويقول الثعالبي انهم الظرفـاء • وفي أمالي السيد المرتضى كذلك رواية عن الصولي يذكر فيها القول الشائع « تيه مغن وظرف زنديق » •

ويؤكد الدكتور الدوري وجهة نظر الجاحظ فيرى « بان الشعوبية هي العامل الاول في قيام حركات الزنادقة وهذا نتيجة الارتباط الوثيق من ناحية السير التاريخي بين العروبة والاسلام من جهة وبسبب ارتباط الشعوبية

والزندقة بمفاهيم وعقائد دينية قديمة اسلامية ومجوسية من جهة أخرى ».
ويقول الدكتور شلبي « ان لفظ زنديق يطلق على من اعتنق مذهب المانوية أو الثنوية ثم اتسع حتى شمل كل ملحد أو مبتدع ثم تطور مرة أخرى فاصبح يطلق على من كان مذهبه مخالفا لمذهب اهل السنة واطلق احيانا على من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب وكان التطرف والاستهتار سمة هؤلاء حتى قلدهم فيها من ليس على مذهبهم » (١٤١).

ومن اهتم بدراسة الزندقة المستشرق ماسينون الذي يؤكد على « ان أصل الكلمة فارسي وانه استعمل لضرورات ادارية في العراق قبل عهد الدولة العباسية ، وفي مفاهيم ديانة الدولة الساسانية كانت الزندقة خروجا عن الدين الصحيح (الدين الرسمي للدولة) والظاهر انها كانت تشمل هرطقة ماني ثم مزدك حين أصبحت الزرادشتية ديانة الدولة الرسمية في عهد يزدجرد الثاني . ولعل الاصح ان نقول بان الزندقة كانت تعني في عهد الساسانيين مختلف المذاهب الهرطقية ذات الطبيعة المتقشفة وخاصة المانوية ».

ويستطرد ماسينون فيقوه « بان الكلمة عربت بعد دخول الاسلام الى العراق وايران ورغم انها احتفظت بمظهر التقشف والزهد الا انها اتسعت لتشمل المذهب الثنوي المعروف في المانوية بعض المذاهب المجوسيه الاخرى . ولعل مظهر التقشف كان مجرد رمز لا اهمية له ولذلك نلاحظ بان تهمة الزندقة شملت عددا من الشعراء المتشككين وذوي التفكير الحر مثل صالح بن عبد القدوس وبشار بن برد وكذلك بعض أصحاب الكلام (المتكلمين) المستقلين . ولعل القارىء يدرك المعاني المتنوعة للزندقة حين يلاحظ المركز الاستثنائي للزنادقة المانوية . فان دينهم الذي يجمع بين مبادىء ديانات مختلفة لم يعترف به رسميا من قبل الدولة الاسلامية ولذلك اصبح مذهبا مرنا توفيقيا وملجئا للاجئين من الديانات الاخرى (١٤٢).

ويؤكد البروفسور برنارد لويس على « غموض هذا الاصطلاح الا انه

يلاحظ بان للاصطلاح تحديدا مرعبا دقيقا من ناحية أخرى وذلك لان الزندقة اصطلاح اداري سياسي وليس اصطلاحا كلاميا او نظريا • وبمعنى آخر ان تهمة الزندقة تؤدي الى السجن والتحري على احسن تقدير بل ربما انتهت بالمتهم الى القتل ، كما ذهب الجعد بن درهم سنة ١٢٥ هـ / ٧٥٢ م الى يد الجلاد • ولكن هذه التهمة لم تكن كبيرة في عهد الامويين الذين لم يكونوا شديدي الانحراف عن العقيدة خاصة وان عقيدة اهل السنة والجماعة (مذهب الدولة الرسمي) لم تكن قد تبلورت بعد بل كانت لا تزال في مرحلة التكوين » (١٤٣) •

ويؤكد الاستاذ عبد الله الخطيب ما ذهب اليه جولدتسيهر من ان كلمة الزندقة ليست عربية وليس لها أصل سامي وان حركتها غامضة الحدود ومفهومها يتبدل حسب الزمن والفترات التاريخية واتجاه الخليفة الثقافي • فالامور التي كانت زندقة في زمن المهدي والهادي كانت تعبداً وانقاذاً للدين من الضلال زمن المأمون وكذلك ما كان في عهد المأمون والمعتصم يعرف بالزندقة صار في عهد المتوكل شرطا ضروريا لتعاليم السنة ، وهكذا • ويؤكد الاستاذ الخطيب بان الزندقة ليست كفرا فحسب بل انها حركة فكرية صلبة ذات منهج منظم يحتوي على قضايا علمية واجتماعية وسياسية • ويتفق الخطيب مع الدكتور الدوري على ان الاساس السياسي لحركة الزندقة يعود الى التناقض الاجتماعي الذي حدث بعد تحضير البدو واستقرارهم وتحول شيوخ القبائل الى ارستقراطية عربية مالكة وما أدى الى الصراع بين العرب وغير العرب في الدولة الاسلامية حيث تحولت حركة الموالي الثورية الى شعوبية وزندقة تتمركز في العراق تستترت بالاسلام وهدفت تهديهم السلطان العربي بنسف الاسلام عن طريق التشكيك والتأويل • أما الاساس الفلسفي فيعود الى اثر الثقافات الفارسية والهندية واليونانية(١٤٤) •

وأخيرا نقول بان غموض هذا الاصطلاح واتخاذه ذريعة للانتقام من الخصوم السياسيين والدينيين والفكريين والشخصيين ومرونته هو الذي

أدى الى اختلاف حكم الفقهاء (١٤٥) في الزنديق اذا ارتد عن الزندقة فتساهل بعضهم وقبلوا توبته ، والمعروف ان الخليفة المهدي كان يقبل توبة الزنديق وارتداده •

محاربة الزنادقـة :

ان الذين اتهموا بالزندقة في الفترة الاموية كانوا قلة ، كما اننا غير متأكدين من كونهم مانوية فعــلا حيث توجد ادلة تؤيد ذلك • فالمعروف عن الجعد بن درهم ومعبد بن عبد الله الجهني انهما تكلما في القدر واعتقدا بحرية الارادة وقتلا بسببها • أما عبد الصمد بن عبد الاعلى مربي الخليفة الوليد الثاني فقد نسبت اليه تهمة التحلل من الفرائض الدينية ولكننا لا نستطيع التدليل على كونه مانويا • وكذلك اتهم غيلان الدمشقي بالانحراف عن الدين في عهد عمر بن عبد العزيز •

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه سابقا من ان الدولة الاموية لم تكن متشددة مع هؤلاء « الزنادقة » اذا صح لنا ان نستعمل هذا الاصطلاح في العصر الاموي — هو ان كثيرا من اتهم بالزندقة في العصر العباسي الاول من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية مثل حماد الرواية وحماد بن الزبرقــان ويونس بن ابي فروة وعمارة بن حمزة من اتباع عبد الله بن معاوية ومنهم مطيع بن أياس وعبد الله بن المقفع وغيرهم •

أما في العهد العباسي فقد احكمت القبضة على أهل البدع وخاصة المانوية منهم • فقد شعرت الدولة بخطر عقيدة المانوية كما وان رجال الدين الزرادشت اظهروا قلقا بالغا على تهديد المانوية للمذهب الزرادشتي ويحتمل جدا ان يكون الزرادشت قد تعاونوا مع الدولة للقضاء على المانوية ومطاردتهم ، ذلك لانهم كانوا يعتقدون بان المانوية مذهب مضاد لطبيعة الاشياء وخطر على المجتمع والدولة ، أما بالنسبة للدولة العباسية فالمانوية تهدد كيان الدولة السياسي وعقيدتها الاسلامية •

على أن أمن الدولة وسلامة الدين لم يكونا السببين الوحيدين للاضطهاد فقد لعبت العوامل الشخصية والحسد والعدوات الفردية دورا في ذلك أيضا كما سنرى •

ورغم ما كان يعلن رسميا في البلاط او الديوان ، لم يكن الخليفة المنصور شديدا مضطهدا لاهل البدع والزندقة او المتطرفين الا حين يصبح وجودهم خطرا على سلامة الدولة • ولذلك فان المنصور لم يضرب الراوندية الا حين هددوه وهاجموا قصره •

والمعروف عن الخليفة المنصور تجوالة في البلدان في فترة شبابه وحضوره المناظرات والحلقات الفكرية والدينية في مساجد البصرة والكوفة والمدينة والاهواز والموصل وغيرها • ولعل ذلك ساعد على مرونة وسعة افقــه وكثرة معرفته وولعه بالحديث والاخبار • وفي رواية انه حين عاد مرة من البصرة الى دار والده في الشام اخذ يتكلم في القدر والمسائل الكلامية وحين سمعه والده محمد بن علي منعه من ذلك • وتؤكد رواية في الطبري ذلك فتقول بان القدرية ادعوا امام المهدي بان مذهبهم هو نفس مذهب المنصور • كما يشير نيرك وتريني الى التوافق بين آراء المعتزلة الاوائل وآراء العباسيين الا ان هذه النظرة تنقصها الادلة الكافية والموثوقة •

ومهما يكن من أمر فان المنصور كان لينا تجاه من يسمون بالزنادقة فقد قيل بان طبيبه الخاص خصيب النصراني كان زنديقا وكاتبه يزيد بن الفيض كان مانويا القى القبض عليه في عهد المهدي • وقد ترجم عبد الله بن المقفع كتبا من الفارسية الى العربية بامر من المنصور • وكان كل من مطيع بن أياس ويحيى بن زياد ، وكليهما متهمان بالزندقة ، من المقربين الى البلاط في عهد المنصور • وحين ترجى المهدي والده ان يعين يحيى بن زياد في منصب اداري رفض الخليفة مبدئيا لا بسبب كونه مانويا زنديقا بل بسبب كونه (خليع متخرق في النفقة) ، فلم يكن يهم الخليفة مذهب الرجل بل صفاته

التي تؤهله ليكون اداريا جيدا • على ان الخليفة لم يرفض طلب ابنه وعين يحيى بن زياد في وظيفة في الاهواز • أما مطيع بن أياس (١٤٦) فكان من المقربين لمحمد المهدي ولي العهد يقول فيه اشعار المديح ويضع الاحاديث ينسبها الى الرسول (ص) في ان المهدي هو محمد بن عبد الله يملئها عدلا كما ملئت جورا وفي نفس الوقت وجه المنصور محمد بن ابي العباس ومعه الزنادقة والمجان وفيهم حماد عجرد فاقاموا بالبصرة يظهر منهم المجون وانما اراد ذلك لانه رغب ان يبغضه الى الناس لان محمد بن ابي العباس كان مرشحا للخلافة (١٤٧) •

ومن جهة أخرى نسمع ان التطرف في العقيدة يؤدي بصاحبه الى الموت فقد قتل ابو مسلم محمدا بن سليمان الخزاعي بتهمة الخداشية وقتل ابو جعفر الراوندية • وقتل كذلك البقلي الذي انكر وجود يوم القيامة والبعث والحياة بعد الموت ، ويقول عنه صاحب الاغاني « وانما سمي بالبقلي لانه كان يقول الانسان كالبقلة فاذا مات لم يرجع » (١٤٨) •

وممن قتل في عهد المنصور عبد الكريم بن ابي العوجاء بتهمة الزندقة قتله والي الكوفة محمد بن سليمان • ويشير صاحب انساب الاشراف بان المنصور استعض لقتله وقال « أيقتل رجل من العرب بغير علمي » • وسواء كان عبد الكريم بن ابي العرجاء زنديقا ام لم يكن فان قتله كان لعداوة شخصية بينه وبين (١٤٩) والي الكوفة • ويشير ياقوت الرومي الى ان ابن العوجاء كتب كتابا يندد ويعارض القرآن الكريم وقد وجدت هذه الكتب اضافة الى كتب ابن الراوندي وصالح بن عبد القدوس في المكتبة الخاصة التابعة للصاحب بن عباد (١٥٠) • ولعل من اسباب قتل ابن ابي العوجاء ميوله الشيعية العلوية • فبالاضافة الى كونه مانويا يعترف بالاثنين النور والظلمة فقد كانت له علاقة شخصية بالامام السادس جعفر الصادق • وقد ناقش مسائل فلسفية في حضرة الامام الصادق • وكان يوافق المعتزلة في فكرة العدل ، كما وانه كان يؤمن بالحلول والتناسخ • وتشيد روايات اخرى الى انه وضع ما يقارب (٤) آلاف حديث ونسبها الى الامام الصادق وفيها حرم الحلال وحلل

الحرام . وحين سجنه والي الكوفة توسط له اصدقائه لدى الخليفة الذي كان يعتبره زنديقا ولكنه اصدر أمرا باطلاقه الا ان الوالي قتله قبل وصول أمر الخليفة (١٥١) .

ويشير صديقي الى ان ابي العوجاء ربما كان زنديقا كما اعتبره الخليفة ولكن من الصعب اثبات كونه مانويا (١٥٢) . وقد أشار المنصور في احدى وصاياه لابنه وولي عهده المهدي بان يقترب الى الفقهاء ويجعلهم عضده ولا يفرق الجماعة ويحارب المنشقين .

لقد كان الخليفة المهدي اول من بدأ حملة منظمة ورسمية في محاربة الزنادقة سياسيا وفكريا . ويقول اليعقوبي عن المهدي « كان قصده قتل الزنادقة وذلك انهم كانوا قد كثروا . ومما كان ابن المقفع ترجمه من كتب ماني الثنوي وكتب ابن ديصان الثنوي وغيرهما وما وصفه ابن ابي العوجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن أياس وملأوا به الارض من كتب الملحدين وكثرت الزنادقة وفشت كتبهم في الناس . وكان أول خليفة أمر المتكلمين ان يضعوا الكتب على اهل الالحاد » (١٥٣) . ويؤيد المسعودي ذلك فيقول « امعن المهدي في قتل الملحدين والمداهيين عن الدين لظهورهم في أيامه واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته ... وكان المهدي أول من امر الجلديين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين .. وأقاموا البراهين على المعاندين واوضحوا الحق للشاكرين » .

ويقول صاحب الفخري « وكان المهدي شديدا على اهل الالحاد والزندقة ولا يزال يتطلع عليهم ويفتك بهم (١٥٤) ، ويقول السيوطي « وجد المهدي في تتبع الزنادقة واباءتهم والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة (١٥٦) ويشير المقريزي الى ان المهدي الح في قتل الملحدين . ويعطي ابن تغري بردي والسيوطي والذهبي صورة مبالغ فيها للمجازر ضد الزنادقة . ويسمى الصفدي الخليفة « قصاب الزنادقة » . وفي مخطوطة بعنوان (ارجوزة لطيفة في التاريخ) كتبها شمس الدين البعوني الشافعي يقول (١٥٧) :

وانتصب المهدي لما ان مضى والده وكان سيفا منتضى

أباد كل كافر زنديق وكان مهديا على التحقيق

ويقول الطبري « اجتهد المهدي في طلب الزنادقة والبحث في الآفاق عنهم وقتلهم » . وأنشأ « ديوان الزنادقة » يرأسه صاحب الديوان . وبدأت عملية مطاردة الزنادقة بين سنة ١٦٣ هـ ـ ١٧٠ هـ وبلغت ذروتها في الفترة ما بين ١٦٦ هـ الى آخر خلافة المهدي . وكان من أشهر رؤساء هذا الديوان عبد الجبار وعمر الكلواذي الذي عين سنة ١٦٧ هـ ، ثم محمد بن عيسى حمدوية الذي خلف عمر في هذا المنصب (١٥٨) .

وقد اشترك المهدي بنفسه في معرفة فعاليات الزنادقة ففي رحلته الى الثغور البيزنطية علم بوجود زنادقة في حلب فامر بالقبض عليهم ومحاكمتهم ثم أعدمهم سنة ١٦٣ هـ وقطعت كتبهم بالسكاكين اربا اربا (١٥٩) .

ولعل الترف والرفاهية الاقتصادية والاستقرار السياسي النسبي ومرونة الخليفة المهدي نفسه أدى الى التحلل الحضاري واصطراع الافكار المختلفة في المجتمع . ومن مظاهر هذه الفترة ظهور جماعات او حلقات من الكتاب والشعراء والمفكرين المعجبين بالحضارة الفارسية (١٦٠) الداعين الى اتخاذها مثالا يجب ان يحتذي في المجتمع ، ومن أهداف هذه الحلقات التي تتكون من أفراد ذوي آراء مشتركة متشابهة أن يشيعوا آراء غير غربية وغير اسلامية . ومن مميزات هذه الحلقات التي كانت تسمي نفسها (اخوان الصدق) الاخاء الصادق والمودة والاخلاص بين اعضائها . ومن اعضائها في هذه الفترة والبة من الحباب ، مطيع بن اياس ، منقذ الهلالي ، حفص بن أبي بردة ، يونس بن ابي فروة ، حماد عجرد ، علي بن الخليل ، حماد بن ابي ليلى ، حماد بن الزريقات ، عمارة بن حمزة ، يزيد بن الفيض ، جميل بن محفوظ ، بشار بن برد ، ابان بن اللاحقي وعبد الله بن المقفع ، وكان اغلبهم من أصل فارسي وبعضهم عرب من قبائل معروفة .

وقد اشار المهدي الى ابن المقفع قائلاً « ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع »[١٦١] • والمعروف عن ابن المقفع انه من عباقرة الادب العربي ومن فحول المترجمين في هذه الفترة الفارسية • وحين يشير الجاحظ الى حلقة ابن المقفع يقول بانهم كانوا يلتقون دائما ليشربوا الخمر ويقولوا الشعر ويهجون بعضهم البعض وكلهم متهم في دينه • وكانوا متهمين بالزندقة وكانوا ينعتون (بالمجون) وهو اصطلاح ذو مضمون ديني وخلقي في آن واحد • ولعلنا نستطيع ان نعرف الماجن في مفهوم العصر الذي نكتب عنه بانه غير الملتزم فكريا بالقيود التقليدية والدينية والمتحلل من القيود الخلقية التي يتعارف عليها المجتمع[١٦٢] •

انه لمن الصعب التدليل على ما نوية ابن المقفع وبالتالي زندقتـــه • ولكننا نعرف عنه انه كان مجوسيا ولم يدخل الاسلام الا في اوائل العصر العباسي على يد عيسى بن علي العباسي عم المنصور • وبعد اسلامه استبدل كنيته وسمى ابنه محمدا • كما وانه ناقش الكثير من المسائل الاسلامية في (رسالته في الصحابة) • ولكنه بعـــد ذلك لاقى حتفه بتهمة الزندقة • والظاهر ان تهمته سياسية لا دينية لانه كبت الامان لعهد الله بن علي وتعمد في هذا الامان لا يجد الخليفة المنصور ثغرة ينفذ منها لنكث العهد مما اثار غضب المنصور فانتهز والي البصرة وعدو ابن المقفع سفيان المهلبي الفرصة وقتل ابن المقفع •

لقد كثر الكلام حول مانوية ابن المقفع فالروايات تؤكد زندقته لتجعلها تبريرا لمقتله • وذكرت روايات اخرى ان زندقة ابن المقفع تعني الزرادشتية بينما اكدت روايات ثالثة بانه كان مانويا في السر مسلما في الظاهر •

وقد مال الكتاب المحدثون الى اعتباره مانويا لسببين :

١ ــ اكتشف حديثا كتاب من تأليف القاسم بن ابراهيم اسمه (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) وطبع سنة ١٩٢٧ من قبل المستشرق جويدي •

٢ ــ اشارة البيروني بان الآراء الشكوكية في باب برزويه من كتاب كليلة ودمنة كتبت من قبل ابن المقفع للدعاية للمذهب المانوي[١٦٣] • على ان الفقرة هذه تشكك في الاديان عامة وانها كانت ضد الاسلام اكثر من كونها ميالة للمانوية •

ويعتمد المستشرق كبرييللي على هذه المقالة في حكمه على آراء ابن المقفع ، فهو يدينه بالزندقة دون ان يعتبرها سببا لقتله • ويقول عن عقيدته بانها استخفاف وبغض ممزوج بالشك نحو الاسلام ثم حرية فكر في المسائل الدينية وهجوم على الاسلام والقرآن الكريم[١٦٤] •

ولكن كبريللي يعتمد على ما دعاه القاسم بن ابراهيم من نسبته المقالة الى ابن المقفع بينما لا يمكن لهذه المقالة ان تنسب الى ابن المقفع لا من حيث اسلوبها الذي لا يشابه اسلوب ابن المقفع ولا من حيث تحليلها الذي لا يصل الى مستوى منطق ابن المقفع • وبعد فانه من غير المعقول ان تتصور ان رجلا مدركا مثل ابن المقفع يمكن ان يقحم نفسه في هجوم علني شديد على الاسلام • اما فقرات مقدمة كليلة ودمنة فمن الواضح انها تعود الى فترة ما قبل اسلامه وليس لها علاقة بالفترة الاسلامية • والاكثر من ذلك فان ابن النديم لا يذكر هذا الكتاب ضمن كتب القاسم بن ابراهيم في فهرسته • ثم ان اسلوب الكتاب الذي نسب الى القاسم بن ابراهيم هو من نوع النثر ذي سجع خاص لم يتطور الا بعد فترة طويلة من القرن الثالث الهجري وهي الفترة التي عاش فيها القاسم بن ابراهيم • ونستطيع ان نتساءل كذلك ان ما نسب الى ابن المقفع في كليلة ودمنة كان من اصل الكتاب ام من بنات افكار ابن المقفع وهنا ينفي المستشرق كروس ان يكون ابن المقفع قد كتبها كليه ومهما يكن من امر فان ما تذكره المقدمة هو تشكيك في كل المعتقدات الدينية وليس الاسلام فحسب •

وعلى ذلك فيمكن القول بان اتهام البيروني لابن المقفع بالمانوية يحتاج

الى دليل اقوى مما لدينا الآن وربما كان البيروني قد تأثر بالاقوال والروايات التي سبقت زمانه عن زندق ابن المقفع فاتهمه بالمانوية ٠ ولعل اشهرها الرواية التي تنسب للمهدي الذي يتهم فيها ابن المقفع بانه مصدر كل كتب الزندقة٠ وبغض النظر عن قيمة هذه الرواية الحقيقية فان مثل هذا القول من جانب الخليفة المهدي بالذات المعروف بمطاردته للزنادقة من المحتمل ان يعطي انطباعا عن مانوية ابن المقفع ، وبمرور الزمن فان ما كان مجرد انطباع او وجهة نظر من المهدي اصبحت حقيقة معترف بها ٠ ولذلك اتهمه الرواة بالزندقة ثم اتهمه المتأخرون من المؤرخين بتهمة اخص وهي المانوية(١٦٥) ٠ ان مانوية ابن المقفع لم تتأيد بعد على انه كان متشككاً في الدين رغم اعتقاده بضرورته الاجتماعية ٠

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان عصر ابن المقفع كان عصر اعادة احياء الثقافة الفارسية والمذاهب الفارسية ومنها المانوية ولما كان ابن المقفع من الداعيين الى امتثال النمط الفارسي في البلاط والمجتمع والادارة ولما كان الخلفاء العباسيون قد شعروا بخطورة هذه الدعوة الى الفارسية وحاولوا تقييدها وضبطها فان ابن المقفع كان خطرا على الدولة يجب التخلص منه خاصة وانه اكثر اثرا من غيرها لبلاغة اسلوبه ٠ والمعروف انه بكتابه الامان لعبد الله بن علي قد انتقد الدولة بسياستها باسلوب بليغ غير مباشر ووضع نفسه الى جانب اعداء الدولة ٠ ولذلك فان سبب مقتله يجب ان يبحث عنه ضمن هذا النطاق لا ضمن عقيدته الدينية التي ربما لم تكن تهم الخليفة قدر أهمية فعاليته السياسية والثقافية التي كانت من وجهة نظر المنصور موجهة ضد سلامة الدولة وامنها ٠

ان عمليات مطاردة الزنادقة في عهد المهدي كانت منظمة تنظيما مركزيا دقيقا يشرف عليه الخليفة ويرأسه في العاصمة صاحب الزنادقة او عريف الزنادقة وهو رئيس ديوان الزنادقة ، يعاونه في الاقاليم (المحتسبون) ورجال الشرطة ٠ وكانت الطريقة التي يحاكم بها الزنديق هو القبض عليه بعد اقل

شبهه فيطلب اليهم الخليفة او القاضي ان يرجعوا عن الزندقة اذا اعترفوا بها فيطلق سراحهم اذا رجعوا وهذه العملية تسمى (الاستتابة) • ولكي يتأكد القاضي انهم رجعوا فعلا عن الزندقة كانوا يطلبون من المتهم ان يبصق على صورة ماني وان يذبح طائرا ذلك لان المانوية تحرم ذبح الحيوان[١٦٦] •

ومن اشهر من اتهم بالزندقة في عهد المهدي : يزيـد بن الفيض كاتب المنصور ، وبشار بن برد الشاعر المشهور ، وودة الشروي وعبد الله بن ابي عبيد الله معاوية وزير المهـدي ، وآدم حفيد عمر بن عبد العزيز الاموي ، والشاعر الحكيم صالح بن عبد القدوس • وقد شمل الاتهام هاشميين منهم الحسين بن عبد الله بن العباس ، ويعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس وزوجته وابنته فاطمة •

ومن المتكلمين بالقدر عبد الله بن عبيدة بن محمد وعبد الله بن يزيد الليثي وابراهيم بن محمد الاسامي ، وقد ناقشهم المهدي فادعوا بأن رأيهم هو من رأي المنصور فأطلق سراحهم[١٦٧] •

كما امر المهدي بتصنيف قائمة موثوق بها عن اسماء الفرق المنحرفة عن الدين « اصحاب الاهـواء » ليعرفوا بين الناس ويصطادوا من كل جهـة وصوب [١٦٨] •

ان الروايات التاريخية تؤكد مرة ثانية في هذا العهد بان اسبابا غـير دينية لعبت دورها في اتهام البعض بالزندقة وهو بعيد عنها • ومن هـذه الاسباب السياسية او التنازع على الجاه او الحسد او الداوة الشخصية او محاولة القضاء على المعارضة السياسية وشملت عربا وغير عرب من المسلمين كما شملت اشخاصا من اهل الذمة •

ففي المناقشات الفقهية بين الفقهاء والمتكلمين كان من السهولة على الفقيه ان يألب السلطة على خصمه او من يحمل رأيا يخالفه خاصة اذا لم يدرك او لم يفهم الفقيه هذا الرأي ، كان من السهولة عليه ان يتهمه بالزندقة والتفلسف في الدين •

أما المعارضون السياسيون للدولة العباسية فكان من السهولة اتهامهم بالزندقة : فالميول العلوية لشخص ما كانت تربط أو تفسر من قبل الدولة بالتزندق • ولذلك فان هشام بن الحكم ذكر بان الامام موسى الكاظم قد أمره بتجميد فعالياته الفقهية والفكرية خلال عهد المهدي لان «الامر شديد»[١٦٩] • وتشير روايات كثيرة الى ان اشخاصا معروفين بولائهم للعلويين (الرافضة) اتهموا بالزندقة • فمثلا عبد الكريم بن ابي العوجاء وابو عيسى الوراق وبشار بن برد وعلي بن صالح بن حي الذي تسميه بعض الروايات انه كان « رأسا في الزندقة » ، وكان هذا قد أخفى عيسى بن زيد بن علي بعد فشل ثورة ابراهيم سنة ١٤٤ هـ وزوجه من ابنته[١٧٠] •

وفي مقتل بشار بن برد وابن المقفع وعبد الله بن معاوية بن يسار لعبت مؤامرات البلاط والعداوة الشخصية دورا كبيرا في وصم هؤلاء بالزندقة • ولعل مقتل عبد الله بن معاوية بن يسار يعتبر مثالا واضحا للدور الذي لعبته العوامل السياسية والعداوات الشخصية في استغلال سياسة الدولة لضرب الاعداء الشخصيين • فتشير الرواية[١٧١] الا ان المهدي اخبر بان عبد الله بن معاوية يدين بالزندقة فاستحضره وسأله عما يحفظ من القرآن فعجز عن ذكر بعض الآيات فأمر المهدي اباه الوزير بقتله ولكن الاب لم يستطع تنفيذ الامر فأمر الخليفة غيره بقتله • وسواء كان عبد الله هذا زنديقا يدين بالمانوية كما تشير الى ذلك بعض الروايات او انه كان من ابناء الوزراء والمترفين الذين أفسدهم المال الوفير فاغرق في المجون والشراب وتظاهر به فاصبح شخصا غير متزن فكريا ومتحللا خلقيا كما تذكر روايات اخرى ، فان مقتله كان لسبب غير هذا ولا ذاك • بل ان السبب الحقيقي يكمن وراء الخطة التي دبرها الربيع بن يونس صاحب المهدي ومولاه وعصبة من موالي البلاط ذوي النفوذ والجاه لاقصاء ابي عبيد الله معاوية من الوزارة والتأثير على سمعته عند المهدي • فمنذ بداية حكم المهدي ادرك الوزير ابي عبيد الله تزايد تأثير الموالي على الخليفة وأراد الحد من سيطرتهم فوقف هؤلاء يترأسهم

الربيع بن يونس ضد الوزير • ولم يستطيع الربيع ان يجد نقصا واحدا في شخصية الوزير أو سلوكه او ادارته ولذلك التفت نحو ولده عبد الله فوجد من سلوكه ما يبرر اتهامه بالزندقة وكانت النتيجة تنحية الوزير وقتل ابنه • على ان المهدي ادرك بعد فوات الاوان الخطة التي حبكها الربيع والموالي •

ولقد لعبت العداوة الشخصية بين بشار بن برد (١٧٢) ويعقوب بن داود وزير المهدي واخيه صالح بن داود دورا في اتهام بشار بالزندقـة قتله عليها • فقد هجا بشار يعقوب وصالح وانتهز يعقوب الفرصة فاطلع الخليفة المهدي على أبيات الشعر فيها هجاء مقذع بالخليفة • ولم ينتظر يعقوب أوامر الخليفة بقتله بل قتله قبل ذلك • ولعل ميول بشار العلوية اكدت ضرورة التخلص منه فقد امتدح محمد ذي النفس الزكية وهجا المنصور وتشير رواية الى انه كان رافضيا من (فرقة الكاملية) • ولعل فيما يذهب اليه المستشرق قيدا بان تشكك بشار الفكري وتحلله لا يمكن ان تجعلنا نحكم على كونه ارتبط بالمانوية عن عقيدة واتخذها بعد تفكير جدي عميق مذهبا له ، لعل في هــذا الرأي الكثير من الصحة •

أما صالح بن عبد القدوس البصري (١٧٣) فقد حوكم أمام المهدي متهما اياه بان شعره يظهر الحكمة والانسانية والفضيلة ويبطن الثنوية ويدس معاني الزندقة • وقد طلب صالح بن عبد القدوس العفو من المهدي ولكن المهدي ذكره بشعره :

ما يبلغ الاعداء من جاهــل … ما مبلغ الجـاهل من نفسه
والشيخ لا يترك اخلاقــه … حتى يوارى في ثرى رمسه

وأمر بقتله • ويرى المستشرق كولدزيهر بان ليس هنــاك من سبب معقول لاتهام صالح بالثنوية او الزندقة وكان هناك من اشتهر بالمجون والخلاعة فاتهم بالزندقة مثل (١٧٤) آدم حفيد عمر بن عبد العزيز والشاعر ابن سيابة وكان آدم هذا يسرف في الشراب ويقول شعرا خليعا ماجنا وهو ثمل مثل :

اسقني واسـق غصينـا لا تبـع بالنقـد دينـا
اسـقنـا مـرة الطعـم تريـك الشـين زينـا

وقد ضربه المهدي ٣٠٠ سوط دون ان يعترف بزندقته بل كان يقول « والله ما اشركت بالله طرفة عين وحتى رأيتَ قرشيا تزندق ؟ ولكنه طرب غلبني وشعر طفح على قلبي وانا فتى من فتيان قريش اشرب النبيذ واقول على سبيل المجون » . فعفا عنه الخليفة . ان زندقة آدم كانت زندقة خلاعة ومجون لا زندقة عقيدة . وهي في هذا تشبه زندقة ابراهيم (١٧٥) بن سيابة الذي يقول عنه الاغاني « كان خليعا ماجنا طيب النادرة يحب الغلمان ويحبه المجان » وقد أقر يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي بالزندقة امـام المهدي على حد قول احدى الروايات ولكنه امتنع ان يعترف بها أمام الناس علنا . كما اتهمت بالزندقة زوجته وابنته . وفي رواية للطبري ان فاطمة بنت يعقوب أقرَّت بانها حامل من أبيها وهذا يؤكد زندقتها لان المانوية تبيح زواج الآباء ببناتهم .

وفي سنة ١٦٦ هـ اتخذ الخليفة اجراءات شديدة ضد الزنادقة واصطادهم من الآفاق وكان من بينهم داود بن روح بن حاتم واسماعيل بن سليمان ومحمد بن ابي ايوب المكي ومحمد بن طيغور وقد اعترفوا بالزندقة وتابعوا بعد ان استتابهم الخليفة . وارسل المهدي داود الى ابيه والي البصرة ليصلح من شأنه (١٧٧) .

والمعروف عن المهدي انه لم يقتل احدا من الهاشميين والعباسيين خاصة بتهمة الزندقة فلم يأمر بقتل يعقوب بن الفضل ولا ابن داود بن علي اللذين اتهما بالزندقة قائلا « أما والله لولا اني كنت جعلت الله على عهد اذ ولاني هذا الامر الا اقتل هاشميا لما ناظرتك ولقتلتك » وحث المهدي ابنه الهادي على قتلهما في ولايته . وقد مات ابن داود في السجن وقتل الهادي يعقوب بن الفضل سرا مدعيا انه مات ميتة طبيعية (١٧٨) .

واستغل المهدي الفقهاء ورجال الدين لشن حملة فكرية ضد الزنادقة الذين بدأوا يؤثرون على الناس ويخدعون الجهلة والضعفاء . فأمر ان تنشر الكتب للرد عليهم وان تعلن اسماؤهم واسماء فرقهم لمعرفتهم ومهاجمتهم سياسيا وماديا . فاعتمد على الجدليين واهل البحث « لازالة الشبهات التي روج لها المانوية والشكاك والخلفاء مدفوعين بعقيدة أو بتطرف . وقد لعب أوائل المعتزلة مثل واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد دورا في ذلك . فوضع واصل كتابا سمي « الف مسألة للرد على المانوية » وبعث أصحابه الى الاقاليم للرد على الزنادقة ومضادة تعاليمهم . وترى الروايات المشادة العنيفة بين واصل وبشار بن برد وبين عمر بن عبيد وصالح بن عبد القدوس .

ولعل جهود المهدي وشدته في تعقب الزنادقة تظهر من وصيته لابنه الهـادي :

« يا بني ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم يخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها من هذا الى عبادة اثنين احدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغتسال والبول وسرقة الاطفال من الطريق لتنقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور . فارفع فيهـا الخشب وجرد فيها السيف وتقرب بامرها الى الله لاشريك له . فاني رأيت جـدك العباس في المنام قلدني سيفين وأمرني بقتل اصحاب الاثنين »[١٨٠] .

على ان الهادي لم يدم طويلا لينفذ ما وصاه به والده . ومع ذلك فقد قتل سنة ١٦٩هـ (أزاد ايادار) أو (يزدان بن باذان)[١٨١] كاتب يقطين بن موسى وابنه علي . وكان قد اشيع عنه انه زنديق ففرر الذهاب الى الحج لينفي عنه تهمة الزندقة . وفي مكة رأى الناس يهرولون اثناء طوافهم فقال ما أشبههم الا ببقر تدوس في البيدر . فقتله الهادي وصلبه . وهجا الشاعر العلاء بن الحداد يزدان فقـال :

يا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر
ماذ ترى في رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر
ويجعل النـاس اذا ما سعوا حمرا تدوس البر والدوسر

على ان الجذع الذي صلب عليه يزدان وقع على احد الحجاج وهو على حماره فقتله في الحـال •

وفي نفس السنة قتل الهادي يعقوب بن الفضل الهاشمي الذي كان مسجونا منذ عهد المهدي • وامر الهادي بنصب الف جذع اعدهم لصلب الزنادق وقال « لئن عشت لاقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا اترك منها عينا تطرف » •

واتبع الخليفة هارون الرشيد نفس سياسة من سبقوه من العباسيين وقد استثنى الزنادقة من (العفو) الذي أصدره سنة ١٧٠ هـ عن الهاربين والمستخفين من السلطة • ومن جملة من استثنى يزيد بن الفيض ويونس بن ابي فروة (١٨٢) • كما القى القبض على أولاد مطيع بن اياس واعترفوا بقراءتهم لكتب الزندقة • واتهم الحسن بن هاني (ابو نواس) بالزندقة وسجن مع حماد عجرد واعترف ابو نواس بان لحماد شعر يقرأه الزنادقة في صلواتهم• ولابي نواس شعر متشكك ملحد كان يقول : (١٨٣)

وملحة علي باللوم تحسب انني بالجهل أوثر صحبة الشطار
بكرت علي تلومني فاجبتها اني لاعرف مذهب الابرار
فدعي الملام اطعت غوايتي وصرفت معرفتي الى الانكار
ورأيت اتياني اللذاذة والهوى وتعجلا من طيب هـذي الدار
امرى واحزم من تنظر اجـل علمي رجـم من الاخبـار

وشدد هارون الرشيد على أهل الكلام وضعه • ولعل هذا التشدد من قبل الرشيد يعكر الحالة السياسية المضطربة وخاصة في الاقاليم الشرقية في عهده • فقد اتهم عمرو بن محمد العمركي باثارة القلاقل وحث المحمرة في جرجان

على الثورة وصلب بتهمة الزندقة في مرو سنة ١٨٠ هـ • وقد اتهم البرامكة بالزندقة بعد نكبتهم • كما اتهم الرشيد بعض الموالين للبرامكة بالزندقة وقتلهم لاسباب سياسية (١٨٤) •

بل أصبحت تهمة الزندقة في عهد الرشيد تهمة العصر يتبادلها الاعداء والخصوم فاتهم مثلا ابو نؤاس ابان بن عبد الحميد اللاحقي باعتناق تعاليم الثنوية (١٨٥) •

واستمرت مطاردة الزنادقة والشكاك والمجان خلال بقية العهود في العصر العباسي الاول حيث لم تتغير الصورة ولعل أهم ما يميزها اعتماد المأمون على المناظرة العقلية والدعاية الفكرية الثقافية التي قام بها رجال من الاسلام مفكرون دانوا بالاعتزال واتخذوه مذهبا لمقارعة خصومهم من مسلمين أو غير مسلمين • وليس هنا مجال التفصيل في عهد المأمون ومن أعقبه من الخلفاء •

* * *

نظرة اجمالية في الزندقة :

هذه أمثلة قليلة ولكنها مشهورة عن شخصيات اتهمت في العصر العباسي الاول بالزندقة • وقد لاحظنا ظاهرتين الاولى مرونة اصطلاح الزندقة وسعته بحيث لم يشمل المانوية وهم الزنادقة الرسميون من وجهة نظر السلطة العباسية بل شمل الفلاسفة الاحرار والمفكرين المستقلين والشكاك والدهريين والمجان وأصحاب الميول والاهواء المعارضة والمعادية للدولة • أما الظاهرة الثانية اتخاذ الزندقة وسيلة للايقاع بالناس •

ونحن في الامثلة التي طرحناها اعلاه حاولنا ان نضع نصب أعيننا بان تهمة الزندقة في العصر العباسي الاول كانت تعني رسميا المانوية وحرصنا أن تثبت في كل مثال أوردناه من امكانية اعتناقه المانوية او عدمها • فاذا لم تثبت تهمة المانوية عليه فهو ليس بزنديق بل انه اتهم بها لاسباب اخرى وقتل نتيجة لذلك•

وليس الحكم على هذه الشخصيات ، بما لدينا من روايات ، سهلا ميسورا •
فالتمييز بين الزنادقة الحقيقيين وبين غيرهم من الشكاك أو الفلاسفة المستقليين أو الدهريين صعبا على كل حال •

ومن الواضح ان هدفنا لا يعني انكار وجود الزندقة ومذهب المانوية الذي بدأ بالانتعاش ثانية في هذه الفترة النشطة من تاريخ الاسلام (١٨٦) بل على العكس فاننا نرى وجود جماعات وحلقات وافراد يدينون بالمانوية ويعملون عن طريق الكتابة والدعاية لترويجها • ويدعون الى الثقافة الفارسية لتحل بجميع مظاهرها في المجتمع العربي وينشرون الدعايات المضادة للعروبة والاسلام •

ولكن الشيء الملاحظ هو ان السلطة العباسية لم تقف ضد هذه الحركة الا بعد ان هددت مصالحها ومستقبلها السياسي • فلم يكن يهم الخلفاء العباسيين المبادىء التي يعتنقها الافراد أو الجماعات اذا لم تكن هذه المبادىء تهدد الدولة العباسية وتهاجم الخلافة العباسية وتعمل على هدمها • وهذا يفسر مرونة اصطلاح الزندقة وقابليته للمطاطية • فالزنادقة في نظر العباسيين هم الذين يشكلون خطرا حقيقيا او وهميا مستترا على الدولة العباسية • وقد استغلت الدولة العباسية نفسها جماعات متطرفة في آرائها أو افراداً مشكوكاً في عقيدتهم بسبب خلاعتهم مثل مطيع بن أياس وحماد عجرد لاغراض سياسية آنية ثم اتهمهم بالزندقة بعد ان انتهى دورهم• وقد خصص المؤرخ البلعمي (١٨٧) فصلا ليس بالقصير عن الزنادقة وهو كغيره من مؤرخي القرن الثالث الهجري يستعمل الاصطلاح في أوسع معانيه • ويعتبر كل من عبد الله بن أبي عبيد الله وعبد الله بن داود بن علي الهاشمي ويعقوب بن الفضل الهاشمي من الزنادقة المشهورين • ثم يشير الى محاولة الزنادقة وضع كتاب يشبه القرآن الكريم في اسلوبه وبلاغة ألفاظه وهؤلاء هم عبد الله بن المقفع وصالح بن عبد القدوس وعبد الله بن عبيد الله وعبد الله بن داود وقد اختاروا من بينهم عبد الله بن المقفع المشهور بنثره البليغ • ولكن رواية البعلمي هذه ليس لها ما يؤيدها ولم يذكر

عن ابن المقفع انه كتب كتابا بهذا المعنى • على ان محاولة وضع كتاب يشابه القرآن ربما كانت تخامر نفوس الزنادقة واعداء الاسلام منذ العهد الاول لظهور الاسلام • وقد تحدى القرآن الكريم في كثير من آياته هؤلاء الذين كان منهم في العصر العباسي ابن الراوندي (١٨٨) الذي أشار الى معجزات الانبياء على انها (مخاريق) ومن عمل السحرة ، وتعرض الى القرآن من حيث الاسلوب والمحتوى والافكار وتعارضها • كما حاول عبد الكريم ابن ابي العوجاء كتابة كتاب يعارض فيه القرآن الكريم اضافة الى وضعه احاديث كاذبة ونسبتها الى الرسول (ص) • وكتب يونس بن ابي فروة رسالة في مثالب العرب وعيوب الاسلام وارسلها الى الامبراطور البيزنطي • وفي رواية ان حماد ادعى بان أبياته الشعرية أكثر جمالا من جمل القرآن الكريم • وردا على هؤلاء الزنادقة والشكاك الملحدين في القرن الثالث الهجري الف الجاحظ كتابا في فضائل القرآن ومعانيه الجميلة(١٨٩) •

على أن من أسباب اندفاع هؤلاء الملحدين في الطعن بالقرآن الكريم ربما كانت المشادة العنيفة في هذه الفترة حول طبيعة القرآن من حيث كونه مخلوق ام أزلي • ان هذه المشادة ربما فسحت المجال لهؤلاء بالكلام حول القرآن الكريم •

وكتب حماد عجرد رسائل كثيرة في المذهب المانوي كما تشير الى ذلك رواية في المسعودي (١٩٠) • وقد شغل حماد عجرد مناصب ادارية في الدولة العباسية ، وكان مؤدبا للامين ولكنه كان معروفا بالمجون والخلاعة ولا يمكن التأكد على انه مانوي العقيدة والا لما تقرب من البلاط العباسي ومن الممكن اعتباره من الشكاك وكان صديقا لابن المقفع •

كما الف يحيى بن زياد الحارثي رسائل في المانوية وكان صديقا لابن المقفع وقد اعتبرته الكثير من المصادر مانويا • ومن حلقة ابن المقفع كذلك مطيع بن اياس الليثي الكناني الشاعر وقد كتب والف شعرا في المانوية كما اعترفت ابنته بمذهبها المانوي امام الرشيد (١٩١) •

وقد انتشرت الكتب المانوية ذات الاوراق الصقيلة والحبر العميق الصافي والغلاف المزركش البديع والابداع الفني الزخرفي في النشر في المجتمع الاسلامي ويشير الى ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان الا انه يهاجم محتواها فيقول : (لا تفيد علما ولا حكمة وليس فيها مثلا سائر ولا خبر ظريف ولا صفة أدب ولا حكمة غريبة ولا فلسفة ولا مسألة كلامية) ولكن الجاحظ يعترف بانها « اجود ما تكون ورقا يكتب عليه بالحبر الاسود البراق ويستجاد له الخط » [١٩٢] • وكان لجودة هذه الكتب من حيث التفنن في الاخراج انها كانت تطلب حتى من غير المانوية •

ولعل بعض السبب في انتشار المانوية بين الايرانيين والعرب يعود الى جودة هذه الكتب والعنـاية ببهرجتها • ويشير الدكتور صديقي [١٩٣] الى تأثير المانوية بصورة مباشرة او غير مباشرة على بعض الفرق الاسلامية من حيث وسائل احتجاجها وطرق الدعاية والدعوة لنفسها ، فقد عقدت المجالس والحلقـات بين المعتزلة والمانوية للمناقشـة والاحتجاج ، ويصور كتاب الاحتجاج للخياط المعتزلي هذه المناقشات والمسائل التي كانت تطرح في القرن الثالث الهجري والرابع الهجري • كما يشير صديقي الى عدد من الاشخاص المعروفين بميولهم الشيعية العلوية والذين اعتبروا زنادقـة في نفس الوقت ومنهم عبد الكريم ابن ابي العوجاء وابو عيسى الوراق وتلميذه ابن الراوندي ونعمان وابن طالوت على ان اثبات اثر المانوية على الفرق الاسلامية شيء يحتاج الى دراسة وبحث مفصل ودقيق ، ولكننا نقول هنا بان خطر المانوية كان واضحا على الاسلام مما أدى الى حملة نشطة وقوية رعتها وشجعتها الدولة على المانوية •

وقد بدأت هذه الحركة الفكرية في عهد الخليفة المهدي كما رأينا سابقا ، حيث كتب الفقهاء والمحدثون رسائل لدحض آراء الفرق الملحدة او المتطرفـة وخاصة المانوية ، ولكننا لا نعرف الا القليل عما كتب في عهد المهدي • أما الكتب الاخرى فمنها :

ابو محمد هشام بن الحكم (ت ١٩٩ ﻫ) : كتاب الرد على الزنادقة والرد على أصحاب الاثنين •

ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٣٥ — ٣٠٣) : كتاب الرد على أصحاب التناسخ والخرمية •

ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي : كتاب الرد على اصحاب التناسخ •

أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ ﻫ — ٢٤١) : كتاب الرد على الزنادقة والهجمية •

ابو الربيع محمد بن الليث الخطيب (سكرتير يحيى البرمكي) كتاب الرد على الزنادقة •

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي : كتب كتابا في سبعة فصول ضد المانوية•

المسعودي : كتب في كتابه الابانة في أصول الديانة ردا على المانوية والمبادىء الثنوية •

ترجمان الدين القاسم بن ابراهيم الحسني (ت ٢٤٦ ﻫ) كتاب بالرد على الزنديق اللعين ابن المقفع •

ابو عثمان الرقى : رسالة للرد على الملحدين واصحاب الاثنين •

ولم يؤلف ابراهيم النظام المعتزلي المشهور رسائل أو كتب ضد المانوية والزنادقة ولكنه اشتهر بمناقشاته العنيفة معهم في المجالس والحلقات كما تشير الى ذلك روايات كثيرة •

أما الكتاب الذين الفوا الرسائل للدفاع عن المانوية فيذكرهم ابن النديم وكذلك المسعودي ومنهم ابن طالوت وابو شاكر الديصاني وابن السعدي الحريري ونعمان وعبد الكريم بن ابي العوجا وصالح بن عبد القدوس وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن أياس • وكتب يزدان بخت احد رؤساء المانوية

كتابا ضد المسيحية ورد عليه جبريل بن نوح النصراني • كما عقد يزدان بخت عدة مناقشات مع ابن الهذيل العلاف وجعفر بن حرب •

وكان للمانوية مناقشات ومشادات مع سائر الفرق الاخرى في القرن الثالث والرابع الهجريين •

★ ★ ★

وبعد فقد كانت حركة الزندقة حركة متشعبة الاتجاهات كثيرة الاغراض والغايات واستغلت من قبل السلطة ومن قبل اعداء السلطة ، فذهب ضحيتها كثيرون من المسلمين وأهل الذمة •

وكان لا بد لهذه الحركة ان تخفق لقوة من تصدوا لها فكريا من علماء الاسلام وفقهائه ، ثم ان الدولة العباسية تصدت لها بقوة سلاحها وفكرها لان الزنادقة ظهروا بمظهر الاعداء للعروبة والاسلام وهما الصفتين المميزتين للعصر العباسي الاول •وسواء كانت الزندقة مذهب المانوية او اعتقاد طائفة من المتكلمين والفلاسفة أو وسيلة من وسائل العبث اعتنقه الكتاب والشعراء والمجان فانها شغلت حيزا رئيسيا في الفكر الديني ــ السياسي في العصر العباسي الاول وكان لها اثرها العميق على المجتمع وعلى الدولة بما انتجته من صراع فكري أثر في معتقدات الناس وشكل خطرا على الدولة •

٩ ــ سياسة العباسيين تجاه أهل الذمة :

المصــادر : ليست لدينا الا معلومات قليلة عن موقف الخلفاء العباسيين تجاه أهل الذمة في العصر العباسي الاول ، وليس لدينا كتاب جامع في أخبار أهل الذمة واحوالهم في الدولة الاسلامية ما عدا كتاب (احكام أهل المــال) لابي بكر الخلال وهو يتعلق بتنظيم امور غــير المسلمين في دار الاسلام • وهذا الكتاب غير مطبوع بل اشار اليه العلامة ابن قيم الجوزية (٦٩١ ــ ٧٥١ هـ) في كتابه (احكام أهل الذمة) الذي صدر في دمشق سنة ١٩٦١ •

على اننا نجد اخباراً كثيرة منثورة ومتفرقة في الكتب الفقهية المختلفة وكتب الحديث • كما لدينا نصوص متفرقة في الكتب التاريخية عن اجراءات الخلفاء في العهود المختلفة المتعاقبة في الدولة الاسلامية ولكن هذه المعلومات قليلة لا تفي بالمرام ولا تبحث في احوال الذميين الاجتماعية والاقتصادية •

وفي الفترة موضوعة البحث نجد مددا من الكتب والرسائل التي الفها كتاب مسلمون معاصرون عن اهل الذمة مثل الجاحظ في رسالته (الرد على النصارى) : او ذميون معاصرون او شبه معاصرين مثل دانيسيس التلمحري وساويرس ابن المقفع وطيميتيوس النسطوري وسيمون بن يحيى وابو صالح الارمني • امـا الكتاب الذميون المتأخرون فمنهم ميشيل السوري وابن العبري (١٩٤) •

اما كتاب التاريخ لدانييس (منسوب اليه) فقد كتب في بداية القرن التاسع الميلادي باللغة السريانية وبالطريقة الحولية • ويعطي صورة قائمة للوضع الاقتصادي والسياسي في منطقة الجزيرة الفراتية ويبدي ميوله المعادية للعباسيين ويحذر ابناء بلده الى الانتباه والتماسك ليدرؤا الاخطـار التي ستواجههم في المستقبل بعد ان يستفيدوا من عبر الماضي التي يرويها لهـم البطريرك داينيس • ومما يذكره هذا الكتاب الضرائب الفادحة على الفلاحين من سكان القرى وسوء طرق الجباية وتعسف الولاة حبث شكوا فيالمسيحيين وخاصة في المناطق المتاخمة للدولة البيزنطية واعتبروهم رتلا خامسا في دار الاسلام فأمروهم بتمييز انفسهم في الملبس وامروهم ومنعوهم من مغادرة قراهم والهجرة الى المدن فختموا اسم القرية على ايدي سكانها •

وفي المحاورة الدينية التي جرت بين طيمثوس النسطوري وبين الخليفة المهدي يمتدح الجاثليق عطف الخليفة وتفهمه ومرونته •

ويبحث كتاب ساويرس في الحـوادث السياسية في مصر في عهـود البطارقة الاقباط المتعاقبين على الكنيسة القبطية في الفترة الاسلامية • وتعتبر

معلوماته موثوقة بصورة عامة لانه استمدها من الوثائق القبطية واليونانية المحفوظة في الاديرة والكنائس • ويشير الكتاب الى ان الاقباط كانوا في الغالب ضحية في أثناء القلاقل والاضطرابات • ومما يذكره ان والي الامويين على مصر صادر املاك الكنيسة وذهبها وفضتها ليستعد لمقاومة العباسيين وانه عمل ذلك بغضا للنصارى ، الذين ساعدوا العباسيين في السيطرة على مصر • ولكن العباسيين عادوا فاثقلوا كاهل الاقباط بضرائب باهظة •

ورغم ان تاريخ ميشيل السوري (ت ٥٩٦/١١٩٩) يعتبر تاريخا متأخرا الا انه وخاصة في النسخة السريانية يعبر عن آراءه بحرية اكثر ويهاجم السلطة الاسلامية حين يتكلم عن اضطهادات المسيحيين حيث يعتبرها جزءا من حركة الاضطهادات التي قامت بها الدولة ضد الزنادقة المانوية • ولعله من الطريف ان نذكر بان ميشيل يعتبر الغزو المغولي بمثابة انتصار للمسيحية والمسيحيين •

وقد الف ابن قيم الجوزية كتابا شاملا مفصلا في احكام اهل الذمـــة • على ان ابن قيم يتصف بالتشدد الديني الذي يصل به احيانا الى التطرف في معاملة أهل الذمة • ولعل مرجع ذلك الى حدة النزاع المذهبي في العصر الذي عاش فيه[١٩٥] • ولسنا هنا بصدد اظهار النقاط التي تشدد فيها المؤلف الا اننا نقول بان الكثير من الفقهاء حاولوا معاملة اهل الذمة معاملة مرنة في الارتباطات القانونية والمالية • ففي مذهب الحنفية على سبيل المثال ان الذمي كالمسلم بمجرد التزامه احكام الاسلام لانه من اهل هذه الدار •

وقد نشر الاستاذ ريتشارد كوثيل رسالة قصيرة لاحمد بن الحسين المالكي في « استعمال أهل الذمة »[١٩٦] •

* * *

لقد نظم الاسلام معاملة أهل الذمة ففرض عليهم ضريبة الجزية مقابل حمايتهم وضمان امنهم واستقرارهم • وفي القرآن الكريم آية تقول « قاتلوا

الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ومن الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقد تحدد معنى أهل الكتاب هؤلاء بالمسيحيين واليهود والمجوس والصابئة •

ومع وجود حالات استثنائية محدودة فقد عامل نعرب الفاتحون (اهل الكتاب) معاملة حسنة وكانت معاهدات الصلح مع سكان البلاد المفتوحة تدل على التسامح • وفي رسالة كتبها بطريرك النساطرة الى نصارى العراق وفارس يشير فيها باحترام العرب للعقيدة المسيحية ورجالها ومساعدة الكنائس [197] ولعل الخلفاء المسلمين في القرن الاول الهجري كانت احكامهم في اهل الذمة تجري بصورة عامة ، وفق الشروط العمرية (المنسوبة الى عمر بن الخطاب) « لان الائمة تلقوها بالقبول واحتجوا بها وانفذها بعد عمر الخلفاء الذين لهم ثناء حسن في الامة وعملوا بموجبها[198] » •

ورغم فرض بعض القيود على أهل الذمة الا ان المؤرخين ومن بينهم عددا من المستشرقين قد ادركوا ضرورات هذه القيود في مجتمعات العصور الوسطى واعترفوا بعدم تشدد الغالبية من الخلفاء المسلمين مع أهل الذمة •

* * *

وليس يهمنا ان نفصل في اوضاع أهل الذمة في القرن الاول الهجري فهذا ليس من اختصاص الفترة التاريخية موضوعة البحث • اما في الفترة العباسية فلقد تعقدت الامور الحياتية وتعقدت معها علاقات الناس بعضهم ببعض واصبحت الحلول التي وضعتها الدولة في القرن الاول غير كافية بنتيجة الاوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والفكرية الجديدة •

لقد جاء العباسيون الى السلطة مؤكدين صبغة الخلافة الدينية ودورها الفعال في احياء السنة والمحافظة على وحدة الجماعة وهي بطبيعة الحال « الامة الاسلامية او المحمدية » وعلى ذلك فان موقف السلطة من أهل الذمة

لم يكن مثل موقفها من المسلمين • وبمعنى آخر لم يكن بامكان غير المسلم ان يصبح عضوا كاملا في المجتمع الاسلامي الذي يعيش فيه • وكانت علاقات الجاليات غير الاسلامية مع الدولة محددة بمجموعة عهود واتفاقيات اصبحت بمرور الزمن تقليدا يسير عليه الخلفاء والولاة • ومهما كانت صفة هذه العهود من حيث المرونة والتسامح فانها كانت دون شك عهودا اعطيت من جانب القوي المنتصر وهم العرب الفاتحون ، فلم يسمح لاهل الذمة بالخدمة في الجيش بل ان الدولة تدافع عنهم وعليهم مقابل ذلك ان يدفعوا ضريبة الجزية التي لا يدفعها غيرهم ، وقد حرمهم هذا الوضع نظريا على الاقل ، وكذلك عمليا في فترات معينة من الاشتراك في السلطة التنفيذية (الادارة) • ولذلك وجه الذمي نشاطه الى التجارة والنواحي المالية والمجالات الفكرية والثقافية والعلمية • وحتى في هذه المجالات كان أهل الذمة يواجهون تحديات ليست بالقليلة •

ان القارىء المتمعن لروايات التاريخ لا بد وان يدرك وجود هذه المشاعر والتحديات لاهل الذمة في المجتمع الاسلامي في العصر العباسي الا ان الخلفاء والولاة والمؤسسات المختلفة في الدولة الاسلامية كان لا بد لها ان تقيّم براعة أهل الذمة وكفاءتهم في مجالات معينة في الادارة وبيت المال والمجالات العلمية وقد تقبل المجتمع الاسلامي ذلك واعترف به ولهذا نجد الكثير من الموظفين بل كبار الموظفين الاداريين والاطباء وعلماء الفلك وغيرهم من أهل الذمة رغم الحاح الفقهاء او بعضهم على الاقل وتشددهم في استخدام أهل الذمة •

ونحن حين ندرس موقف الخلفاء العباسيين الاوائل من أهل الذمة يجب ان نضع امامنا الاعتبارات التالية :

١ ــ كانت الخلافة العباسية كما حاول الخلفاء العباسيون أن يصوروها انبعاثا جديدا للدين القويم والسنة الصحيحة وفي مقابل ذلك كان لزاما

على السلطة أن تلزم غير المسلمين بالتزامات معينة وتحث الكتاب على كتابة الرسائل والكتب دفاعا عن الاسلام واثباتا لسموه على سائر الاديان ومثال ذلك ما فعله الجاحظ في رده على النصارى •

٢ ــ كان النزاع العباسي ــ البيزنطي في هذه الفترة قد تحول من استراتيجية الهجوم الاسلامي الى خطة الدفاع فلم تعد الدولة الاسلامية ، عدا بعض الاستثناءات التي لم تثمر شيئا ، بقادرة على القيام بهجوم كاسح ينتج عنه مكاسب مادية واقليمية كما كان الحال في الماضي •

٣ ــ لقد اتخذ بعض الثوار وخاصة المسيحيين في لبنان والجزيرة وارمينيا الدولة البيزنطية ملجئا يلتجئون اليه ولذلك كان لا بد للدولة العباسية أن تحتاط الامر في هذه الاقاليم •

٤ ــ كان الخليفة العباسي (خليفة الله في أرضه) وزعيم الامة الاسلامية• وكما كان هذا المركز يلزم الخليفة بأن يستمر في الجهاد ضد (دار الحرب) التي يسكنها غير المسلمين من مسيحيين أو وثنيين أو غيرهم • فان هذا المركز يلزمه أن يحد من امتيازات وفعاليات غير المسلمين في (دار الاسلام) بحيث تكون هذه القيود حجر عثرة في طريق مساواتهم بالمسلمين في الحقوق والواجبات •

لقد استطاع الاسلام أن ينتصر على الديانات الثنوية الفارسية واستطاع كذلك أن يقضي سياسيا وعسكريا على الامبراطورية الساسانية ، ولكنه لم يستطيع أن يقضي على الامبراطورية البيزنطية وبقي المسيحيون يعيشون داخل حدود الدولة الاسلامية وقد نقلت عن طريقهم الفلسفة الاغريقية والمنطق والعلوم الاخرى التي ربما باتت خطرا على تعاليم الاسلام من جهة كما وان هؤلاء المسيحيين سيطروا على مناصب ادارية وكتابية ومهنية مهمة من جهة اخرى مما استدعى قلق الفقهاء والاتقياء وكذلك حسد جمهور الناس• ولما كان الخليفة العباسي بحاجة الى تأييد الفقهاء والمحدثين ذوي التأثير الكبير

على العامة من الناس ، فلم يكن في وسعه الا أن يحيي بعض القيود التي كانت تفرض من حين لآخر من قبل بعض الخلفاء محاولين كسب جمهور العامة وبعض الفقهاء • على ان هذه القيود ليس لها ما يؤيدها في القرآن أو في مبادىء الاسلام الخلقية •

ولعلنا نستطيع القول بأن سياسة العباسيين الاوائل كانت خطوطها العريضة تتصف بكونها معادية للزنادقة ولأهل الذمة • على ان وجود عددا من الذميين المقربين الى الخليفة من أطباء ومنجمين وكتاب وغيرهم أو ممن شغلوا وظائف ادارية مهمة يدل بأن القيود التي فرضها الخلفاء والتي ذكرها المؤرخون والفقهاء لم يكن لها سوى أثرا قليلا من الناحية العملية • وهي في حقيقتها لم تكن سوى مناورة حتمتها ظروف الخلافة وسلاح سياسي بيد الخليفة العباسي •

ثورات أهل الذمة :

ان أشهر الانتفاضات التي قام بها أهل الذمة في هذه الفترة هي انتفاضات الاقباط في مصر ونصارى الجزيرة ونصارى جبل لبنان ونصارى ارمينية والمناوشات التي حصلت مع النصارى المنعزلين في شاطىء افريقية والمغرب •

أما في مصر(١٩٩) فقد ثار القبط على والي الامويين وكانوا عاملا مساعدا للعباسيين في احتلال مصر • وقد عفا العباسيون بعض الاقباط من الضرائب وخففوا عن البعض الآخر • الا ان ذلك لم يدم طويلا فقد اعيدت الضرائب على سابق عهدها كما واعاد المنصور الضريبة على بعض أهل الذمة الذين لبسوا لبوس الرهبان تهربا منها • وكانت مصر داخليا تعاني من مشاكل كثيرة فالاقباط كانوا يتحسسون بكثرة الضرائب والقيود والقبائل القيسية الصعبة المراس في الحوف الشرقي كثيرة الاضطرابات والبدو في الصعيد يأنفون الانصياع للسلطة المركزية • ولعل هذه العناصر غير المستقرة والمستاءة كانت بؤرة الاضطرابات ضد الدولة •

لقد أمل القبط أن يكون عهد العباسيين عهدا جديدا في معاملته لهم ولكن آمالهم ما لبثت أن خابت وقد عبروا عن تذمرهم من أوضاعهم بسلسلة من الثورات كان بعضها عنيفا • ففي سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م ثار ابو مينا القبطي في سمناود في الصعيد ولكن ابو عون عبد الملك الازدي استطاع قتله في نفس السنة • وفي سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م قامت ثورة قبطية عنيفة في سها وتوسعت الى المناطق القريبة بعد أن طردت قوات الدولة وانضمت الى الثورة قرى فلاحية اخرى ولم تستطع التعزيزات الجديدة التي أرسلها الوالي يزيد بن حاتم المهلبي أن تقضي على الثورة الا بعد جهود مضنية حيث اشعلت النار في قرى الثوار • ولكن الثورة ما لبثت أن اشتعلت مرة ثالثة في بلهيت في ولاية موسى بن علي اللخمي الذي استطاع اخمادها بسرعة سنة ١٥٦/٧٧٢ ـ ٧٧٣ م • والظاهر ان البدو كانوا ينضمون الى هذه الثورات حال قيامها •

ولم يكن تذمر الاقباط بسبب الاعباء المالية[٢٠٠] فقط بل لكونهم يتعرضون من حين لآخر لبعض القيود وكانوا عرضة للنهب والسلب كما كانت كنائسهم عرضة للهدم وخاصة أثناء ثوراتهم ضد الدولة العباسية • كما وكان بناء كنيسة جديدة يتطلب موافقة قاضي مصر • ولعل رواية المقريزي التي تقسم الناس في مصر الى ثلاثة أصناف آخرهم القبط « وهم ليسوا من صنف الناس » تدل على ما أوردناه عن حالتهم الاقتصادية والاجتماعية • وتشير روايات متأخرة على أن كثيرا منهم كان يهرب الى الصعيد بسبب عبء الضريبة على ان الاقباط لم يستطيعوا الاستمرار في الثورة بل كانت آخر ثوراتهم الكبرى سنة ٢٢٦ هـ سنة ٨٤٠ م حيث يقول المقريزي « ومن حينئذ ذلت القبط في جميع أرض مصر » • ومن الثورات المعروفة في هذه الفترة في لبنان[٢٠١] هي ثورة بندار المسيحي في جبل لبنان سنة ١٤٢ هـ سنة ٧٥٩ ـ ٧٦٠ م • وقد اعلن بندار نفسه ملكا على منطقته ونادى بالنصرانية دينا رسميا لاتباعه ثم هاجم القرى الاسلامية في سهل البقاع ولكنه

اندحر وعبر الحدود البيزنطية ملتجئا الى البيزنطين • وقد أمر صالح بن علي والي الشام بهجرة سكان جبل لبنان جماعيا ووزعهم على مناطق مختلفة من بلاد الشام •

وقد عارض الفقيه الاوزاعي فقيه الشام سياسة العباسيين هذه التي تقضي بتشتيت نصارى جبل لبنان فكتب الى الوالي كتابا يستنجد فيه العطف عليهم وعدم أخذ الجميع بجريرة البعض قائلا « فانهم ليسوا بعبيد ولكنهم احرار أهل ذمة »[٢٠٢] • والواقع انه كانت من تقاليد الفقهاء أن يخاطبوا الحكام بشأن تطبيق مبادىء الشريعة السمحاء على أهل الذمة والايصاء بهم خيرا فقد كتب أبو يوسف الى الرشيد يوصيه برعايتهم « حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم » • وقال الليث بن سعد فقيه مصر في فداء أهل الذمة اذا وقعوا في الاسـر « أرى أن يفدوهم من بيت المـال ويقرون بذمتهم »[٢٠٣] •

ومن الواضح ان العباسيين اعتبروا المسيحيين من سكان الشام والجزيرة معرضين للاستغلال أو التواطء مع البيزنطيين باعتبار وحدة العقيدة الدينية وكان على الوالي العباسي في الجزيرة أن يتخذ وسائل دفاعية من ضمنهـا بعض القيود والالتزامات التي يجب أن يلتزم بها نصارى هذه الاقاليم المجاورة للحدود الشمالية فكان على المسلمين في الجزيرة أن بابسوا السواد ليسهل تميزهم عن المسيحيين كما وان المنصور أمر بهجرة مجموعات كبيرة من سكان الثغور واحلال مجموعات جديدة محلهم لاسباب تتعلق بأمن الدولة[٢٠٤] •

ويتعرض دابنيس التلمحري[٢٠٥] في تاريخه الى الاحوال الاقتصـادية المتردية والفوضى السياسية في اقليم الجزيرة ، ورغم انه يبالغ في تصويره هذا المنبعث من تحسسه الديني العميق وعاطفته المتأججة التي جعلت كتابه صورة مشوشة لحالة الجزيرة ، بامكاننا القول بأن أوضاع الجزيرة الاقتصادية كانت تتردى بسبب كثرة الثورات واضطراب حبل الامن وعدم تمكن الدولة

من السيطرة على القبائل البدوية أو الاكراد واللصوص وكان نبلاء المسيحيين أنفسهم يهاجمون بعضهم البعض في قراهم الجبلية الحصينة • ولذلك فان النهب والسلب الذي تعرضت له الاديرة والكنائس كما يقول داينيسس لم يكن من قبل الوالي بل قام به عصاة محليون •

ولعل أهم ما كان يعاني منه نصارى الجزيرة هو ثقل الضرائب مما أدى الى هروبهم من قراهم الى المدن ولكن الدولة منعت الهجرة وذلك بأن ختمت على أيدي دافعي الضريبة من سكان القرى والمدن باسم مدنهم وقراهم ومقاطعاتهم • ولم يقتصر الختم على الايدي بل على الرقبة والصدر والظهر • وليس من المستغرب والحالة هذه أن يظهر بين المسيحيين من يدعي النبوة أو المهدية معلنا ان باستطاعته أن ينقذ الناس من حالتهم السيئة هذه وقد ظهر في هذه الفترة (جون بربادي)[٢٠٦] وتبعه الكثير من سكان القرى وقد حاول المسيحيون المنقذين والكنيسة التعاون مع السلطة العباسية للقضاء على جون بربادي • كما ظهر بعده منقذ آخر بشر الناس بالخلاص والعدالة وكان اسمه (مارمارته) كما ادعى قدرته على اشفاء المرضى وذوي الآلام وحاربته الكنيسة بالتعاون مع السلطة العباسية كما وان الاضطهاد والضيق الاقتصادي والحساسية السياسية دفعت الى ظهرر نبي مزعوم آخر نبي المسيحيين في عهد المتوكل • وكان الوالي العباسي يشرف بنفسه على انتخابات بطريرك الموصل وملحقاتها كما حدث في سنة ١٤٨ هـ ٧٦٤ ـ ٧٦٥ م • وكانت السلطة العباسية أحيانا تحابي بعض الطوائف المسيحية على بعضها الآخر كما حدث في عهد الرشيد في مصر بين اليعاقبة والروم الملكانيين[٢٠٧] •

وعلى شواطيء البحر المتوسط[٢٠٨] في المغرب كانت هناك جاليات مسيحية لا تزال تعيش في الشواطيء القريبة من برقة ولم تستطع القوات الاسلامية فتح هذه المناطق حتى زمن الخليفة العباسي المتوكل • ولعل تشديد الخليفة على اخضاع هذه المناطق المسيحية يتفق وسياسته الدينية السنية المتشددة •

أما في ارمينية وبلاد الخزر فقد عين ابو جعفر المنصور حين كان في عهد أخيه ابي العباس واليا على الجزيرة وارمينية واذربيجان نائبا عنه في ارمينية هو يزيد بن اسيد السلمي وعين يزيد بن حاتم المهلبي نائبا عنه في اذربيجان • وكانت ارمينية ذات طبيعة جبلية وعرة المسالك قليلة المؤن ولذلك كثر فيها العصاة وقطاع الطرق • كما وانها كانت معرضة لهجمات الخزر مما اجبر أبو جعفر الى الاشارة الى واليه باقامة علاقات ودية مع الخزر ، عن طريق التزوج بابنة ملك الخزر • وقد تم ذلك فعلا •

ولكن النزاع نشب ثانية بين الخزر والعباسيين بعد سنتين حين توفيت العروس سنة ١٤٥ ، سنة ٧٦٢ ـ ٧٦٣ • وبعد معارك دموية اضطر يزيد السلمي الى الانسحاب الى (برذعة) • وقد بدأت السلطة العباسية ببناء سلسلة من الحصون والقلاع التي عسكر فيها الجند العباسي ، كما وان عملية استيطان القبائل العربية استمرت • ولما كانت ارمينية ذات حدود مشتركة مع الامبراطورية البيزنطية فقد كان هناك دائما لاحتمال مساعدة البيزنطيين لأهل ارمينية أو مساعدتهم ضد العباسيين • على ان ذلك لم يكن دائما حيث يشير المؤرخ[٢٠٩] داينيسس التلمحري الى ان الارمن كانوا يتعاونون مع الجيش الاسلامي ويعرفونه على مواقع القوات البيزنطية فيوجه ضرباته الشديدة لهم • ولعل هذا القول من داينيسس مبالغ فيه لاختلافه في المذهب معهم •

والمعروف ان الارمن مسيحيون أما الخزر فكان غالبيتهم من اليهود في تلك الفترة •

أوضاع الذميين في الدولة العباسية :

ان الصورة التي تعطيها مصادرنا الذمية والاسلامية عن وضع أهل الذمة في المجتمع الاسلامي صورة قائمة في الاعم الاغلب ، على اننا أشرنا سابقا الى ان هذه الصورة مصطنعة ونظرية كان لها مبرراتها في مجتمع العصور

الوسطى • أما الصورة الفعلية فكانت على العكس كما سنرى بعد قليل •

يسهب دانيسس في وصفه للقيود الاجتماعية والالتزامات الاقتصادية التي عانى منها أهل الذمة • ويتكلم ابن قيم الجوزية في بحث[٢١٠] مفصل عن « منع استعمال اليهود والنصارى في شيء من ولايات المسلمين وامورهم » : ويؤكد على « غش أهل الذمة للمسلمين وعداوتهم وخيانتهم وتمنيهم السوء لهم » • ويمنع أحمد بن الحسين المالكي ولاة الامور من استعمال أهل الذمة[٢١١] • وتنسب الروايات الى عمر بن الخطاب انه قال : « لا تولوا اليهود والنصارى فانهم يقبلون الرشا في دينهم ولا يحل في دين الله الرشا • وتشير رواية في صبح الاعشى عن الشافعي انه قال « لا ينبغي لقاض ولا وال أن يتخذ كاتبا ذميا ولا يضع الذمي موضعا يفضل به مسلما ويعز على المسلمين أن يكون لهم حاجة الى غير مسلم »[٢١٢] • وهناك روايات كثيرة اخرى نسبت الى عدد من الصحابة والفقهاء والخلفاء •

ان مركز الخلفاء العباسيين كان يحتم عليهم اصدار المراسيم التي تتضمن قيودا معينة لاهل الذمة ولكن حاجة الدولة الى مهارتهم وكفاءتهم كانت تدعوا الخليفة الى استخدامهم • ويشير البلاذري[٢١٣] ان أبا العباس عامل الذميين معاملة حسنة وخفض من الضرائب المفروضة عليهم في الكوفة • وتشير الادلة على ان أهل الذمة استعملوا في الديوان منذ أوائل العباسيين•

وحين بنى المنصور مدينته المدورة (بغداد) لم يسمح للذميين بالسكنى داخل أسوارها كما وانه نقل أسواقها الى خارج الاسوار خوفا من وجود الجواسيس والعيون الذين تستخدمهم الدولة البيزنطينية • على ان المنصور حرم على الكثير من مقاطعات الشعب من السكنى في الداخل ومنحهم قطائع وارباض خارج المدينة وكان منها (قطيعة النصارى)[٢١٤] •

وكانت العلاقات العباسية ـــ البيزنطينية في عهد المنصور تؤثر على سياسة الخليفة تجاه أهل الذمة بصورة مباشرة فيشير المؤرخ ثيوفانيس[٢١٥]

في حولياته ان المنصور بعد أن رجع من الحـدود البيزنطية حيث عمل بعض التحصينات الدفاعية في (سمالو) وغيرها أمر بفرض تقيدات جديدة على اليهود والمسيحيين وخاصة اولئك المستوطنين قرب الحدود • وقد هرب الكثير من المسيحيين الى داخل الحدود البيزنطينية •

ومع ذلك فتشير كل الدلائل الى وجود عدد كبير من الذميين في وظائف الدولة المالية والادارية وكذلك في المهن الاخرى كالطب والهندسة ، كمـا برعوا في الترجمة الى العربية وفي الكتابة في العلوم العقلية (علوم الاوائل)•

فالمستشرق فنز قد يبدي تعجبه من كثرة عدد العمال والمتصرفين غـير المسلمين في الدولة • ويقول المستشرق ترتون ان من كبار موظفي الخراج في عهد المنصور كان يهودياً اسمه (موسى) • ويؤكد بارتولد وجولد تسهيران حال أهل الذمة في المعاملات المدنية والاقتصادة كان حسنا تحت الحكم الاسلامي(٢١٦) •

ولكن المنصور كان عليه ان يراعي موقف الفقهاء واحساسهم حيث يأبون ان يتسلط ذمي على مسلم في شيء ولعل هذه النظرة تتمثل في قول شبيب ابن شبة للمنصور :

« يا أمير المؤمنين ان دون ابوابك نيرانا تأجج من الظلم والجور ولايعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه محمد (ص) • يا أمير المؤمنين سلطت الذمة على المسلمين ظلموهم وعسفوهم وأخذوا ضياعهم وغصبوهم أموالهم وجاروا عليهم واتخذوك سلما لشهواتهم وانهم لن يغنو عنك من الله شيئا يـوم القيامة »(٢١٧) •

فطلب منه المنصور ان يعمل معه في الادارة فاجاب شبيب « ان المسلمين لا يأتونك وهؤلاء الكفرة في خدمتك ان أطاعوهم أغضبوا الله وان أغضبوهم أغروك بهم ••• » • وما كان على المنصور الا أن يطلب من الربيع بن يونس أن « يكتب الى الاعمال ويصرف من بها من أهل الذمة » • وفي روايـة

في الجهشياري[٢١٨] ان المنصور أمر حمادا التركي ألا يدع أحدا من أهل الذمة يكتب لاحد من العمال على المسلمين ، ان هذه الروايات ان دلت على شيء فانها تدل على وجود أهل الذمة في الادارة وعلى دورهم الكبير في الحياة الاقتصادية ، ثم ان استمرار وجود الذميين في الوظائف يدل دلالة واضحة على ان أوامر المنصور كانت شكلية ولم تنفذ بل كانت هدف الخليفة ارضاء الاتقياء وجمهور الناس • ذلك لان الدولة كانت تحتاج الى هؤلاء في تيسير دفتها •

ولعلنا نستبق القول فنشير الى ان أغلب الخلفاء العباسيين ساروا على خطة المنصور ففي الوقت الذي كانت المراسيم تصدر باعفاء الذميين من الوظائف كانت مناصبهم لا تتأثر من الناحية العملية [٢١٩] •

ففي عهد المهدي [٢٢٠] ثالث خلفاء العباسيين قويت شوكة أهل الذمة كما يؤكد ذلك ابن قيّم الجوزية • وتشير رواية ان ضياع المهدي بالبصرة كانت تحت ادارة كاتب نصراني ، وكان توما النصراني رئيس منجمي المهدي • وقد استجاب المهدي لاحد الفقهاء الذي أنشده :

بأبي وأمي ضاعت الاحلام   أم ضاعت الاذهان والافهام ؟
من صدر عن دين النبي محمد   أله بأمر المسلمين قيام ؟
ألا تكن أسيافهم مشهورة   فينا فتلك سيوفهم أقلام •

وأمر باخراج بعض أهل الذمة من وظائفهم ، ولكننا لا نعرف اذا كانت هذه الاوامر قد نفذت أم لا ولكننا نستدل بان أعمال الاهواز وكور ودجلة وفارس والسواد كانت بيد موظفين ذميين قبل أن يعين المهدي موظفين مسلمين جدداً •

وتشير روايات الى ان الاقباط في مصر كانوا يعانون من ضريبة الخراج• وفي الجهشياري[٢٢١] « ان أهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنانير • وكان محمد بن مسلم خاصا بالمهدي فلما

تقلد الخلافة ووجد أهل الخراج يعذبون استشاره فقال : هذا موقف له ما بعده وهم غرماء المسلمين فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء فتقدم الى ابي عبيد الله بالكتاب برفع العذاب عن أهل الخراج » •

على ان المهدي كان مولعا بحث الذميين في الدخول الى الاسلام وتدل على ذلك محاورته مع البطريك طيماثاوس أبدى فيها المهدي مرونة وتسامحا يشهد به البطريك نفسه ، وقد دعاه الى الاسلام ولكن البطريك تمسك بدينه• وقد نجح المهدي في ادخال عدد من أهل الذمة في قنسرين الى الاسلام وكتب على أيديهم بالخضرة قنسرين(٢٢٣) • ولعل لهذه المحاولات لنشر الاسلام في منطقة الجزيرة خاصة علاقة بنشاط الفعاليات العسكرية الاسلامية ضد البيزنطيين في عهد المهدي ذلك لأن دخول مسيحي الجزيرة الى الاسلام كان بمثابة عامل واستقرار وصمام أمان للدولة العباسية •

أما الرشيد فكان من أوائل الخلفاء العباسيين الذين تشددوا في أمر أهل الذمة « فصرف الذمة عن أعمالهم واستعمل المسلمين عوضا عنهم وغير زيهم ولباسهم وخرّب الكنائس وأفتاه بذلك علماء المسلمين » (٢٢٣) • ويقول الطبري « ان الرشيد أمر سنة ١٩١ هـ بهدم الكنائس بالثغور وكتب الى السندي بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم » • وكان أهل الخراج يعذبون حتى أمر برفع العذاب عنهم سنة ١٨٤ هـ •

ويذكر البيروني ان الرشيد قتل أحد الذميين الذي ادعى دعوات خارقة الا ان ذكراه بقيت في أذهان النصارى ونسبوا اليه المعجزات (٢٢٤) •

وفي مصر على عهد الرشيد أمر الوالي علي بن سليمان العباس بهدم الكنائس المحدثة فهدم كنيسة مريم وكنيسة قسطنطين(٢٢٥) وكان الرشيد قد استدعى (بلليطان) الطبيب في مصر وكان بطريك الاسكندرية لمعالجة احدى جواريه ثم كتب له منشورا عند عودته الى مصر برد الكنائس التي أخذها اليعاقبة من الملكانيين (٢٢٦) •

على اننا يجب أن نقول بان موقف الرشيد لم يكن أقل حراجة من موقف المنصور وكان عليه كاسلافه أن يتبع سياسة التوفيق وتشير رواية البلاذري الى معاملته الحسنة للنجرانية حيث خفض خراجهم وأن يكون مأواه الى بيت المال المركزي دون وساطة العمال • وكان طبيبه الخاص جبريل بن بختيشوع من المقربين اليه • وكان محمد بن مسروق قاضي مصر في عهد الرشيد أول من ادخل النصارى المسجد الجامع في خصوماتهم • ولعل حرج الرشيد تشير اليه رواية أخرى في الاحكام السلطانية فقد حكم في أيام الرشيد على مسلم قتل كافرا بالقود ولكن الخليفة ـــ على حد قول الرواية ـــ خاف الفتنة فطلب ابو يوسف القاضي ان يتدارك الامر بمخرج شرعي لئلا تكون الفتنة (٢٢٧) •

ورغم ان عهد الخليفة المتوكل خارج (٢٢٨) نطاق هذه الدراسة من الناحية التاريخية الا اننا نقول بان من مظاهر سياسة المتوكل الدينية المتشددة هي القيود الجديدة التي فرضها على الذميين حيث أصدر مراسيم تأمرهم بوضع اشارات صفراء اللون على ثيابهم وأن يكون طيلسانهم أصفر كذلك • كما وان عبيدهم يجب أن يتميزوا عن عبيد المسلمين • ويقول ساويرس ابن المقفع « بأن بلايا وقعت على الكنائس وأهلها في عهد المتوكل » • أما ابن قيم الجوزية فيمتدح المتوكل قائلا : « ان المتوكل صرف أهل الذمة من الاعمال وغير زيهم في مراكبهم وملابسهم وذلك ان المباشرين منهم للاعمال كثروا في زمانه وزادوا على الحد وغلبوا على المسلمين •• فكانت الاعمال الكبائر كلها أو عامتها اليهم في جميع النواحي » • وحين شدد عليهم أمرهم بلبس الثياب العسلية والا يمكنوا من لبس الثياب لئلا يتشبهوا بالمسلمين ولتكن ركوبهم خشبا وأن تهدم بيعهم المستجدة وان تطبق عليهم الجزية ولا يفسح لهم في دخول حمامات المسلمين وأن يفرد لهم حمامات خدمها ذمة ولا يستخدموا مسلما في حوائجهم لنفوسهم وأفرد لهم من يحتسب عليهم » • وان المدرك لموقف المتوكل السياسي حيث كان يجابه العلويين والمعتزلة والاتراك الذين

يحيكون مؤامراتهم في البلاط وخارجه ضد الخليفة ربما يعطي الحق للخليفة على ما أصدره من تقيدات ضد المسيحيين ليرضي (أهل السنة) من فقهاء وجمهور الذين كانوا أمله وعضده الاخير في صراعه السياسي الديني ضد أعدائه • من هذا المنطلق نستطيع القول ان اجراءات المتوكل الشديدة ضد الذميين والزنادقة كان لها هدف سياسي واضح اضافة الى الاهداف الاخرى• ومما يؤيد ذلك البلاذري(٢٢٩) التي تشير الى تسامح المتوكل مع الذميين من قرى فلسطين الذين شكوا اليه ثقل الضرائب فردها من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ، كما وان رواية ابن قيم الجوزية الآنفة الذكر تشير بصراحة الى كثرة الموظفين الذميين في عهد المتوكل نفسه •

ان وجود الذميين عمليا في وظائف الدولة الادارية والمالية هو الذي دفع كتاب الاحكام وبعض الفقهاء الى الحكم (٢٣٠) بجواز استعمالهم في الوظائف فقد نص الفقهاء مثلا على جواز تقليد الذمي وزارة التنفيذ وجواز أسناد الجباية اليه • ان رسالة الجاحظ في (الرد على النصارى) وثيقة تاريخية مهمة تظهر لنا حقائق غريبة عن مدى اتصال النصارى بالمسلمين في عمره وقبل عصره وكذلك مركزهم الاجتماعي والاقتصادي لهم • ويقول ان في النصارى « متكلمين واطباء ومنجمين وعندهم عقلاء وفلاسفة وحكماء •• وان منهم كتاب السلاطين وفراشي الملوك وأطباء الاشراف والعطارين والصيارفة •• وانهم اتخذوا البراذين والخيل واتخذو الشاكرية (الاجراء والمستخدمين) وتسموا بالحسن والحسين وعلي واكتنوا وترك كثير منهم عقد الزنانير وامتنع كثير من كبرائهم من عطاء الجزية » • ولكن الجاحظ يتهمهم بالمساعدة على ترويج كتب ذات مباديء هدامة فيقول : « فلولا متكلمو النصارى وأطبائهم ومنجموهم ما صار الى أغنيائنا وظرفائنا ومجاننا شيء من كتب المثانية والديصانية والمرقونية والعليائية ولما عرفوا غير كتاب الله وسنة نبيه » • كما ان الجاحظ يهاجمهم بشدة حين يقول : « ودينهم يضاهي الزندقة ويناسب في بعض وجوهه قول الدهرية •• انا لم نر أهل ملة قط أكثر زندق من

النصارى • ألا ترى ان أكثر من قتل في الزندقة ممن كان ينتحل الاسلام ويظهره هم الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى ؟ »[٢٣١] • ويظهر من كلام الجاحظ ان المسيحية كانت تشكل تحديا للاسلام لا يقل خطرا عن المانوية والمزدكية (أي الزندق والخزمية) وربما كانت أكثر خطرا بسبب دعم الامبراطورية البيزنطية لها •

بعد هذا كله علينا أن نعرف كذلك ان الرسالة التي ألفها الجاحظ كانت تطلب من السلطة العباسية وهي لذلك بمثابة تعبير عما كانت تريده السلطة من تصور لموقفها الظاهري « الرسمي » ضد الذميين وتطمينا لجمهور المسلمين الذين ربما شعروا بالخيبة والحسد تجاه المتنعمين والمتنفذين من الذميين •

اضطهاد أهل الذمة : لم يعرف عن الخلفاء العباسيين الأوائل أنهم أمضوا في اضطهاد أهل الذمة أو قادوا حملة عنيفة ضدهم كتلك التي قادها ضد الزنادقة والملحدين والشكاك والمجان •

ورغم اتهام الجاحظ للنصارى بالزندقة ، ورغم ما ذكره داينيسس عن اضطهادات النصارى والمانوية من عبد الرؤوس في الجزيرة ، ورغم ما يشير اليه ميشيل السوري [٢٣٢] حين يمثل اضطهاد النصارى باعتباره جزءا من حركة اضطهاد الزنادقة المانوية ، فاننا لا يمكن أن نقول بان نظرة الخلفاء العباسيين الى الذميين كانت توازي نظرتهم الى المانوية ، رغم ان تحدي المسيحية ربما كان — على حد قول الجاحظ — لا يقل عن تحدي المانوية (الزنادقة) •

يقول ميشيل السوري [٢٣٣] في تاريخه ان اضطهاد المسيحيين ابتدأ منذ بداية عهد المهدي وان عددا من الكنائس قد هدم وان رقيق المسيحيين صودر وبيع • وأجبر الخليفة عرب قبيلة تنوخ المسيحية بالدخول في الاسلام وان قسما منهم اضطهد بسبب رفضه ذلك • ان الرواية الآنفة الذكر فيها الكثير من المبالغة لان الدلائل تشير الى سياسة المهدي المرنة تجاه أعداء الدولة

منذ بداية حكمه ، كما واننا قد ذكرنا سابقا مدى تحيز ميشيل السوري (وخاصة في النسخة المكتوبة بالسريانية) ضد الاسلام والحكم العربي ومهاجمته بعنف لسياسة الدولة الاسلامية بحق وبغير حق • على ان الخليفة المهدي ربما ألزم المسيحيين في الدولة وخاصة المستوطنين منهم قرب الحدود البيزنطية ببعض الالتزامات وهدم الكنائس المحدثة بعد احدى الهزائم التي فنى فيها الجيش العباسي في حربه مع البيزنطيين •

وفي رواية أخرى يشير ابن العبري[٢٣٤] الى ان المهدي أجبر بطريرك مرو النسطوري على قبول الاسلام • ورغم ذلك فان المهدي كان أكثر شكا في المنيزفيين من النساطرة وغيرهم حيث أخرج بطريرك اليعاقبة من السجن الذي كان معتقلا فيه قبل خلافته وكانت علاقة الخليفة حسنة مع بطريرك النساطرة طيماثوس الاول[٢٣٥] •

ان روايات المؤرخين الذميين المتأخرين مبالغ فيها وليس لها ما يؤيدها في المصادر الاصلية والاولية •

وتشير رواية [٢٣٦] الى محاولة الهادي اجبار بعض امراء ارمينيا وجورجيا على قبول الاسلام ، واضطهد الكثير في ارمينية لهذا السبب وقتل الوالي بسبب ذلك أميرين من الارمن رفضا الانصياع لاوامره • كما قتل أمير من جورجيا • وتقول الرواية ان هذه الحادثة وقعت في ولاية خازم في سنة٢٣٣ من التقويم الارمني المقابلة للسنة ٧٨٥ م وليس في مصادرنا التاريخية ما يؤيد هذه الحادثة أو يشير اليها خاصة وان الهادي لم يحكم الا سنة واحدة تميزت بالاضطرابات والمؤامرات الداخلية •

حواشي الفصل الخامس

(السياسة الدينية)

١ ـ ابن الطقطقي . الفخري ، ١١٥ فما بعد .

٢ ـ البلاذري . الشاب الاشراف ، ٨٠٠ ب . ـ المقفى (مخطوطة) ص ٧٩ب .

٣ ـ الطبري ، ٩٥ ، ص ١٢٥ ، القاهرة .

٤ ـ كب . دراسات ، ص ١٤ .

٥ ـ صديقي ، الحركات الدينية السياسية في ايران في القرن الاول والثاني للهجرة (بالفرنسية) . باريس ١٩٣٨ ، ص ٦٥ .

٦ ـ B. Lewis, Ch. XVI, **C. M. H.** , New ed. 1961. P. 662

٧ ـ B. Lewis, **OP.** cit, P. 641

٨ ـ برنارد لوس . أصول الاسماعيلية ، ١٩٢٧ (مقدمة الدكتور عبد العزيز الدوري) .

٩ ـ Nikki R. Keddie, symbol and sincerity in Islam, P. 36

١٠ ـ Gibb, government and Islam, Elaboration d'Islam 1961 P. 119.

١١ ـ الجاحظ ، الحيوان ١٥ ، ص ٣١٠ . ـ العقد الفريد ٤٥ ، ص ١٠١ . ـ ابن عساكر تاريخ دمشق ، جـ ٥ ص ٢٠٣ .

١٢ ـ الطبري ، جـ ٣ ص ٤٢٩ ليدن .

١٣ ـ الطبري ، جـ ٣ ص ٤٣١ . ـ المسعودي،مروج جـ ٦ ، ص ٢٠٣ فمابعد .

١٤ ـ الطبري ، جـ ٣ ص ٤٧٩ . ـ ابن الاثير . الكامل ، جـ ٦ ص ٣١ .

١٥ ـ الخطيب البغدادي ، ١٣٥ ، ص ٢١ ـ ٢٣ .

١٦ ــ العاملي ، أعيان الشيعة ، جـ ٦ ص ٢٢٥ .

١٧ ــ E. I. Umayyads

١٨ ــ الطبري ، جـ ٢ ص ١٧٥٦ ــ ١٧٦٤ ليدن .

١٩ ــ **OP. cit** جـ ٥ ص ٢٤٣ القاهرة .

٢٠ ــ القلشقندي . مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، جـ ١ ص ٢١ ، ص ١٦٢.

٢١ ــ كب ، دراسات .. ، ص ٤٨ . idem. , ... Government ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ .

٢٢ ــ N. R. Keddie, OP. cit, P. 36

٢٣ ــ الدوري ، النظم الاسلامية ، ص ٢ ٤.

٢٤ ــ البلاذري . الشاب ص ١١٧٥١ ، ١٧٨٤ . ٧٨٤ ب . ــ الطبري جـ ٣ ص ٤٣٠ ، ٤٣٣ ــ مروج ، جـ ٦ ، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٧ .

٢٥ ــ الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٣٨ ليدن .

٢٦ ــ الطبري ، جـ ٣ ص ٤٣٠ ــ ٤٣٢ .

٢٧ ــ يعقوبي ، تاريخ جـ ٣ ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

٢٨ ــ العقد الفريد ، جـ ٣ ص ٣٧٠ .

٢٩ ــ رسالة في الصحابة ، ص ٢٢ .

٣٠ ــ **Op. cit** ، ص ١٣١ .

٣١ ــ محمد كرد علي : رسائل البلغاء ، ص ٤٩ فما بعد .

٣٢ ــ مناقب الترك ، ص ٢٤ . تحقيق فان فلوتن .

٣٣ ــ استحقاق الامامة ، ص ٢٤٥ تحقيق فان فلوتن .

٣٤ ــ أدب الكاتب ، ص ١ ــ ٣ طبعة ليدن ــ اكد ابن خلدون على نفس النظرة حيث قال في مقدمته بان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين وأكد بان الصبغة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قــوة العصبية (المقدمة ص ٤٦٦ ــ ٤٦٧) .

٣٥ ــ الدكتور صالح العدي ، التنظيمات .. ، ص ٨٧ فما بعد .

٣٦ ـ البلاذري . الشاب ، جـ ٥ ، ص ٣٥٤ .

٣٧ ـ اخبار العباس ص ٨٤ ب .

٣٨ ـ الطبري جـ ٣ ، ص ٤٤٣ .

٣٩ ـ الطبري جـ ٣ ، ص ٤٤٧ .

٤٠ ـ **Op. cit** ، ص ٦٥٣ .

٤١ ـ القلقشندي ، مآثر الانافة ص ٢٥ .

٤٢ ـ الاصفهاني ، الاغاني جـ ٣ ص ٩٤ . ـ ولعل في اتخاذ لقب خليفة الله يعتبر ردا على الشيعة العلوية كذلك حيث نقل عن الامام الرضا قوله (الائمة خلفاء الله في ارضه) .

٤٣ ـ رسائل العرب ح ٣٨٣٣ ـ ٣٨٤ ـ الدوري . النظم ٤٦ ـ ٤٧ .

٤٤ ـ ابن قتيبة ، عيون الاخبار جـ ١ ص ٢٩٤

٤٥ ـ الاصفهاني ، الاغاني ، ص ٩ ، ص ٤٦ .

٤٦ ـ انظر القلقشندي مثلا جـ ١ ، ص ١٤ ـ ١٥ . ـ اطلق هذا اللقب على الامير القرمنلي في القرن ١٨ (كب . دراسات ص ١٩١) .

٤٧ ـ اليعقوبي تاريخ ، جـ ٣ ص ٢٣ فما بعد .

٤٨ ـ ارنولد الدعوة الى الاسلام ص ١٧ ـ ١٨ .

٤٩ ـ B. Lewis, Communism and Islam.. P. 318. ارنولد الدعـوة الى الاسلام ص ٥٣ . ـ يقول راجوفسكي ان الوراثة واجتماع السلطتين بين الحاكم ليست ساسانية وانما عربية جاهلية (اوائل الشيعة في العراق ـ اطروحة) .

٥٠ ـ الغزالي ، احياء علوم الدين جـ ١ ص ١٠٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

٥١ ـ كب ، دراسات ، ص ٤ ـ ١٨ .

٥٢ ـ ابن قتيبة ، عيون الاخبار جـ ٢ ص ١١٠ . ـ الشعراء والشعراء ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

٥٣ ـ الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

٥٤ ــ أدب الكاتب ، ص ١ .

٥٥ ــ النزاع والتخاصم ، ص ٥٠ .

٥٦ ــ الرجال ص ٣٢٧ .

٥٧ ــ الطبري ، جـ ٣ ، ص ٥٣٨ ــ ٥٣٩ ــ العقد جـ ١ ، ص ٦٢ .

٥٨ ــ الطبري جـ ٣ ، ص ٣٧٧ .

٥٩ ــ كب ، دراسات ... ، ص ٩ ص ١١ .

٦٠ ــ ولعل أغلب من يمثل أصحاب الحديث في الحجاز اتخذوا موقف الحياد في النزاع السياسي بين الشام والعراق خلال القرن الاول الهجري . كولدزيهر ، دراسات اسلامية جـ ٢ ، ص ١١٩ .

٦١ ــ الشهرستاني ، الملل والنحل جـ ١ ، ص ١٦٣ .

٦٢ ــ الاصفهاني ، مقاتل ، ٢٣٩ ــ ٢٦٣ ــ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٣٨٠ ــ عن اسماء الفقهاء انظر الجداول الموجودة في ابن القيم الجنوبية ، الاعلام ، جـ ١ ص ٩ .

٦٣ ــ مقاتل ، ص ٢٥٤ ، ٢٤٨ ، ١٠٨ .

٦٤ ــ تاريخ الموصل ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ .

٦٥ ــ شذرات الذهب ، جـ ١ ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

٦٦ ــ عن اختلافاتهم الثانوية في هذه الفترة المبكرة . انظر الجاحظ رسالة في بني امية ص ٢٩٧ . ــ المالتي التنبيه . ص ١١ . كذلك الجاحظ خلاصة كتاب العثمانية ص ١ ــ ١٢ . الاسكافي خلاصة نقد كتاب العثمانية ص ١٣ ــ ٦٦ .

٦٧ ــ لقد حاول المأمون والمعتضد والمطيع في فترات متعاقبة أن ينالوا من معاوية ويطمعوا فيه ولكن العامة قاومت ذلك وكان نتيجتها القلاقل والاضطرابات (شرح نهج البلاغة جـ ٣ ، ص ٤٤٢ فما بعد) .

٦٨ ــ ياقوت ، ارشاد جـ ٥ ص ٨٦ ، جـ ٧ ، ص ٢٩ .

٦٩ ــ مثلا حنابلة بغداد في القرن الرابع الهجري (المقدسي احسن التقاسيم ٣٩٩) ومحلة السحاق في الكوفة (الاغاني جـ ١٠ ص ٨٤) .

٧٠ ـ ابن ابي يعلي . طبقات الحنابلة ، ص ١٠٣ . ـ علاء الدين علي المنقي ، كنز العمال ، جـ ٣ ص ١٩٧ ـ ٢٠١ .

٧١ ـ المسعودي . مروج جـ ٦ ص ٥٦ فما بعد .

٧٢ ـ كانت الاتهامات عنيفة ومتبادلة بين المعتذلة والحنابلة . انظر راجوفسكي، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

٧٣ ـ الجاحظ . استحقاق الامامة (سندوي) ص ٣٤٤ ـ العثمانية ص ٢٥١ فصل ما بين العداوة والحسد (كروس ـ الجاحدي) ص ١٠١ . ـ مخطوطة ، في رسالة في التشبيه .

٧٤ ـ انساب ص ٥٤٣ (مخطوطة) . ـ الشاب (قدس) ص ٥٢٨ .

٧٥ ـ الخطيب البغدادي ، ١٣٥ ص ٢٥٢ . ـ ياقوت . معجم البلدان جـ ٦ ، ص ١٦٥ .

٧٦ ـ الامامة والسياسة . جـ ٢ ص ٢٨٥ .

٧٧ ـ كرد علي ورسائل البلغاء ص ١٢٠ . ـ ...

Goiten, a turning ... PP. 127 - 128 , Schocht, The origins . . . .P. 95.

٧٨ ـ الدينوري . الاخبار الطوال ص ٣٨٠ . ـ الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٢٩٧ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٣ ـ الاصفهاني . مقاتل ص ١٩٥ ـ العيون والحدائق جـ ١ ص ٢٩٧ . ـ الطبري جـ ٣ ص ٢٠٠ ، ٢٠٨ ـ ١١١ . ص ٥١٩ . ـ السيد طي ص ٧ ، ١٢ ، ٤١ ، ٤٦ وفيات الاعيان جـ ١ ص ٦٢٦ حلية الاولياء ـ جـ ٦ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

٧٩ ـ عيون الاخيار ، جـ ٢ ، ص ٣٣٧ . ـ مروج جـ ٦ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ انظر الدكتور فاروق عمر . موقف المعتذلة السياسي .. مجلة الاقلام . بغداد ١٩٦٧ العدد الثالث .

٨٠ ـ السيوطي ، ص ١٠٥ .

٨١ ـ الخطيب البغدادي جـ ٢ ص ٢٩٨ . ـ العقد الفريد جـ ١ ، ٦٧ جـ ٣ ، ١٥ تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٠٧ وقد رثى المنصور عمرو بن عبيد قائلا : لو ان هذا الدهر ابقى صالحا ابقى لنا عمرا ابا عثمان .

٨٢ ـ ياقوت ، معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٧٩ .

٨٣ ـ انساب الاشراف (مخطوطة) ص ٥٧٠ ـ ٥١٩ ، ٥٣٩ (القدسي) .

٨٤ ـ الازري ص ١٥٣ . ـ الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨ .

٨٥ ـ آثار البلاد ، جـ ٢ ، ٢٠٧ . ـ حلية الاولياء جـ ٦ ص ٣٨٧ .

٨٦ ـ عن الاوزاني انظر : محاسن المساعي ٧٩ ـ ٨١ ، ١١٦ ، ١٢٠ ـ ١٢٣ البداية والنهاية . جـ ١٠ ص ١١٨ . ـ حلية الاولياء جـ ٦ ص ١٨٦ .

٨٧ ـ السيوطي ، ص ١٧٧ . حلية الاولياء جـ ٦ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

٨٨ ـ محاسن المساعي ص ٨٩ . ـ البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٢٠

٨٩ ـ الكندي ، الولاة ص ١٣٤ . ـ النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٨٢ . ـ تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٠٧ . ـ وفيات الاعيان ص ٥٥٤ بولاق . الطبعة الانكليزية جـ ٢ ص ٥٤٣ .

٩٠ ـ عيون الاخيار جـ ٢ ، ١٤٣ . ـ حلية الاولياء جـ ٦ ص ٣٧٨ . ـ العاملي اعيان الشيعة ، جـ ١٢ ص ١٧٥ .

٩١ ـ انظر : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ص ٢١٥ ـ السيوطي ، ١٧٥ . ـ حلية الاولياء جـ ٩ ص ١٧٤ فما بعد . جـ ٧ ص ٣١ . ـ السبكي ، طبقات الشافعية جـ ١ ص ١٠١ . ـ ابن ابي يعلى ، طبقات الحنابلة ، ص ٢٤٨ . النواقض للرواقص (مخطوطة) ص ٦٥ ب .

٩٢ ـ مروج جـ ٦ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ . ـ الطبري ، جـ ٣ ص ١١٦ ، ١٧٠ . ـ انظر كذلك البيان والتبين جـ ١ ص ١١٣ طبعة ١٩٤٨ ـ عيون الاخبار جـ ٢ ص ٣٣٣ . ـ العقد الفريد جـ ٣ ص ١٥٨ . ـ صبغة الصفوة جـ ٣ ص ٢٦٥ .

٩٣ ـ الكندي ـ الولاة ص ٣٧١ فما بعد . ـ ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٢٤٤ ابن حجر . تهذيب التهذيب ص ٨ . ـ الخطيب البغدادي جـ ٢ ص ١٧٣ .

٩٤ ـ الطبري جـ ٣ ص ٦٥٤ .

٩٥ ـ السيوطي ص ١٨٩ .

٩٦ ـ البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٥٣ .

٩٧ ـ الكندي ص ١٣١ . ـ ابن سعد جـ ٥ ص ٣٠٨ .

٩٨ ــ الطبري ، جـ ٣ ص ٣٤٥ . ــ الخطيب البغدادي جـ ٢ ص ٣٠١ جـ ٧ ص٥٦ جـ ١٢ ص ٢٠٠ ــ البداية والنهاية جـ ١٠ ص٢١٥ . ــ السيوطي ص ١٨٨ .

٩٩ ــ الغزالي . احياء جـ ٢ ص ١٢٢ . ــ الشعراني البحر المورود ص ٢٥٠ ابو الليث السمرقندي تنبيه الغافلين ص ١٧٨ . ــ وقد قيل على لسان المأمون ان السعيد في هذه الحياة من امتلك دارا كبيرا وزوجه جميلة ومؤونة للعيش كافية ولا يعرف السلطات ولا يعرفه السلطان . انظر غزولي مطالع البدور جـ ١ ص ١٢ . ــ
Grunebaum, Medieval Islam - P. 250 n. 67. -

١٠٠ــ الخطيب البغدادي جـ ٢ ص ١٧٣ ص ٢٩٦ .

١٠١ــ OP. cit جـ ٩ ص ١٦٠ . ــ الجهشياري ص ١١٦ . قال عمرو بن عبيد لابي ايوب المورياني (كفى بامة شرا أن تكون انت المدير لامرها) .

١٠٢ــ كب . دراسات .. ص ١٧ ــ ١٨ .

١٠٣ــ انظر .OP. cit ص ١٨ فما بعد .

١٠٤ــ عن القضاة الذين أيدوا العباسيين . انظر انساب ص ٥٦٧ . ــ معارف ص ٢١٦ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ . ــ الازري ص ١٦٥ . ــ ابن سعد جـ ٥ ص ٣٠٨ ، جـ ٦ ص ٢٦٣ ، ٢٤٤ . ــ الولاة ص ٣٥٣ ابن العديم بغية الطلب (مخطوطة) ص ٩٣ ب .

١٠٥ــ انظر مقالة ــ الدكتور صالح العلي عن (القضاء في العصر العباسيالاول) مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٠ .

١٠٦ــ ابن سعد جـ ٥ ص ١١٧ . جـ ٦ ص ٣٦٣ . ــ اخبار القضاة جـ ١ ص ١٨٤ . ــ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٤٦ . ــ الخطيب البغدادي جـ ٩ ص ٢٧٩ . ــ ان احسن كتاب عن القضاء هو أدب القضاة . للخصاف .

١٠٧ــ الطبري جـ ٣ ص ٥٨١ ــ ٥٨٢ .

١٠٨ــ مروج جـ ٢ ص ٥٣ ــ ٥٥ . ــ التنبيه ص ١٠٣ .
Schocht , The law in the Middle East PP. 58 - 59

١٠٩ــ الطبري جـ ١٠ ص ٥٧ طبعة القاهرة .

١١٠ــ الماوردي . الاحكام السلطانية ص ٢١٩ .

١١١ــ الولاة ص ٣٥٦ ــ هجا الشاعر محمد بن مناذر مولى بني يربوع (ت ١٩٨ هـ) القاضي خالد بن طليعة قاضي المهدي فقال (الشعر والشعراء ٥٥٤ . ــ البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ الاغاني جـ ١٧ ص ٢٤) .

أصبح الحاكم بالناس — من ال طليق
جالسا يحكم في الناس — حكم الجاثلين
يدع القصد ويهوى — في بنيات الطريق

١١٢ــ السيوطي ص ١٠١ . ــ النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٥١ . ــ تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٥١ ، ص ٢٢٩ . ــ كشف الظنون جـ ١ ص ٨٠ .

١١٣ــ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٢١ ــ ٤٢٢ .

١١٤ــ الامامة والسياسية جـ ٢ ص ٢٨٥ .

١١٥ــ انساب ص ١٦٩ ص ١٧٠ ب (مخطوطة) .

١١٦ــ النجوم الزاهرة ص ٤٢٥ .

١١٧ــ العيون والحدائق ص ٢٢٧ .

١١٨ــ همداني . مختصر كتاب البلدان ص ٢٠ . ــ مقدسي ص ٧٥ .

١١٩ــ الطبري جـ ٣ ص ٤٨٦ . ــ ابن الاثير جـ ٦ ص ٣٧ .

١٢٠ــ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٧٦ ــ ٤٧٧ . ــ المقريزي خطط جـ ١ ص ٢٩٢ .

١٢١ــ الطبري جـ ٣ ص ٤٨٣ . ــ الخطيب البغدادي جـ ١ ص ٨٨ . ــ ابن خلدون ص ٤٤٤ .

١٢٢ــ الدينوري ص ٣٨٢ . ــ الطبري جـ ٣ ص ٥٣٥ . ــ البلاذري فتوح جـ ١ ص ٦ .

١٢٣ــ الاغاني جـ ٣ ص ٩٤ .

١٢٤ــ الجهشياري ص ١٤١ .

١٢٥ــ الطبري جـ ٣ ص ٥٢٢ .

١٢٦ــ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٩٢ . ــ الدينوري ص ٢٨٢ ، ٣٨٦ الطبري جـ ٣ ص ٦٥١ ــ ٦٥٣ .

١٢٧ــ العقد الفريد جـ ٥ ص ٩٤ .

١٢٨– أحمد امين فجر الاسلام ص ٢٨٢ . – فان فلوتن . السيادة العربية .. ص ٦٤ – ٦٥ .

١٢٩– أحمد أمين ص ٢٨١ . – يشير ابن طفور الى ان المأمون قال الارجاء ومن الملوك تاريخ بغداد ص ٨٦ . وهـذا لا ينطبق مع عقيدة المأمون ولا مواقفه الفكرية والسياسية .

١٢٩– (أ) عن مصادر هذا الموضوع انظر مقالتي فيمجلة الاقلام ج ٣ ص ١٩٦٨ ص ٥٧ – ٧٢

١٣٠– البيان والتبيين ، ج ٣ ص ١٣٠ .

١٣١– انظر كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ص ٦٥ – ٦٦ .

١٣٢– الدوري ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ١١ .

١٣٣– العدوي ، المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية ، ص ١٢ . – الليثي الزندقة والشعوبية ص ٧٥ .

١٣٤– كب ، دراسات ، ص ١٦ – ١٧ .

١٣٥– انظر I. Gold Ziher, Muhammed anische studien, new ed. 1961
كب ، الاهمية الاجتماعية للشعوبية ، دراسات .... ص ٨٠ فما فوق .
M. Zand, shucubiyya and the begining of the classical poetry in the persion language. (unpublished paper).

١٣٦– كب . دراسات ... ص ٨٨ .

١٣٧– كب ، OP. cit, ص ٨٤ .

١٣٨– انظر الدوري والعدوي والليثي وكب وجولد زيهروزند وكذلك أحمد امين ضحى الاسلام ، جـ ١ ص ٤٩ – ١٧٩ .

١٣٩– البيان والتبيين ، جـ ٣ ص١٤،ص ٢٩ – ٣٠ . – رسائل البلغاء ص٣٤٤ .

١٤٠– انظر الليثي . الزندقة والشعوبية ، ص ٢١ – ٢٤ . – عبدالله الخطيب. صالح بن عبد القدوس ، ص ٣١ – ٦٢ . – انظر كذلك ادي شير كتاب الالفاظ الفارسية العربية ، ص ٨٠ (بيروت ١٩٠٨) .

١٤١– الدوري . ص ١٢١ . – احمدشلبي، التاريخ الاسلامي ج ٣ ص ١٩٦ .

١٤٢– ماسينون ، الملاج باريس ١٩٢٢ ، ص ١٨٦ – ١٨٩ .

١٤٣– B. Lewis, The significanc of heresy .. P.55

١٤٤ـ عبد الله الخطيب ، ص ٣٢ ـ ٣٣ . ص ٥٨ ـ ٦٢ . ـ الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ١٩٦٠ . ص ٩٣ ، ص ٥٥ .

١٤٥ـ الام ، ج ٦ ص ١٥٦ . ـ عن الاصل اللغوي لكلمة زندق فقد اختلف فيه القول فمن قائل انه فارسي أو عربي أو اغريقي أو ارامي ـ سرياني . انظر الدوري ١١٠ الليثي ص ٢٥ . ـ عبد الله الخطيب ٣٤ ـ ٤٢ . ـ صديقي ، الحركات الدينية .. ص ٨٤ ـ ص ٨٥ .

١٤٦ـ الاغاني ، ج ١٢ ص ٨٥ .

١٤٧ـ الطبري ، ج ٩ ص ٣٠٨ (القاهرة) .

١٤٨ـ الاغاني ، ج ١١ ص ٧٥ .

١٤٩ـ الطبري ، ج ٣ ص ٣٩٥ .

١٥٠ـ ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٢ ص ٢٩٦ .

١٥١ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣٨ . ـ البغدادي . الفرق بين الفرق ص ٢٥٥ . البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٦٧ (طبعة الهند) .

١٥٢ـ صديقي ، الحركات الدينية السياسية .. ص ١٠١ .

١٥٣ـ مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

١٥٤ـ مروج ، ج ٢ ص ٤٠١ .

١٥٥ـ الفخري ، ص ١٦٥ ، ١٦١ (طبعة اوروبية) .

١٥٦ـ السيوطي ، ص ٢٧٣ .

١٥٧ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ص ١٤ . ـ النجوم الزاهرة ، ص٤٤٥ ـ دول الاسلام ، ص ٨٦ . ـ العراقي ، بالوفيات ، ج ٣ ص ٣٠٠ .

١٥٨ـ الطبري ، ج ٦ ص ٢٨٩ القاهرة .

١٥٩ـ الأغاني ، ج ٦ ص ٦٧ .

١٦٠ـ كب ، الاهمية الاجتماعية للشعوبية . دراسات .
Dawood, acomparative study.. Ph. D. 1965, P. 35ff

١٦١ـ الامالي ، ج ١ ص ١٣٤ .

١٦٢- Dawood, Acompartive study .. P. 37

١٦٣- البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٦ .

١٦٤- Dawood, OP. cit, P. 42.
عبد الرحمن بدوي . الالحاد في الاسلام ص ٤٠ فما فوق .

١٦٥- الليثي ص ٢٠٦ - ٢٠٨ . - صديقي ، الحركات الدينية السياسية ص ٩١ . Goiten, Aturning point .. I. C. , 1949, PP. 120 - 135

١٦٦- B. Spuler, Iran .. , P 207 -

١٦٧- الطبري ، جـ ٦ ص ٣٩٩ (القاهرة) .

١٦٨- رجال الكشي . ص ٢٢٧ .

١٦٩- OP. cit ص ٢٧٧ ، ٢٣٠ ، ٢٨٤ .

١٧٠- Sodighi , les mounements.. , PP. 95ff.

١٧١- الجهشياري ، ص ١٧٩ . - الطبري ، جـ ٣ ص ٤٩٠ - ٥١٧ .
الفخري ، ص ١٣٦ .

١٧٢- أبو النداء . مختصر اخبار البشر ، جـ ٣ ص ١٩ فما فوق . جـ ٦ ص ٤٧ - ابن الاثير الكامل ، جـ ٦ ص ٥٠ . - البغدادي الفرق ، ص ٣٩ فما بعد . - ابن خلكان، وفيات الاعيان (ابن المقفع) يؤكد ابن خلكان بان قرأ بامعان ديوان بشار دون أن يعثر على شيء يبرر اتهامه بالزندقة. - انظر كذلك طه الحاجري ، بشار بن برد ، بيروت ١٩٥٤ . - الليثي، ص ١٩٣ فما بعد . Vajda, OP. cit, PP. 197 ff.

١٧٣- الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٣ ص ٤٦ فما بعد . - الخطيب البغدادي ، جـ ٩ ص ٣٠٣ ياقوت الحموي معجم الادباء ١٢٥ ص ٦ . - الكعبي فوات الوفيات ، جـ ١ ص ٣٩١ . - انظر مجلة المشرق جـ ٢٢ سنة ١٩٢٤ . انظر كذلك رأي الجاحظ في شعر صالح بن عبد القدموس (البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠٦) .. كولدزين OP. cit ص ١٠٩ ص ١١٠ ، ١١٢ .

١٧٤- الاغاني ، جـ ١ ص ٦٠ - ٦١ .

١٧٥- الاغاني ، جـ ١١ ص ٧ .

١٧٦- الطبري ، جـ ٣ ص ٦٠٤ طبعة ليدن . - البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٨٨ ، ٩٧ .

١٧٧- الطبري ، جـ ٣ ص ٥١٧ طبعة ليدن .

١٧٨- الطبري ، جـ ٦ ص ٤٠٩ القاهرة .

١٧٩- مروج ، جـ ٣ ص ٣٢٢ . - السيوطي ، ص ١٨٠أ - جـ ١ ص ١٤ .

١٨٠- الطبري ، جـ ٣ ص ٤٩٠ فما بعد .

١٨١- الطبري ، جـ ٣ ص ٥٤٩ . - المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ص ١٠٠ فما بعد . Sadighi , OP. cit, P. 92

١٨٢- الطبري ، جـ ٣ ص ٦٠٤ . - ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر جـ ٣ ص ٨٨ .

١٨٣- الاغاني ، جـ ١٢ ص ٨٥ ، جـ ١٣ ص ٧٤ .

١٨٤- الطبري ، جـ ٣ ص ٦٤٥ ليدن .

١٨٥- الجاحظ ، الحيوان جـ ٤ ص ١٤٤ .

١٨٦- صديقي الحركات الدينية والسياسية ص ٦١ فما بعد .
B. Spuler, Iran in fruh. Islamischer Zeit PP. 206ff

١٨٧- البلغمي ، ترجما تاريخي طبري جـ ٤ ص٤٤٧ فما بعد (الترجمةالفرنسية)

١٨٨- الخياط ، الاختصار والرد على ابن الراوندي .. ص ٢ ، ص ١٧٣ .

١٨٩- ابو الفداء ، المختصر جـ ١٣ ص ٧٧ . - ابن المرتضى المعتزلة ، جـ ١ ص ٩٣ . - الخياط ، الانتصار ص ١٥ فما بعد .

١٩٠- مروج الذهب ، جـ ٨ ص ٢٩٣ .

١٩١- ياقوت ارشاد الاريب جـ ٦ ص ٦٤ . - ابو الفداء ، المختصر ٧٨ فما بعد المرتضى ، المعتذلة جـ ١ ص ٩٨ .

١٩٢- الجاحظ ثلاث رسائل ، ص ٤٢ . - الحيوان ، جـ ١ ص ٢٨ .

١٩٣- صديقي ، الحركات الدينية السياسية ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ١٠٣-١٠٤ .

١٩٤- عن هذه الكتب انظر الدكتور فاروق عمر (الخلافة العباسية) ص ٤٦ فما بعد (بالانكليزية) .

١٩٥– ابن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، المقدمة للدكتور صبحي الصالح ص ١٢ – ١٣ .

١٩٦– R. Gottheil, Afetwa on the appointment of Dhimmis to office. Z. A. PP. 208 - 214.
Dhimma. Djizya E. I.
Fischal, Jews in the economic .. London 1937
Sasoon, Ahistory of the jews in Baghdad
Strauss, The cosial isolation of ahlal - Dhimma E. O. 1950
١٩٣٨ بيروت الديارات النصرانية في الاسلام ، حبيب زيات .
١٩٣٩ الموصل الديورة في مملكتي الفرس والعرب يشوعدناح (مطران البصرة) .

١٩٧– Shedd, Islam and the oriental.. P. 110

١٩٨– ابن قيم اجوزية ، ج ٢ ص ٦٦٣ – ٦٦٤ .

١٩٩– انظر : الامامة والسياسة ، ج ٢ ص ٢٢٩ – ٢٣٠ . – خطط ، ج ٤ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٢٩ ج ١ ص ١٢٨ . – النجوم الزاهرة ص ٣٦١ الكندي الولاة ص ١٠٢ . – ساويرس ، ابن المقفع ج ٥ ص ١٧٢-١٧٣ – انظر كذلك الدكتور فاروق عمر OP. cit ص ٣٢٠ فما بعد . الدكتورة سيدة كاشف مصر في فجر الاسلام ص ٢٠ فما بعد .

٢٠٠– كاشف OP. cit ص ٦٤ .

٢٠١– ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٥ ص ٣٤١ . – البلاذري فتوح ص ٢٢٢ – ابو عبيد بن سلام الاموال ص ١٧٠ – ١٧١ . انظر كذلك .
Theophanes, chronographia

٢٠٢– البلاذري OP. cit . – ابو عبيد . – الذهبي ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٠ . – محاسن المساعي ص ١١٤ فما بعد .

٢٠٣– البلاذري فتوح ص ٧٩ . – ابو يوسف الخراج ١٢٤ – ١٢٠ . – ابو عبيد بن سلام ص ١٢٧ . – عبد الكريم زيدان ، احكام الذميين .. ص٨٩

٢٠٤– الجاحظ ، الحيوان ج ٤ ص ٢٧ . – البلاذري ، فتوح ج ١ ص ١٩٦ انظر كذلك مقالة حنظل Finkel J. A. D. S. ١٩٢٧ ، ج ٤٧

٢٠٥– Dionysius, chronique, Paris 6895, PP. 43ff

٢٠٦- OP. cit ص ٤٧ فما بعد . - عن الحالة اقتصادية في الجزيرة انظر :
C. Cahen, fiscalite, proprieti.. PP. 137 - 152

٢٠٧- داينسي, OP. cit ص ٦٤ ، ٧٠ . - خطط جـ ٤ ص ٣٩٦ .

٢٠٨- البلاذري ، فتوح ، جـ ١ ص ٣٧٧ .

٢٠٩- داينسي ص ١٠١ - ١٠٢ .

٢١٠- ابن قيم الجوزية ، ص ٢٠٨ - ٢٣٨ .

٢١١- R. Gottheil, OP. cit, 208ff

٢١٢- الطرطوشي ، سراج الملوك ص ١١٨ . - القلقشندي ، صبح الاعشى ص ٤٠

٢١٣- البلاذري ، فتوح جـ ١ ص ٨٠ .

٢١٤- الطبري ، جـ ٣ ص ٣٢٤ . - ياقوت معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٦٨٠ .

٢١٥- Theophanes, chronagraphia vol. 1, P. 446

٢١٦- انظر مثلا :
بارتولد ، الحضارة الاسلامية ص ١٩ - ٢٠ . - جولد شهير ، العقيدة والشريعة ص ٣٨ .

٢١٧- ابن قيم الجوزية ، جـ ١ ص ٢١٥ .

٢١٨- الجهشياري ، ص ١٣٤ .

٢١٩- القلقشندي ، مآثر الاناقة ، جـ ٣ ص ٢٢٨ ، ٢٣٣ . - ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢١٥ - ٢٣٦ .

٢٢٠- ابن القيم الجوزية ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ . - ابن العبري ص ٢٢٠ (النسخة العربية) .

٢٢١- الجهشياري ص ١٤٢ . - كانت الضريبة التي تؤخذ من أهل الذمة على مرؤوسيهم تسمى الجزية أو الجوالي - فالخوارزي والمقدسي يسميها الجوالي (مفاتيح ٥٩ - احسن التقاسيم جـ ٣ ص ١٣٣) . ولعل اسم الجوالي يعود أصله الى المهاجرين الهاربين من مدنهم خشية من الضرائب وكانت الجوالي تعنى كذلك الضريبة المفروضة على التجارة التي يقوم بها التجار الذميين خاصة اليهود كما يؤيد ذلك اليعقوبي وابن خرداذبه

والاصطخري وابن حوقل (الصدقة والعشر دفعت من المسلمين والجوالي من غير المسلمين) ويقول بيكر انها في الاصل الضريبة المفروضة على القرى ثم اخذت تعني الضريبة على الرؤوس .

٢٢٢- البلاذري ، فتوح جـ ١ ص ١٧٢ .

٢٢٣- ابن قيم الجوزية ، جـ ١ ص ٢١٧ .

٢٢٤- الطبري ، جـ ٣ ص ٧١٢ . ـ اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٥٠١ . ـ البيروني النسخة العربية ، ص ٢٩٢ ـ النسخة الانكليزية ، ص ٢٨٧ .

٢٢٥- الكندي ، الولاة ١٣١ . ـ النجوم الزاهرة ص ٤٥٤ .

٢٢٦- ابن أبي أصيبعة ، طبقات الاطباء جـ ٢ ص ٨٢ .

٢٢٧- الكندي ، الولاة ٣٩١ ، ٣٨٨ . ـ مروج جـ ٦ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٨ . ـ الاحكام السلطانية ص ٢١٩ .

٢٢٨- ساويرس ابن المقفع جـ ٢ ص ٤ ـ ٥ . ـ الطبري جـ ٣ ص ١٣١٨ ـ ١٣١٩ ـ ١٤١٩ ، ابن قيم الجوزية ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

٢٢٩- البلاذري ، فتوح جـ ١ ص ١٨٧ .

٢٣٠- الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ٢٤ ـ ٢٥ ـ ١٢٦ . ـ ابن ابي يعلي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٤ عبد الكريم زيدان ، مقدمة الذميين ص٨٠

٢٣١- الجاحظ ، الرد على النصارى ص ١٦ ـ ١٨ ص ٢٠ (نشرة فنكل) . وفي الحياة العامة خالط بعض المسلمين النصارى واتخذوهم أصدقاء واعتادوا قضاء أوقات سمرهم في الاديرة فقال الشاعر :

تسقيك كأس مدامة من كفها ممزوجة بمداحة من ثغرها

بنت الميراع والقسوس كريمة لايستحي يوم الحساب بوزرها

حبيب زيات . الديارات النصرانية ص ٤١ .

٢٣٢- داينسيس op. Cit ص ٦٧ ـ ٧٠ . ـ ميشيل السوري ، تاريخ ترجمة شابو جـ ٣ ص ١٠٣ . ـ انظر ڤيدا ...

Uajda, les Zindigsen pays R. S. O. , 1938, P. 229

٢٣٣- ميشيل السوري جـ ٣ ص ٤٧٨ ـ ٤٨٠ .

كان القضاة عادة يحكمون على الذمى الذي يشتم السلف بالموت وهذا

هو نفس الحكم الذي كان يصدر على الزنادقة . (الكندي . الولاة ..
ص ٣٨٢) .

٢٣٤ق ابن البصري ، تاريخ جـ ٣ ص ١٧٣ — ١٧٦ .

٢٣٥— انظر : L. E. Brown, the patriarch timothy , **M. W.**
شابو ، المحاورة الدينية ... المشرق ١٩٢٣ .

٢٣٦— Moscati, le califat d, al - Hadi, S. O. , 13, 1946

الفصل السادس

مشكلة ولايـــة العهد

بـــــين

رغبة الخليفة الحاكم ومطامع الامراء العباسيين

لما عزم المنصور على تولية ابنه محمد (المهدي) ولاية العهد من بعده أشار الى الشاعر مطيع ابن أياس فابتدع هذا حديثا نسبه الى الرسول (ص) وفيه يقول : (المهدي منا أهل البيت محمد بن عبد الله وأمه من غيرها يملأها عدلا كما ملئت جورا) .

الاصفهاني ، **الاغاني** جـ ٢١ ص ١ ــ ٢

عن الشاعر أبي نخيلة قال : ((قدمت على أبي جعفر (المنصور) فأقمت ببابه شهرا لا أصل اليه حتى قال أي عبد الله بن الربيع : ان امير المؤمنين يرشح ابنه للعهد وهو على تقديمه بين يدي عيسى ابن موسى فلو قلت شيئا أصبت خيرا منه فقلت :

أنت الـذي يا ابن سمي احمد　　ويـا ابن بيت العـرب المشـيد
بـل يا امين الواحد الموحّـد　　انت الـذي ولاك رب المسـجد
أحسن ولي عهدهـا بالاسـعد　　عيسى فزحلقهـا الـي محمـد

فكتب له المنصور بصلة الى الري فقتل بأمر عيسى وهو في طريقه الى الري وسلخ وجهه)) .

ابن عساكر ، **تاريخ دمشق** جـ ٢
ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢

نبـذة تاريخيـة :

لقد رأينا أن نستعرض بعض الاصول والتقاليد التي ربما تكون قد أثرت بطريقة أو بأخرى على نظام ولاية العهد الاسلامي ، ثم نتناول بايجاز الاصول التي اتبعت في صدر الاسلام والعصر الاموي ثم يجرنا هذا الاستعراض الى العصر العباسي الاول موضوع بحثنا في هذا الفصل •

لقد شهدت العصور الوسطى مشكلة تعد من أكبر المشاكل في تلك الفترة وهي مشكلة نقل السلطة من شخص الى آخر • والواقع يثبت ان عدم وجود أسلوب متفق عليه لانتقال الحكم قد سبب أزمـات سياسية واضطرابات اجتماعية وثورات داخلية كثيرة • كما وأن ميل الحاكم الى الابقاء على السلطة السياسية في أيدي أبنائه من بعده تعتبر نزعة غريزيـة قديمة قدم التاريخ نفسه • ولعل المسلمين الذين ورثوا حضارات الشـرق القديم ورثوا منها كذلك الازمات الناتجة عن فقدان أسلوب صحيح لنقـل السلطة السياسية •

لقد كانت مشكلة ولاية العهد في الاسلام من الاسباب التي أدت الى تدهور وسقوط الدول الاسلامية المختلفة • وقد أدرك ذلك الكثير من الفقهاء ومفكري الاسلام في العصور الوسطى • ومهما يكن من أمر فانهم مدفوعين بعوامل عديدة وظروف سياسية مختلفة فضلوا أن يقروا شرعية انتقال السلطة السياسية عن طريق تعيين الخليفة الحاكم لولي عهده أثناء حياته من أجل ألا تتعرض الدولة الاسلامية ، قدر الامكان ، لهزات عنيفة •

واذا عدنا قليلا الى الوراء لشاهدنا بان الملك الساساني « الشاهنشاه » كان ينقل السلطة السياسية الى أبنائه من بعده بتعيين أحدهم خلفا له • ورغم ان موافقة الموابذة وقادة الجيش والنبلاء كانت تقليدا ضروريا الا ان رأي

الشاهنشاه لم يكن ليخالف وخاصة في عصر القوة • والمعروف ان للملك في ايران صفة مقدسة زادتها قوة الديانة الزرادشتية • فلم يكن يصلح للمُلك الا أفراد العائلة المالكة •

ولكن سلطة الشاهنشاه تدهورت في القرن الرابع الميلادي(١) ولم يكن رأيه يحترم فيما يخص ولاية العهد • وحتى اذا وافق المتنفذون على قرار الملك في فترة حياته فانهم كانوا ينقضونه بعد وفاته • فلم يعد الشاهنشاه يتمتع بنفس النفوذ على رجال الدين والنبلاء والقواد : حيث تنازع النبلاء سلطة الملك لمدة ١٢٥ سنة تقريبا • وفقد الملك حقه في انتخاب ولي عهده حيث أصبحت السلطة انتخابية بيد الموابذة (موباذان موباذ) يحسم الموضوع ويكون رأيه القول الفصل • على أن الملك يجب أن يكون من العائلة الساسانية لان الله فضلها على غيرها •

وقد أخذت الصفات الشخصية للشاهنشاه بنظر الاعتبار ، واذا أثبت هذا الاخير عدم جدارة بدنية أو عقلية ينحى عن العرش • وقد اتبعت وسائل عنيفة وتعسفية لتنحية الملك غير المرغوب فيه ومنها القتل أو سمل العيون أو قطع الاعضاء •

وكان النبلاء ينتخبون الامير الساساني الضعيف للعرش من أجل مصلحتهم الشخصية دون مراعاة لمصلحة الامبراطورية • وقد عزل النبلاء قباذ (٤٨٨ — ٥٣١) الا انه عاد مرة ثانية للعرش واستطاع أن يعيد للملك سلطاته • وقد عين قباذ أصغر أولاده الثلاثة خسرو وليا للعهد • ومن أجل أن يضمن العرش لخسرو اقترح على الامبراطور البيزنطي جستنين عقد معاهدة سلم بين الطرفين، على أن يتبنى الامبراطور البيزنطي خسرو وعندئذ يكون باستطاعته معنويا وشرعيا أن يساعد الامير خسرو ضد أعدائه السياسيين الطامعين في العرش بعد وفاة قباذ • على أن محاولة قباذ هذه فشلت • وقبل وفاته كتب قباذ العهد بوصية رسمية وختمها بختم الشاهنشاه • وحين حاول الطامعون منازعة

الامير خسرو في العرش ، أخرج هذا الاخير الوصية بولاية العهد اليه فقبلت على أساس ان رغبة الشاهنشاه هي القانون •

وبعد وفاة خسرو سنة ٥٧٩ م ظهرت المنازعات ثانية بين النبلاء واستمرت هذه الخصومات السياسية وخاصة في الفترة بين سنة ٦٢٨ ـ سنة ٦٣٤ م حيث سقط الامراء الطامعين في العرش واحدا اثر واحد ووقعت الامبراطورية الساسانية فريسة الفوضى والاضطراب مما جعل لدولة تتهاوى أمام الفتح العربي الاسلامي وتسقط دون مقاومة كبيرة •

أما الامبراطورية البيزنطية فلم يكن لها هي الاخرى نظام واضح لولاية العهد مما جعل تاريخها حافلا بالمؤامرات والدسائس واغتصاب السلطة والثورات في سبيل السلطان •

ولعل النظام البيزنطي [٣] لم يختلف عن غيره من الانظمة الاخرى من حيث وجود الاختلاف بين الحقيقة والنظرية • فنظريا كان الامبراطور حاكما اوتوقراطيا مستبدا وهو ظل الله في الارض • ومما يدل على صفته المقدسة القول بوجود اله واحد في السماء وامبراطور واحد في الارض • فهو يجمع بين السلطة الدنيوية حيث يتمتع بسلطة مطلقة في الادارة والسياسة ، وكذلك السلطة الدينية حيث أن من ميزات الامبراطور انه حامي الكنيسة وناشر الدين والحاسم للخلافات المذهبية • ولعل الديانة المسيحية زادت من سلطة الامبراطور فأصبح مقدسا ملهما فوق مستوى البشر •

أما عمليا فان هذه السلطة المطلقة كان عليها أن تتحدى وتصارع الظروف السياسية والاجتماعية غير المستقرة في الامبراطورية • وقد أثرت هذه الظروف على نظام ولاية العهد • وقد اتبع البيزنطيون في باديء الامر النظام الروماني حيث يختار الامبراطور لولاية العهد أحد أبنائه أو اخوانه أو أقربائه أو شخصا غريبا يتنباه ويكسب رضا الجيش ومجلس الشيوخ ورجال الدين •

على أن طريقة التبني هذه لا تضمن استمرار حكم الاسرة طويلا ، كما

وان الكثير من العامة والطموحين الذين لا يعرف أصلهم أو نسبهم استطاعوا بتأييد من الجيش أو مجلس الشيوخ أن يسيطروا على السلطة • وكان انتخاب جستين قد تم بهذا الشكل •

وقد استمر هذا الوضع حتى القرن التاسع الميلادي حين وضع أول قانون رسمي للوراثة موضع التنفيذ ، ثم تبلور في صيغته النهائية في القرن الحادي عشر الميلادي حين اعتبر اغتصاب السلطة من الامبراطور الحاكم جريمة يعاقب عليها القانون رسميا • ومع ذلك فقد استمرت الاضطرابات وكان على ولي العهد أن يشق طريقه نحو العرش ويؤكد حقه في الحكم بالقوة أي بتأييد الجيش أو مجلس الشيوخ • وكان لسلطة الامبراطور من الناحية الواقعية حدود منها ولاؤه للكنيسة ثم حذره من قوة الجيش وتمرد قادته وكذلك نفوذ النبلاء الاقطاعيين وأخيرا صوت الشعب الذي يظهر في الشغب والاضطرابات •

وعلى العموم فقد كانت الاسرة الحاكمة البيزنطية تتمتع باحترام الشعب، وكان نظام الوراثة يعتبر الاسلوب الطبيعي والافضل في اختيار الامبراطور • وكان الشعب يستقبل نبأ ولادة الطفل الاول للامبراطور بمظاهر الفــرح والبهجة والاحتفالات •

وفي المجتمع العربي الجاهلي كان مجلس شورى القبيلة التي تعتبر أساس النظام الاجتمــاعي العربي ينتخب شيخ القبيلة ، ويراعى فــي انتخابه بعض الصفات منها السن والشجاعة والكرم والحلم والتجربة • وربما جمع شيخ القبيلة السلطة الدينية والسياسية في آن واحد • واذا تتبعنا الجذور التاريخية لسلطة بعض شيوخ القبائل نراها تطورت من سلطة دينية حيث كانوا مسؤولين عن « البيت » أو « الحرم » الى سلطة سياسية •

ولقد تطورت هذه التقاليد في الحجاز وخاصة في مكة والمدينة لتناسب البيئة المتحضرة هناك ، ففي مكة كانت السلطة بيد المتنفذين واهل القــوة « الملأ » الذين يجتمعون في (دار الندوة) في حالة الحاجة لاتخاذ تدابير

الحرب أو المشاورات حول شؤونهم التجارية أو الادارية • وفي المدينة كانت هنالك محلات لاجتماع الناس شبيهةبدار الندوة وكانكل منها يسمى (سقيفة)•

وحين جاء الاسلام أصبح العرب في جزيرتهم أمة واحدة تدين بشريعة إلاهية ويرأسها رئيس واحد • ورغم ان فكرة وجود سلطة حاكمة عدا سلطة القبيلة كانت غريبة بالنسبة للعرب فقد أدخلها الرسول (ص) مؤكدا بانـه لا توجد سلطة بشرية بل سلطة الهية ، وأن الرسول (ص) يمثلها وينفـذ أوامرهـا •

ولكن الرسول (ص) آثر أن يترك للمسلمين أمر اختيار الخليفة من بعده وتعيين طبيعة الحكم في الدولة الاسلامية ، فكانت مشكلة الخلافة من أصعب ما واجهه المسلمون في تاريخهم • ويعلق المستشرق أرنولد[٣] على انتخاب أبي بكر الصديق فيقول انه « يتفق والتقاليد القبلية اذ كان منصب الرئاسة في القبيلة ينتقل عند وفاة الشيخ الى ذلك الفرد الذي يتمتع باكبر نفـوذ والذي يحترم لسنه أو لنفوذه أو لخدماته » • أما تعيين عمر بن الخطاب فربما عاد الى نفوذه القوي في خلافة الصديق وكذلك الى موافقة « أهل الحل العقد » أو غالبيتهم على بيعته [٤] • وانتخب عمر ستة من البارزين وجعل أمر الخلافة شورى بينهم حيث أدى الامر الى انتخاب عثمان بن عفان• وقد تدخلت عوامل مختلفة في انتخاب عثمان بن عفان لا مجال لذكرها هنا • على أننا نقول بان « فلهاوزن » يعتقد بأن ضعف عثمان هو سبب انتخابه • ويرد عليه الدكتور عبد العزيز الدوري فيقول : « وهذا رأي يشابه ما كان يجري في اختيار البابوات ••• ولعل فلهاوزن متأثر به ولكنه لا يصح قوله في عثمان لانه لم يكن أضعف الستة ، وكان أقواهم عصبية ، كما وأن عمر كان يراه أحد المرشحين الاولين »[٥] • ثم انتخب علي بن أبي طالب بعـد « الفتنة الكبرى » لسابقته وقرابته وفضله وعلمه وقد أيده الانصار وجماعة من المهاجرين وكذلك الامصار وخاصة العراق[٦] • وعلى ذلك فقد كانت الخلافة الراشدة خلافة انتخابية الا انها « لم تعتمد على طريقة واحدة ولا

منظمة • فقد كانت حينا انتخابا مباشرا وحينا بتسمية تسبقها معرفة رأي الناخبين ويتلوها قبولهم بالبيعة ومرة انتخابا يقوم بين الزعماء وهو في جميع الحالات يقتصر بالدرجة الاولى على المدينة » • وأهم ما يلاحظ في الخلافة الراشدة امتزاج التقاليد العربية بالفكرة الاسلامية •

واشتعلت نار الحرب الاهلية من جديد بين الامام علي ومعاوية • وحين طعن علي (رض) لم يستخلف أحدا ولكن كلمة أهل الكوفة (العاصمة) اجتمعت على بيعة الحسن بن علي •

واستطاع معاوية بن أبي سفيان بالدهاء والخديعة والسيف ان يتقلد منصب الخلافة • وكان نجاح معاوية قضاءا على مبدأ السبق والخدمة في الاسلام وتأكيدا لاهمية القوة في الوصول الى الحكم وتفوقا للتقاليد القبلية• وقد أكدت النظرية السياسية للامويين على كون الخليفة الاموي هـو خليفة الرسول (ص) وان اطاعته هي اطاعة لله ولرسوله • وفي هذا العهد تبلورت فكرة السلطة الحاكمة المجسمة في شخص واحد هو الخليفة ، وهي كمـا ذكرنا فكرة لا يعرفها المجتمع العربي في تاريخه السابق • ولعل ظهور هذه السلطة كان الحل الوحيد العملي من وجهة النظر الاموية ، وقد عارضه مجموعة من الاتقياء والمعارضين الذين نظروا الى الخليفة على أنه بصورة رئيسية زعيما دينيا لا رئيسا سياسيا • وأن سلطته لم تعد تتفق والشرع ولذلك وصفوها بانها « ملكا لا خلافة » •

وقد رفض معاوية وجهة نظر المعارضة واصفا اياها بانها غير عملية ولا تخدم مصلحة العرب ولا مصلحته بالذات ، حتى انه أكد الصفة الدنيوية لسلطته قائلا (أنا أول الملوك) ولعل من أهم البدع السياسية التي أدخلها معاوية الى الحكم هو (مبدأ الوراثة) التي أثرت تأثيرا مهما على قواعد نظام ولايـة العهد • ورغم ايجاد معاوية لنظام الوراثة فانه أخذ بنظر الاعتبار والتقاليد القبلية حيث شاور رؤساء القبائل والمتنفذين في أمر البيعة ليزيد •

ويقول الدكتور الدوري[٧] ان العصر الاموي كان عصر انتقال من طور الانتخاب الى طور الوراثة المطلقة (في عهد العباسيين) ذلك لان الصراع استمر في هذا العصر بين ثلاثة مباديء هي :

(١) المبدأ الاسلامي الذي يعد السلطة ملكا الاهيا لا بشريا ولذلك لايمكن أن يورثها الخليفة من شاء • بل ان الخلافة يجب أن يشغلها أصلح المسلمين •

(٢) المبدأ القبلي الذي يقبل باختيار أقدر أفراد القبيلة وأفضلهم •

(٣) مبدأ الوراثة من الاب الى الابن •

أما المستشرق دينت[٨] فيلخص نظرية الامويين السياسية بالنقاط التالية:

أولا : لعب نسب الامير دورا مهما في ترشيحه لولاية العهد حيث اشترط ان يكون من ابوين عربيين حرين ولذلك لم تتح الفرصة في القسم الاكبر في العصر الاموي لابناء الخلفاء من الاماء أو أمهات الاولاد ليصلوا الى العرش • وربما كان أشهر مثل على ذلك هو مسلمة بن عبد الملك •

ثانيا : لم يتقيد نظام الوراثة بالوراثة المباشرة أي ان الابن لم يتبع أباه بصورة عامة في ولاية العهد • فقد كان الوليد الاول وسليمان ويزيد وهشام اخوة • وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز بين سليمان ويزيد الثاني •

ثالثا : كان العهد الذي يكتبه الخليفة الحاكم يحترم وينفذ عموما فحينما اراد هشام ان يعين ابنه وليا للعهد لم يقدر وذلك لان يزيد كان قد اختار هشام ومن بعده الوليد الثاني •

رابعا : كان من مستلزمات ولي العهد ان يبلغ سن الرشد ، فقد حاول سليمان بن عبد الملك أن يعين ابنه الصغير وليا للعهد ولكنه اقنع

بالعدول عن ذلك من قبل رجاء بن حيوة ، فاعترض سليمان على تعيين عمر مع وجود يزيد الثاني فاقترح رجاء أن يكون وليا للعهد ثم يخلفه يزيد •

خامسا : وقد لعبت الوفود دورا بارزا في تأييد الخليفة الحاكم على تعيين خلفه • وكان المظهر يضفي صفة الانتخاب والشورى القبلية العربية حيث ان هؤلاء الوفود يمثلون الامة وكان على الخليفة أن يكسب تأييدهم ، وبدون رضا هؤلاء الوفود لا يستطيع أي خليفة أن يمارس سلطنه بصورة شرعية من حيث المبدأ على الاقل•

سادسا : وبعد أن كانت المدينة المنورة هي التي تقرر انتخاب الخليفة الراشدي ثم تتبعها الاقاليم أصبحت الشام الاقليم الوحيد الذي يقرر انتخاب الخليفة وولي عهده • فقد كانت القبائل الشامية دعامة الدولة الاموية وكان باستطاعتها ان تنقض أي قرار يتخذه أهل الحجاز واهل العراق او غيرهما بقوة السلاح والمال •

سابعا : كان الخليفة الاموي يشرف خلال فترة حكمه على تعيين خلفه ويستعمل في سبيل ذلك كل ما لديه من نفوذ وقوة • وعلى ذلك فان ما ذكرناه في البند الخامس من أثر الوفود في انتخاب ولي العهد هو في حقيقته تعبير عن رغبة الخليفة الحاكم وأن ما يسمى ببيعة الخليفة بعد اختيار الوفود له لم يكن اكثر من بدعة شرعية كانت تعاد وتكرر مرة بعد اخرى •

ثامنا : اعتبر الامويون خلافتهم مؤسسة مقدسة مصونة بحفظ الله ورعايته من الفتن • وانها الوسيلة الوحيدة لاحقاق الحق واقرار العدل وتطبيق الشريعة ورعاية مصالح الناس ، ثم ان طاعة الخليفة الاموي معناها طاعة الله ورسوله وان الثورة عليهم معناها معصية الله ورسوله • والخلافة الاموية تمثل الجماعة الاسلامية وهي ملجأ المسلمين وحصنهم المنيع ، وان ما يقوم به الخليفة من اعمال انما هو

بتوفيق من الله وارشاده • ويعني ذلك من وجهة نظر الامـــويين السياسية الاقرار (بمبدأ الجبر) أي ان الله سبحانه وتعالى رغب بان يحكم الامويون الدولة الاسلامية ولذلك نصرهم على اعدائهم في الداخل والخارج • وما على الرعية الا أن تطيع مشيئة الله • ولعل ما يمثل هذه الوجهة خير تمثيل رسالة الخليفة هشام الى واليه على العراق يوسف بن عمر حين ثار زيد بن علي في الكوفة ، ورسالة الوليد الثاني الى واليه على خراسان نصر بن سيار •

وهكذا فلم يكن الامويون في ادعاءاتهم باقل من غيرهم في الاحزاب الدينية السياسية من حيث انهم يمثلون السنة والجماعة ويعملون على هدى الشريعة الاسلامية وان خلافتهم تسندها رعاية الله وعنايته وتأييده • ويصف المؤلفين سياسة الامويين فيقول : « ••• وكانت الاشكال السياسية التي انتهجتها كثرة بني امية تشتمل الوسيلة في سبيل الغاية ، واذا نظرنا الى السياسة من هذا الجانب العملي ونحيناها عن المقاييس الدينية والخلقية فـلا شك ان الامويين كانوا رجالها الممتازين فقد سبقوا معاصريهم من العرب في هذا المضمار وتجاوزا بتفكيرهم السياسي وقتهم الذي تشبث فيه الناس بنزعات دينية وخلقية لم يبالها الامويون » • ويصف نفس المؤلف قائلا : لقد كانت هناك نزعتان احدهما تميل الى التحرج الديني والخلقي والثانية تنزع الى التشبث بالملك وغاياته الدنيوية وتلك أي الاولى هي المعارضة[٩]» •

التطور السياسي لمشكلة ولايـة العهد في العصر العباسي الاول

لا يشمل هذا البحث « نظام » ولاية العهد من حيث اصوله وقواعده في هذه الفترة ، فلقد قام بهذا العمل البروفسور تيان وكذلك الدكتور شيني ، بل يشمل الوسائل والاساليب التي اتبعها الخليفة الحاكم لاقرار رغبته فيمن يخلفه ، في الحكم وما رافقها من محاولات ولي العهد للتشبث بحقه الشرعي،

وكذلك محاولات الامراء الطموحين ورجال الدولة المتنفذين في تأييد هذا او ذاك من ابنـاء الخليفة او مرشحيه لهذا المنصب • فهي بذلك استعراضا لتدابير سياسية وما يرافقها من دسائس ومؤامرات وخطط وتحزبات اكثر من كونها دراسة لاصول قواعـدية • وبمعنى اكثر وضوحا انهـا دراسة في التاريخ السياسي للمشكلة وليس دراسة لنظام من النظم الاسلامية •

يقرر المؤرخ ابن خلدون(١٠) ان الاكراه في البيعة كان الغالب في هذه الفترة ولهذا « لما أفتى مالك بن أنس بسقوط يمين الاكراه وانكرها الولاة عليه ورأوها قادحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع في محنة الامام رضي الله عنـه » • ولكن ابن خلدون يبرر ذلك فيقول انهـم كانوا يتحرون الحق ويعملون به ، ولا يعاب عليهم ايثارهم أبناءهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة الراشدين فشأنهم غير شأن أولئك الخلفـاء • فالدين كان الوازع الرئيسي في صدر الاسلام اما في العهد الاموي والعباسي فاحتيج الي الوازع السلطاني والعصباني فلو عهد الي غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتفض أمره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف •• فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيهـا من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح لكل واحد منها حكم يخصه •

وفي العصر العباسي الاول نلاحظ ثلاثة اتجاهات رئيسية فيما يخص الطموح للسلطة :

الاول : النزاع بين آل البيت أو الهاشميين أنفسهم • وقد بحثنا في حركة المعارضة العلوية ـــ دعاوى كلا الطرفين العلوي والعباسي فيمـا يخص حقوقهما في تولي الحـكم من جميـع مظاهرها السياسية والعسكرية والنظرية والعملية •

وعدا ذلك فالملاحظ وجود امراء من غير الاسـرة العباسية أو العلوية عبروا عن طموحهم في الخلافـة ومنهم اسحق بن الفضل

الهاشمي الذي ينتمي الي الرسول بصلة القرابة عن طريق عمه الآخر الحارث •

الثاني : النزاع بين أبناء محمد بن علي العباسي مثل ابي العباس والمنصور وأبناء علي العباسي أعمامهم مثل عبد الله بن علي وعبد الصمد ابن علي • فقد حاول أبناء محمد العباسي أن يحتفظوا بالخلافة في أبنائهم وبذلك يجعلون الوراثة مباشرة ، بينما أكد أبناء علي العباسي على ان الحكم يجب أن يكون لبني العباس عموما على أن يتسلمه أقدرهم وأكثرهم حنكة وتجربة مؤكدين على التقاليد القبلية العربية الذي يعترف بسيادة الفخذ من القبيلة على أن يختار أفضل رجاله •

الثالث : النزاع بين الفرع الحاكم نفسه أي بين أبناء وأحفاد محمد بن علي العباسي • ويتمثل بالنزاع بين الخليفة الحاكم ورغبته في أن يكون ابنه وليا لعهده وبين العهد الشرعي الذي عينه الخليفة السابق • أو النزاع بين أبناء الخليفة الحاكم على ولاية العهد الاولى •

وتظهر المنافسة الخفية بين الطموحين من العباسيين في فترة مبكرة جدا ، فيروي ابن قتيبة ان أبا جعفر كان يشك في نوايا عمه داود بن علي العباسي ولذلك كان مستعدا لقتله اذا ما بدى منـــه شيء في يوم اعلان البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد أول الخلفاء العباسيين • ولعلنـــا نستطيع ادراك حراجة الموقف اذا رجعنا بأذهاننا الى محاولات ابي سلمة الخلال نقل الخلافة الى العلويين وصمود قواد أهل خراسان في وجهه • وتشير بعض الروايات المبالغ فيها الي دور ابي مسلم الخراساني في تثبيت مركز ابي العباس واعلانه خليفة للدولة الجديدة •

ولقـــد قام الامراء العباسيون بأدوار مهمة ادارية وعسكرية في تثبيت الدولة الجديدة • على ان أبا العباس قرر أن يعهد لأخيه ابي جعفر بالخلافة

من بعده وأن يكون ابن عمه عيسى بن موسى وليا للعهد • ولعلنا الآن نستطيع القول ان اختيار الخليفة لأبي جعفر كان اختياراً موفقا • ولكن ذلك لم يكن واضحا تماما بالنسبة لأبي العباس الذي كان قراره يتأرجح بين ثلاثة من الامراء العباسيين • فقد كان في بادىء الامر يميل الى تعيين ابنه محمد وليا للعهد مدفوعاً دون شك بغريزة الابوة • ولكنه عدل عن ذلك لضعف محمد في مقدرته الادارية والشخصية ولصغر سنه [١١] اذا قورن برجالات بني العباس المعاصرين •

أما الاثنان الآخران فهما أخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي • وهذا الاخير ادعى الخلافة مشيرا الى ان أبا العباس وعده بالخلافة اذا قتل مروان الثاني آخر خلفاء الامويين وقد فعل • وتذكر بعض الروايات المشكوك فيها ان أبا العباس ألمح بذلك الى عبد الله في تلك الفترة الحرجة ، ولكنه لم يعلن عن هذا القرار علانية أو رسميا[١٢] • وكان من الطبيعي أن يميل أبو العباس الى حفظ الخلافة في نسل أبيه محمد العباسي وبمرور الزمن اقتنع ابو العباس أكثر فأكثر بأن المرشح المناسب الوحيد هو أخوه أبا جعفر •

ان سجل أبي جعفر حافل بالاعمال المجيدة[١٣] في سبيل الدعوة العباسية وهذا جعله من أقوى المرشحين للخلافة بعد النصر الذي حققه العباسيون • وقد جاب أبو جعفر عبد الله بن محمد البلدان الاسلامية وغالبا ما كان يزور البصرة حيث يحضر الحلقات الادبية والكلامية والفقهية ويستمع الى المناقشات الدينية ــ السياسية فيها • وتعرف على عدد من فقهاء وعلماء البصرة مثل عمرو بن عبيد • وفي سنة ١٢٨ وسنة ٧٤٥ ذهب الى فارس وانضم الى حركة عبد الله بن معاوية الجعفري الذي عينه واليا على ايذاج • وبعد فشل عبد الله ابن معاوية هرب أبو جعفر الى البصرة ولكنه اعتقل في الطريق من قبل سليمان بن حبيب المهلبي والي الامويين على الاهواز الذي ضربه بالسياط وعزم على قتله ولكن أبا أيوب المورياني الذي كان كاتبا لسليمان المهلبي انقذ حياته وتوسط لدى الوالي • وفي خلافة ابي العباس ، كان أبو جعفر

اليد اليمنى لأخيه الخليفة في ادارة الدولة . والمعروف عن ابي جعفر انه أكبر سنا من ابي العباس الا ان عدم ترشيحه للخلافة قبل أخيه يعود الى انه ابن ام ولد غير عربية وهي ام بربرية تسمى ســلامة . وهذا يدل على ان النسب كان لا يزال ، كما في العهد الاموي ، يؤخذ بنظر الاعتبار في الخليفة الذي يجب أن يكون من ابوين عربيين حرّين . ولكن هذه الاعتبارات لم تدم طويلا في العصر العباسي . لقد كان ابو جعفر وراء كل قرار مهم اتخذه ابو العباس . وكان قائد الحصار على واسط وواليا على الجزيرة وارمينية وأذربيجان . وقد خاطر بزيارة خـراسان في ولاية ابي مسلم الخراساني ليتعرف على نوايا الاخير وخططه.وحين سمع بزيارة ابي مسلم للبلاد سنة ١٣٦ عاد ابو جعفر بسرعة من الجزيرة ليكون الى جانب أخيه الخليفة .

ويظهر ان الخليفة أبا العباس قرر تعيين ابي جعفر خليفة بعده قبل وفاته بمدة طويلة . وهذا القرار اشبع طموح ابي جعفر دون شك ذلك لأن آماله كانت قوية كما يشير الى ذلك البلاذري حيث يقول : ان أبا جعفر كافأ عبد الله ابن الربيع الحارثي عندما أعلمه بالنبأ المفرح(١٤) .

على ان المؤرخين يختلفون في توقيت هذا القرار ، فالكوفي في رواية ضعيفة يشير الى ان محمد بن علي العباسي كان قد عين ابراهيم ثم عبد الله ابن الحارثية (أبا العباس) ثم عبد الله أبا جعفر بالتعاقب لرئاسة الحـركة العباسية . بينما يقول الدينوري بأن أبا جعفر اختير وليـا للعهد في نفس الوقت الذي بويع فيه لأبي العباس خليفة أول للعباسيين سنة ١٣٢ هـ في الكوفة . أما المدائني فيقول بأن من جملة أهداف زيارة أبي جعفر الى خراسان أخذ البيعة لأخيه أبي العباس خليفة للمسلمين ولنفسه وليا للعهد من أهـل خراسان وابي مسلم . ان هذه الروايات الثلاثة(١٥) الآنفة الذكر لا تؤيدها روايات المؤرخين الآخرين ولكن المهم أن نذكر بأن أبا جعفر كان يلقب بولي العهد وبالامير منذ فترة مبكرة جدا تعود الى حصار واسط ولذلك فان أبا جعفر حين زار خراسان كان على اتفاق مع أخيه على أن يكون خليفـة من

بعده • وبقي ذلك سرا حتى بعد وفاة أبي العباس حين أعلن رسميا ان الخليفة الجديد هو ابا جعفر وان عيسى بن موسى وليا للعهد • ويقول الطبري عن العهد « وكتب (ابو العباس) العهد بذلك وصيره في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه الى عيسى بن موسى » •

ولم يكن أبا جعفر حاضراً في الهاشمية بل كان في طريق عودته من الحج حين أخبر بوفاة أخيه وتعيينه خليفة جديدا[١٦] • وقد تعرض مركز ابي جعفر المنصور لأخطار ثلاثة مباشرة هي : خطر ابي مسلم الخراساني الذي أخر البيعة له ثم حاول تحريض عيسى ابن موسى الذي تربطه معه صلة صداقة متينة بالتمرد على المنصور ، ثم خطر عمه عبد الله بن علي والي الشام وعبد الصمد بن علي العم الآخر الذي انضم الى عبد الله بن علي الذي ثار في الشام مطالبا بالخلافة • أما الخطر الثالث فهو خطر محمد النفس الزكية المتغيب في الحجاز • ويشير الدينوري[١٧] الى خطر رابع هو تمرد عيسى بن علي العم الثالث في الكوفة الذي لم يلبث أن رضخ للمنصور بعد وصوله الى المدينة واعتذر منه • ولكن هذه الرواية ليس لدينا ما يؤيدها اطلاقا • بل على العكس فقد كان عيسى بن علي من أقرب أعمام أبي جعفر اليه لأنه كان أكثرهم اخلاصا له •

المنصور وولاية العهد :

وبعد أن قضى الخليفة المنصور على هذه الاخطار الثلاثة ووضع اسس الدولة الجديدة ثابتة رصينة بحيث لم يعد يخشى طموح طامع أو تآمر أمير ولكنه مع ذلك ظل يراقب الهاشميين عامة • فسجن اسحق بن الفضل الهاشمي وهو من نسل الحارث بن عبد المطلب العم الاكبر للرسول صلى الله عليه وسلم • وتشير بعض الروايات الى ان اسحق الهاشمي ادعى بأن حقه في الخلافة أفضل من غيره باعتباره يمثل الفرع الاكبر من بني هاشم[١٨] • كما وان شكوك المنصور حامت حول صالح بن علي العباسي والي قنسرين

والعواصم • فقد أمره الخليفة بالعودة الى العراق وترك منصبه حين سمع بازدياد قوته وكثرة مواليه[١٩] • كما عمد المنصور الى التقليل من شأن محمد ابن أبي العباس[٢٠] واظهار عـدم كفاءته الادارية والسياسية والظاهر ان محمداً هذا لم يكن نفسه يطمع في الخلافة وانما نحو الشعر والغناء والناس، كما تظهره بعض الروايات التي بالغ بعضها في ذلك حتى اننا نظن انها مدسوسة من قبل الخليفة وأعوانه للحط من شأن محمد •

لقد كانت خطة المنصور أن يحفظ الملك في نسله من بعده وكان محمد وجعفر من أبنائه المفضلين لديه • وتشير كل الدلائل الى ان الخليفة كان يعد أولاده لولاية العهد • فقد عين عدداً من المربين والصحابة لكل من ابنيه محمد وجعفر • فكان مع محمد كل من ابي عبيد الله معاوية ويحيى بن برمك وابي سعيد بن محمد بن مسلم وسفيان بن حسين والحجاج ابن أرطأة • وطلب من الشرقي من القطامي أن يعلمه أيام العرب وأخبارها وتاريخها وشعرها • وأما جعفر فكان له الفضل بن عمران مربيا • ثم عين واليـا على الموصل سنة ١٤٥ هـ ، أما محمد الذي كان لا يزال في العقد الثاني من عمره فقد عينه أبوه واليا على خراسان وصاحبه أبو عبيد الله معاوية وحازم بن خزيمة التميمي قائدا للجيش[٢١] • ولا بد أن يكون الاخوان قد أدركا رغبة ابيهما ولذلك فان المنافسة ظهرت بينهما ، الا ان كفة الميزان كانت تميل بمرور الزمن الى جانب محمد الذي كان أكثر حزما وجدية اذا قورن بأخيه جعفر • كما ان وفاة جعفر المبكرة سنة ١٥٠ هـ حسمت الازمة المرتقبة في صالح محمد الذي تركزت حوله الانظار •

وقد بث المنصور دعاية واسعة هدفها اقناع الناس بأن محمدا هو المهدي المنتظر ليجابه بذلك دعايات العلويين حول المهدية سواء الحسينيين والحسنيين أو الحنفية • فاستغل قابلية الشـاعر مطيع بن اياس على وضـع الحديث واشاعته بين الناس وفحواه ان محمد بن المنصور هو المهدي الذي سيملأ الأرض عدلاً • ولم تقتصر هذه الدعاية للمهدي في بغداد بل شملت الاقاليم

كلها كالموصل والحجاز • حيث أشار اسماعيل القسري والي الموصل الى محمد قائلا حين سأله المنصور متى يظهر قحطانيكم يا اسماعيل ؟ فقال « قد ظهر فهو المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن اختنا » •• وأشار الاعلم الهمداني في الحجاز الى محمد المهدي قائلا « جاءت به الروايات وظهرت فيه العلامات »[٢٢] •

موقف عيسى بن موسى :

ولم يبق على المنصور الا أن يقنع عيسى بن موسى ولي العهد حسب أوامر ابي العباس • وكان عيسى هذا من أقدر الامراء العباسيين وأكفأهم اداريا وعسكريا ويشير اليه الجاحظ[٢٣] قائلا بأنه أحد الرجال الذين أشادوا دولة المنصور وسندوا الخلافة بعد اضطرابها • فقد قضى على ثورات العلويين في الحجاز والبصرة وضبط الكوفة لمدة ١٣ سنة • والواقع ان المنصور نفسه اعترف بقابليات عيسى بن موسى وقدرها حق تقديرها على ان غريزة الابوة حالت بين المنصور وبين الاعتراف بحق عيسى •

لقد فشلت خطة المنصور الاولى في القضاء على عيسى حين أرسله لقمع ثورة الحجاز فقد خرج عيسى من المعركة منتصرا ، فحاول المنصور محاولة جديدة وذلك بأن أقنع عيسى بقتل عبد الله بن علي الذي كان مسجونا في الهاشمية ، باعتبار ان عبد الله بن علي يعتبر خطرا على عيسى نفسه لطموحه في الخلافة • ولكن كاتب عيسى حذره من مغبة العمل هذا حيث ان فيه خدعة ومكيدة يدبرها المنصور لأن اخوة عبد الله سيطلبون بثأر أخيهم ويقتلون عيسى[٢٤] • وقد بانت المكيدة حين عاد المنصور من الحج وسأل عن عبد الله فتظاهر عيسى بأنه قتله فأثار المنصور أعمامه الذين هموا بقتل عيسى لولا ان تدارك الامر وأخرجه معلنا دون جدوى ان المنصور هو الذي أمر بقتله الا انه لم يفعل وهكذا فشلت خطة المنصور الثانية •

وبقي عيسى بن موسى شوكة في جنب المنصور وحائلا دون تحقيق

رغباته ، فقرر أن يتخذ اسلوب الحذر والاقناع دون جدوى. وفي سنة ١٤٧ هـ تبودلت رسائل مهمة(٢٥) بين الخليفة وولي عهده بين كل منهما وجهة نظره بصراحة ووضوح حول مشكلة ولاية العهد . كتب المنصور الى ولي عهده :

«... ثم انك قد علمت الحال التي كنا عليها في ولاية الظلمة كيف كانت قوتنا وحيلتنا لما اجترا عليه أهل بيت اللعنة علينا ... حتى اذا بلغ الكتاب أجله وانتهى الامر الى مدته واذن الله في هلاك عدوه ... فابتعث الله أنصارا يطلبون بثأرهم ويجاهدون عدوهم وينصرون دولتهم ... ثم لم نزل من ذلك في نعمة الله وفضله حتى نشأ هذا الغلام فقذف الله له في قلوب أنصار الدين الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا وأشرب قلوبهم مودته وقسم في صدورهم محبته فصاروا لا يذكرون الا فضله ولا ينوهون الا باسمه ولا يعرفون الا حقه .

فلما رأى أمير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودته وأجرى على ألسنتهم من ذكره ومعرفتهم اياه بعلاماته واسمه ودعاء العامة الى طاعته أيقنت نفس أمير المؤمنين ان ذلك أمر تولاه الله وصنعه لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ولا مؤامرة ولا مذاكرة للذي رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة وتتابع العامة حتى ظن أمير المؤمنين انه لولا معرفة المهدي بحق الابوة لافضت الامور اليه وكان امير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامة ولا يجد مناصاً عن خلاص ما دعوا اليه .

وكان أشد الناس على أمير المؤمنين الاقرب فالاقرب من خاصته وثقاته من حرس وشرطة فلم يجد أمير المؤمنين بدا من استصلاحهم ومتابعتهم وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحق من سارع الى ذلك وحرص عليه ورغب فيه ورجا بركته ... فوهب الله لامير المؤمنين وليا ثم جعله تقيا مباركا مهديا وللنبي (ص) سميا وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا الى تلك الشبهة التي تحير فيها أهل تلك النية وأفتتن بها أهل تلك الشقوة فانتزع ذلك منهم وجعل دائرة السوء عليهم وأقر الحق قراره وأعلن للمهدي مناره وللدين أنصاره .

فأحب أمير المؤمنين أن يعلمك الذي اجتمع عليه رأي رعيته وكنت في نفسه بمنزلة ولده يحب من سترك ورشدك وزينك ما يحب لنفسه وولده ويرى لك اذا بلغك من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداء ذلك من قبلك ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم انك أسرع الي ما أحبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم الى ذلك من أنفسهم وان ما كان عليه من فضل عرفوه للمهدي ان أملوه فيه كنت أحظى الناس بذلك وأسرهم به لمكانه وقرابته فأقبل نصح أمير المؤمنين لك تصلح وترشد والسلام عليكم ورحمة الله » •

وقد أجاب عيسى على رسالة الخليفة مؤكدا حقه مذكرا اياه ان في ذلك نقضا لميثاق الله وما أقسمت عليه الامة محذرا الخليفة ان من ينقض البيعة من الرعية سيتعود الى نقضها ثانية وثالثة وفي هذا ترخيص للناس في تــرك الوفاء • ولم يتراجع عيسى عن حقه في الرسالة بل أثبت ان الميثاق والعهد لا يمكن تغييره أو تبدله • وذكر الخليفة بان الامر بعد ذلك لله وحده وان المنصور يجب أن ينفذ ما جاء في عهد أبي العباس •

ولعل أهم ما يلاحظ في رسالة الخليفة آنفة الذكر انها أكدت :

أولا : ان خلافة المهدي هي تقرير من الله تعالى وتعبير عن ارادته الذي رفع من شأن المهدي وأدخل حبه في نفوس الرعية •

وثانيا : انها تعبير عن رغبة أهل خراسان أنصار الدولة وسائر بني هاشم والنـــاس •

وثالثا : لم يترك الخليفة هذه الفرصة تمر الا ويؤكد على مهدية ابنه محمد وانه لولا كونه المهدي الحقيقي لما نصره الله على الآخرين الذين ادعوا المهدية في ذلك الوقت • وحين أصر عيسى بن موسى على موقفه عمد الخليفة الى اتباع أساليب أكثر شدة واهانة فحرض الجند والقادة فكانوا يسمعون عيسى ما يكرهه ومن هؤلاء القادة الموالين للمهدي أسد بن المرزبان وعقبه بن سلم ونصر بن حرب بن عبد الله الراوندي •

وأرسل المنصور أبا عبيد الله معاوية وخالد البرمكي مع ثلاثين آخرين الى عيسى لاقناعه بالتنازل الى محمد المهدي وحين حاول هؤلاء دون جدوى اقناع عيسى شهد خالد البرمكي زوراً ان عيسى قد وافق على التنازل[٢٦] •

وحرض الخليفة الشاعر أبا نخيلة الى التعريض بعيسى بن موسى ومدح المهدي ومنحه عشرة آلاف درهم ولكنه قتل من قبل أنصار عيسى قبل أن يستلم منحته •

ولم يبق لعيسى امتيازاته السابقة حين يحضر مجلس البلاط فقلت منزلته بين الناس الذين ما لبثوا أن قللوا من زياراتهم لعيسى على حساب تزايد زياراتهم للمهدي •

وعزل الخليفة عيسى من ولاية الكوفة سنة ١٤٧/٧٦٤ متعذرا بحاجته اليه لكي يكون بقربه في البلاد • فلما بقي عيسى في الكوفة حرض الوالي الجديد على التقليل من شأنه في المناسبات •

وتشير روايات أخرى [٢٧] الى ان المنصور حاول أن يسمه ولكن المحاولة فشلت •

وقد تحمل عيسى بن موسى كل ذلك ولكن حين تعرضت حياته وحياة احد أولاده موسى بن عيسى لخطر الموت فانه بدأ يضعف ويتخاذل • وتشير احدى الروايات الى ان المنصور حاول قتل أحد أبناء عيسى امام عينيه فقال عيسى :

« يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الامر يبلغ منك هذا كله فمر بالكف عنه فاني لم آكن لارجع الى أهلي وقد قتل بسبب هذا الامر عبد من عبيدي فكيف بابني • فها أنا أشهدك ان نسائي طوالق ومماليكي أحرارا وما أملك في سبيل الله تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين وهذه يدي بالبيعة للمهدي » • على اننا يجب أن نلاحظ بأن تنازل عيسى بن موسى نفسه يناقض ميثاق البيعة ويعتبر نكثاً له ويجعل جميع نساء عيسى طوالق وعبيده أحرارا وأملاكه ليست له •

وقد تنازل عيسى الى المهدي على أن يكون وليا للعهد من بعده • ومقابل ذلك منحه الخليفة المال والقطائع ونفذ ما كان قد كتبه في آخر رسالةعيسى « أسل عنها تنل منها عوضا في الدنيا وتأمن تبعتها في الآخرة » • ويشير الطبري الى ان عيسى حين أعلن عن تنازله قال : « اني قد سلمت ولاية العهد محمد بن أمير المؤمنين وقدمته على نفسي • فقال ابو عبيد الله ليس هكذا أعز الله الامير ولكن قل ذلك بحقه وصدقه وأخبر بما رغبت فيه فأعطيت قال نعم قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعشرة آلاف درهم وثلاثمائة الف بين ولدي وسبعمائة ألف لفلانة امرأة من نسائه بطيب نفس عني وحب لتصييرها اليه لانه أولى بها وأحق وأقوى عليها وعلى القيام بها ••• وختم الميثاق وشهد عليه الشهود »[٢٨] • وفي سنة ١٥١/٧٦٨ عاد المهدي من خراسان فجدد المنصور البيعة له ولابنه المهدي ولعيسى بن موسى من بعده • وكان الناس يقبلون يدي المنصور وابنه ويمسحون على يد عيسى فقط [٢٩] •

ومع ذلك فلم ييأس عيسى بن موسى ويظهر ان له أنصاراً يؤيدون حقه في الخلافة • فقد سجن المنصور سنة ١٥٣/٧٧٠ عددا منهم متهما اياهم بنشاطات تآمرية وكان الخليفة ينبه أهل بيته الهاشميين وأهل خراسان في كل مناسبة أن يقفوا الى جانب المهدي يؤازروه ويشدون من عضده • كما وانه ترك له وصايا ترشده في حكم الامة قبل مغادرته للحج سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م حيث توفي في الطريق الى مكة [٣٠] •

وتشير الروايات[٣١] ان الربيع بن يونس طالب الهاشميين بان يبايعوا للمهدي وأظهر بعضهم بعد التحدي أو النفور حين علموا بوفاة المنصور • ولعب الربيع دورا كبيرا في ضمان بيعتهم للخليفة الجديد • وكان أول المبايعين الحسن بن زيد العلوي وتبعه الآخرين • أما عيسى بن موسى فرفض وكاد ذلك يؤدي الى نزاع وتصدع في الصف العباسي خاصة وان بعض القادة ترددوا في البيعة أسوة بعيسى بن موسى • ولكن عيسى اضطر الى

البيعة بعد ان هدده عيسى بن هامان صاحب حرس موسى بن المهدي الذي كان مع القافلة ، كما وان عيسى بن علي لعب دورا في اقناع عيسى بن موسى بالبيعة للمهدي كما تشير الى ذلك رواية البلاذري •

ومهما يكن من أمر فان هذه الروايات تشير الى التأزم الذي ظهر بمجرد سماع الهاشميين والقادة بان الخليفة قد اقترب الى نهايته أو تحسسوا انه قد مات فعلا مما يؤكد ان لعيسى أنصارا كانوا لما يزالوا يعترفون بحقه • وقد سافر منارة مولى المنصور مسرعا الى بغداد ومعه مرسوم الخلافة وشاراتها ليسلمها الى المهدي(٣٢) •

المهدي وولاية العهد :

ونحن لا نعرف ما اذا كان المهدي مقتنعا بالدور الذي أعده أبوه له ليلعبه في عهده الذي كان عهد استقرار نسبي ومرونة سياسية اذا ما قورنت بشدة المنصور وصرامته • فقد حاول الخليفة الجديد ان يخفف من اجراءات أبيه وان يغدق الاموال على الناس وخاصة أهل الحجاز • ولم يكن المهدي بالخليفة القوي فقد وقع تحت تأثير زوجته الخيزران كما أنه كان عرضة لتأثيرات وزرائه ومواليه •

ومهما يكن من أمر فلم تكد تمضي سنة على خلافته حين قرر تعيين ابنه موسى الهادي وليا للعهد ضاربا عرض الحائط حقوق عيسى بن موسى مرة ثانية •

وليس من السهل تتبع الجذور التاريخية لرغبة المهدي هذه ، ولكن يظهر من رواية البلاذري ان المهدي كان مصمما على تولية ابنه موسى منذ بداية حكمه متحدياً بذلك عيسى بن موسى • واذا أضفنا رواية الطبري التي تشير الى ان الناس حين بايعوا المهدي قبلوا يديه واكتفوا بالمسح على يد عيسى بن موسى بحضرة الخليفة المنصور فاننا نشعر بان للمنصور يداً في ذلك حيث انه ربما أشار على المهدي ان يحفظ الخلافة في ولده من

بعده ويستبعد عيسى نهائيا[٣٣] • ولقد ظهر هذا الشعور تجاه موسى الهادي بصورة مبكرة حيث ان عددا من القادة الموالين للمهدي تظاهروا مؤيدين موسى بن المهدي ومفضلين له على ولي العهد عيسى بن موسى بعد وفاة المنصور مباشرة [٣٤] • وكان هذا أول حادث ظهر فيه اسم موسى كمرشح لولاية العهد • ان أمثال هذه الروايات المبعثرة غير المقصودة تعتبر ذات أهمية تاريخية كبيرة في تصوير الوضع السياسي فيما يخص الانقسامات والاتجاهات حول ولاية العهد ومحاولات الفرع الحاكم الاحتفاظ بالخلافة فيه • وهنا لا بد أن نشير الى رواية[٣٥] مهمة في البلاذري والخطيب البغدادي عن شاهد عيان حيث يروي انه حين قرىء نص العهد بعد وفاة ابي العباس الى ابي جعفر ثم الى عيسى **« ان كان »** وهذا ربما كان يعني ان كان عيسى حيا حين وفاة المنصور • ولكن الخطيب البغدادي يقول بان الناس انقسموا حول تفسير هذه الكلمة • فقال بعضهم انها عنت « ان كان لها موضعا » وقال آخرون « أراد بقوله ان كان هذا لا يكون » • وقد برر بعضهم سبب تعيين عيسى وليا للعهد لا لانه أهلا لها بل لان أبا جعفر كان بعيدا عن العراق حينذاك فاذا ما حدث له شيئا ما فان الجماعة الاسلامية تجتمع على شخص عيسى ولا تتصدع أو تفترق وتتقاسمها الاهواء وتضيع الخلافة العباسية كما يقول المدائني • ولكن هذه الرواية الاخيرة وأمثالها ربما كانت من صنع مؤيدي المهدي للتقليل من شأن عيسى بن موسى •

وقد اتبع المهدي خطوات والده المنصور فيما يتعلق بولاية العهد • فاستهدف أولا رفع شأن أبنائه واعلاء منزلتهم بين الناس [٣٦] • فشجع الشعراء على كيل المديح لهم • واختار لموسى ابان بن صدقة لكي يتعهده ويشرف على تربيته بينما اختار يحيى بن خالد البرمكي وقد لعب هؤلاء المربين دورا كبيرا لتأمين مستقبل هذا الامير أو ذاك واعتلائه كرسي الخلافة لان ذلك يخدم مصالحهم الشخصية ومستقبلهم السياسي وليس فقط حبا في الامير ذاته •

وخطا المهدي نفس خطوات المنصور كذلك فيما يتعلق باسطورة المنقذ المنتظر فقد حاول ان يسبغ على ابنه موسى صفة المهدية ليكسب اليه الرعية وليحول بذلك آمال الناس وتوقعاتهم من الخليفة الحاكم الى ولي العهد الجديد فسماه (الهادي) . ويمكن القول بان الخلفاء العباسيين المتتابعين استغلوا المهدية وتقلدوها واحدا بعد الآخر خلال هذه الفترة المبكرة ليضمنوا ولاء الجماهير الى دولتهم وليبعدوهم عن الحركات العلوية والفارسية والاموية المعارضة التي استغلت نفس الشعارات لكسب الناس فكان هناك المهدي الفاطمي والسفياني المنتظر والقحطاني ونبي زرادشت . لقد اتخذ الخلفاء العباسيين الاوائل القابا بهذا المفهوم . فكان ابو العباس يدعى المهدي والقائم والمرتضى واتخذ أبو جعفر لقب المنصور وهو المنقذ اليماني . كما وانه كان يدعى (المهدي) و (القائم) من قبل شعراء عصره . ولعل في هذه الالقاب أثراً نفسياً على الرعية حيث تستشعر الامل بحياة أفضل على يد هذا المهدي أو ذاك . والامل في حد ذاته مبعث رضى للنفس .

وفي سنة ١٥٩/٧٧٦ بدأ المهدي أول خطوة في سبيل انتزاع ولاية العهد من عيسى . يقول الطبري في رواية له ان الهاشميين واهل خراسان هم الذين بادروا الى الطلب من الخليفة بان يعين موسى وليا للعهد . على ان ذلك ربما كان بتحريض من الخليفة نفسه . وقد طلب الخليفة من عيسى الذي كان مقيما في الكوفة الحضور الى بغداد ولكن الاخير رفض بعد أن شعر أو أحس بغاية المهدي[٣٧] .

وعندئذ طبّق الخليفة وسائل مختلفة لاجبار عيسى على التنازل[٣٨] :

١ — كتب اليه كتاباً يحثه على التنازل عن حقوقه في الخلافة وأرسلها بيد العباس بن محمد فرفض عيسى ذلك فارسل له كتاباً آخر يهدده قائلا : « انك ان لم تجبني الى ان تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من العاصي وان أجبتني عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأعمل نفعاً .

٢ — وولى المهدي روح بن حاتم المهلبي على الكوفة وطلب اليه أن يجد عذرا يوقع فيه عيسى بن موسى •

٣ — وقد تدخل في الامر العباس بن محمد وابو عبيد الله معاوية الا ان محاولتهما لاقناع عيسى فشلت كذلك •

٤ — حذر الخليفة عيسى من كراهية القادة له وكذلك الجند وان اصراره سيعرضه الى مخاطر من جانبهم •

٥ — أرسل الخليفة القائد أبو هبيرة محمد بن فروخ الازدي مع ألفا من الجند لاعتقال عيسى وجلبه الى بغداد حيث بقي في (دار الديوان) وتعرض لانواع الاهانات والتهديدات حتى وافق على التنازل في ٤ محرم سنة ١٦٠ ﻫ •

وحين تعذر عيسى بان الميثاق التي عين بموجبه وليا للعهد لا يمكن كسره أو مخالفته أرسل المهدي الى عدد من القضاة منهم محمد بن عبد الله بن علاثه والزنجي بن خالد البرمكي للافتاء بامكانية الحنث باليمين لوجود مبرر لها • وقد أعطى عيسى ١٠ ملايين من الدراهم وقطائع في الزاب الاعلى وكسكر لتعويضه عن حقه في الخلافة •

ثم طلب الخليفة من عيسى أن يوقع بختمه على وثيقة بهذا الشأن وعقد مجلسا خاصا بايع فيه الهاشميون للمهدي ولأبنه موسى وليا للعهد • وشهد على صحة تنازل عيسى ٤٣٠ رجلا من الهاشميين والموالي والصحابة والوزراء والكتاب والقادة العسكريين والقضاة •

ثم حضر الخليفة وابنه موسى وعيسى بن موسى مع عدد من الهاشميين ورجال الدولة اجتماعا عاما في المسجد الجامع حيث أعلن عيسى انه تنازل بكامل رغبته وارادته عن ولاية العهد وتكلم المهدي :

« وأخبر بما أجمع عليه أهل بيته وشيعته وقواده وانصاره وغيرهم من أهل خراسان من خلع عيسى بن موسى وتصيير الامر

الذي كان عقد له في أعناق الناس لموسى بن أمير المؤمنين لاختيارهم له ورضاهم به وما أرى من اجابتهم الى ذلك لما رجا من مصلحتهم والفتهم وخاف مخالفتهم في نياتهم واختلاف كلمتهم .

وان عيسى قد خلع تقدمة وحللهم مما كان له من البيعة في أعناقهم وان ما كان له من ذلك فقد صار لموسى بن أمير المؤمنين بعقد من أمير المؤمنين وشيعته في ذلك . وان موسى عامل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه (ص) بأحسن السيرة وأعدلها . فبايعوا معشر من حضر وسارعوا الى ما سارع اليه غيركم فان الخير كله في الجماعة والشر كله في الفرقة » .

ثم قرىء على عيسى كتاب الخلع فأقر عيسى بذلك . على ان كل هذه الجهود ذهبت سدى ذلك لان عيسى توفي قبل المهدي سنة ١٦٧ هـ ولم تحن له الفرصة لتسلم زمام السلطة حتى لو بقي وليا للعهد[٣٩] .

المهدي والهاشميين :

ان اعتزال عيسى للسياسة والحكم لم ينه الخلافات حول السلطة ، فقد كان هناك بعض الامراء الهاشميين الطموحين الذين يؤملون أنفسهم بالخلافة مثل عبد الصمد بن علي الذي سجنه المهدي سنة ١٦٣هـ/٧٧٩ م وبقي في السجن حتى سنة ١٦٦ هـ / ٧٨٢ م[٤٠] وتشير الروايات ان سبب سجنه يعود الى عدم اظهاره الاحترام اللائق بالخليفة حين زار هذا الاخير الثغور البيزنطية ولكننا نعتقد أن هناك أسبابا أعمق من هذا تعود الى مطامع عبدالصمد الذي كان قد اشترك مع أخيه عبد الله في الثورة ضد المنصور قبل حوالي ٢٧ سنة كما اعتقل المهدي اسحق بن الفضل الهاشمي لتواطؤه مع يعقوب بن داود وزير المهدي ضد سلطة الخليفة من أجل مطامع سياسية شخصية[٤١] .

موسى وهارون :

ورغم صغر سنه فقد عهد الى موسى الهادي الكثير من الاعمال المهمة . فقد ناب عن الخليفة حين زار هذا الاخير الحجاز للحج سنة ١٦٠ هـ/٧٧٦م،

وكذلك سنة ١٦٣هـ/٧٩ م • وعين كذلك أميرا على الاقاليم الشرقية للدولـة العباسية • وقد ساعده في ادارة شؤون الاقاليم يزيد بن المنصور وابان بن صدقه بسبب صغر سنه التي لا تؤهله لمنصب كهذا •

وقد خامر المهدي فكرة تعيين ابنه الآخر من الخيزران هارون وليا ثانيا للعهد • ولم يحفل الخليفة بابنه الآخر علي وهذا شيء يثير الاستغراب لان أم علي عربية هاشمية عباسية هي ريطة بنت ابي العباس ولكن تفضيل أولاد الخيزران يدل بوضوح على نفوذها القوي على الخليفة(٤٢) •

ويظهر ان فكرة تعيين هارون بعد موسى كانت في ذهن المهدي منذ ان بدأ محاولته الاولى لخلع عيسى بن موسى • ولم يكن السبب في تأخير اعلان بيعة هارون الا صغر سنه •

وفي سنة ١٦٣ هـ بدأ المهدي في التمهيد لاتخاذ الخطوات اللازمة للدعاية لهارون واعلاء شأنه بين الناس كما فعل مثل ذلك مع موسى • فعينه سـنة ١٦٣هـ/٧٥٣م أمـيرا للجهاد ضـد البيزنطيين واستصحبه قادة مشهورين ليوجهونه ويشيرون عليه • وبعد عودته عينه أميرا على الاقاليم الغربيـة في الدولة يساعده في ذلك يحيى بن خالد البرمكي • وفي سنة ١٦٥هـ/٧٨١م قاد هارون حملة جديدة ضد الروم • ورغم ان هارون لم يكن الا في أواخر العقد الثاني من عمره حيث لا يستطيع أن يلعب دورا قياديا في الحملة ولكن الانتصار الكبير الذي سجله الجيش العباسي بقيادة قادته القديرين رفـع من منزلة الامير هارون وزاد من شهرته(٤٣) •

وبتأثير من الخيزران استقبل هارون استقبالاً حافلاً بعد عودته وقـد ختمت هذه الاحتفالات باعلان المهدي هارون وليا للعهد بعد موسى ولقبـه بالرشيد سنة ١٦٦هـ/٧٨٢ ــ ٧٨٣ م •

على ان قضية ولاية العهد لم تنته بعد فقد وقع المهدي بسبب ضعفه أمام زوجته الخيزران ضحية لاهوائها السياسية حيث كانت تفضل هارون عـلى

موسى • وكان موسى أكبر من هارون • وقد أرسل المهدي سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣ ــ ٧٨٤ م موسى الى جرجان وطبرستان ليقضي على الثورة هناك وكان يرافقه القائد يزيد بن مزيد الشيباني الذي كان القائد الحقيقي للجيش وللعمليات العسكرية في طبرستان الذي انتهت بخضوع الامير الفارسي ونداد هرمز • وكان يتوقع ان هذا الانتصار الكبير سيرفع من شأن موسى الهادي ويجعله أكثر أهلية للخلافة ولكن رد الفعل كان معاكسا حيث غير المهدي رأيه فيما يخص بولاية العهد فجأة وقرر أن يضع هارون قبل موسى في ترتيب ولاية العهد • ورفض موسى أن يستجيب لطلب أبيه الذي قرر أن يجبر موسى بالقوة للرضوخ فسار الى طبرستان بنفسه ومعه ابنه هارون الا ان الخليفة مات في ظروف غامضة في الطريق في الرذ في ٢٢ محرم سنة ١٦٩هـ/ ٤ آب ٧٨٥ م (٤٤) •

ان التغير المفاجيء في رأي المهدي ثم وفاته في ظروف غريبة تعتبران من الظواهر التاريخية الغامضة والمعقدة في هذه الفترة • أما بالنسبة لوفاته في سن ٣٦ سنة فتختلف الروايات • تذكر بعضها انها كانت نتيجة لوقوعه أو ارتطامه من فرسه حين كان يلاحق غزالا ، يريد اصطياده ، بينما تشير رواية أخرى الى تسممه حيث وقع ضحية للمنافسة والحسد بين جواريه ، وتشير رواية ثالثة الى وفاته الفجائية التي صدمت الكثيرين من صحابته الذين لم يتوقعوا ذلك أبداء واذا أخذنا روايةيذكرها صاحب كتاب الامامة والسياسة بنظر الاعتبار فربما كان لموسى الهادي وأعوانه دورا في انهاء حياة الخليفة • ويعزز ذلك ما يذكره ابن الاثير حين يذكر انه غير مقتنع من ان المهدي مات موتا طبيعيا ولما كان أعوان الهادي سيطروا على زمام الامور بعد وفاة المهدي فان قلة المعلومات المتوفرة لدينا ربما كان سببها ان هؤلاء المتآمروين أخفوا كل علائم الجريمة •

لقد بذر المهدي بذور الشقاق بين الاخوين موسى وهارون فقسم الدولة بينهما فأعطى الاول القسم الشرقي والثاني الجناح الغربي فارتكب خطأ لان

هذين الاميرين أصبحا نقطة ارتكاز يحيط بها الفئات والجماعات التي تؤيد هذا الامير وذاك • ورغم ان كتلة هارون كانت أقوى ترعاها الخيزران والبرامكة فان كتلة موسى لم تكن ضعيفة حيث ضمت عددا من الهاشميين وبعض المتنفذين أمثال يزيد الشيباني والمستشار الداهية ابراهيم الحرّاني الذي طلب اليه الخليفة أن يعود الى بغداد لاعتقاده بأنه وراء تصلب الهادي على رأيه دون جدوى •

ولقد أخذ هارون بنصيحة يحيى البرمكي بحنكة واخذ البيعة للهادي من الجند • كما وانه منح الجند جوائز وعطاء ٢٠٠ درهم لكل واحد وامر بالعودة الى بغداد وكان هذا شيئا يحبذونه لانه يعني العودة الى أهاليهم وعوائلهم • وقد بقي موت المهدي سرا ولم يعلن على الجند خوفا من حدوث تمرد أو انشقاق • ودفن الخليفة في الرذ وأرسل نصير الوصيف ومعه شارات الخلافة الى الهادي في جرجان •

وحين وصل الجيش الى بغداد حيث كان المهدي قد ترك الربيع بن يونس نائبا عنه ، تمرد وحدثت بعض الاضطرابات بعد سماع الجند بوفاة المهدي • وقد دمرت بعض الدواوين ولحق بعض الضرر بدار الربيع بن يونس نفسه • ثم طلبت الخيزران عقد اجتماع لبحث الوضع السياسي • وقد حضر الربيع الاجتماع وامتنع يحيى البرمكي عن حضوره مدركا عواقبه الوخيمة لعلمه بتردي العلاقة بين الهادي وأمه • وكان القرار الذي تمخض عنه الاجتماع دفع الجند عطاء سنتين أو ١٨ شهرا مقدما لضمان ولائهم وتجنب وقوع اضطرابات جديدة • والظاهر ان من التقاليد التي أصبحت شائعة انه يعطي الجند ارزاقا بمناسبة اعتلاء الخليفة الجديد لمنصبه •

ولقد لعبت الشخصيات التي وراء هارون دورا يدل على ادراكها للوضع وشعورها بالمسؤولية حيث أعلنت الهادي خليفة جديداً وأرسلت بعوثا الى الاقاليم لاخذ البيعة للهادي ولولي عهده الرشيد • والملاحظ ان هذا العمل

لا يؤكد سلطة الهادي فقط وهي سلطة شرعية معترف بها لان المهدي لم يتيسر له الوقت الكافي لاجبار الهادي على التنازل بل ان هذا العمل أكد حق الرشيد باعتباره وليا للعهد وجدد البيعة له على هذا الاساس •

وحين وصل الهادي الى بغداد في ٢٠ صفر سنة ١٦٩ هـ/٧٨٥–٧٨٦م سيطر على زمام الامور وعين رجاله وأعوانه في المراكز الحساسة • لقد كان واضحا ان الهادي صمم أن يتعلق باهداب السلطة التي كادت أن تفلت من يديه بسبب ضعف والده ونفوذ الحريم وخاصة أمه ومؤامرات البلاط •

ورغم ان هارون قد تصرف بعقل وحزم حيث أخذ البيعة لاخيه الهادي في الرذ وكذلك في بغداد فان الهادي لم ينس ان أباه أراد أن يصرف الخلافة الى أخيه • ثم ان هارون وأعوانه لم يكن في مقدوره أن يفعل شيئا بعد وفاة أبيه المفاجئة الا اعلان خلافة أخيه الذي كان ولا يزال وليا للعهد من الناحية الشرعية وحسب ميثاق ولاية العهد • على ان اسم الرشيد ذكر في البيعة للهادي سواء في بغداد أو الاقاليم مؤكدا دون شك حقه كولي عهد •

مؤامرة الخيزران :

ولم يمض وقت طويل حتى تأزمت العلاقة بين الهادي وأمه الخيزران فقد بقيت لعدة أشهر من خلافة الهادي تتدخل كعادتها في عهد المهدي في شؤون السياسة والادارة وفجأة منعها الهادي وأمرها بالتزام بيتها وعدم عقد الاجتماعات • وهدد القادة والوزراء من حضور دعواتها(٤٥) •

وتشير روايات تاريخية عديدة الى ان الهادي كان شاكا في نوايا الرشيد وخاصة ان وراءه الخيزران ويحيى البرمكي ، وقد عبر عن هذه الشكوك للقاضي ابي يوسف الذي طمأن الهادي عن حسن نوايا أخيه وطاعته له وحذره من سوء الظن أو اتخاذ عقوبات تأديبية ضد أخيه • ولعل من أخطاء الهادي انه أبقى يحيى البرمكي في معية الرشيد ذلك لان الهادي حين أراد ان يعزل الرشيد عن ولاية العهد ويعين بدله جعفر بن الهادي اظهر الرشيد

رغبة في التنازل ولكن يحيى البرمكي منعه من ذلك مقويا عزمه باعثا الأمل في طموحه القليل •

وقد شجع الهادي الكثير من القادة أمثال يزيد بن مزيد الشيباني ومحمد ابن فروخ الكندي وابو عصمة وعلي بن عيسى بن ماهان وعبد الله بن مالك لكي يرشح ابنه جعفر لولاية العهد • وقد حرم هارون من امتيازاته كولي للعهد واستعملت ضده وسائل مختلفة من الضغوط والاهانات • وحاول الناس تجنبه خوفا من غضب الهادي • ولم يقف معه الا يحيى بن خالد البرمكي • واستطاع يحيى البرمكي ان يكسب الى جانبه ابراهيم الحراني وعن طريقه عين كاتبه اسماعيل بن صبيح في الديوان • وكان اسماعيل بن صبيح يطلعهم شيئا فشيئا على نوايا صحابة الهادي وخططهم •

وقد حاول الهادي ان يستغل نفوذ يحيى البرمكي على هارون فطلب اليه اقناع هارون بالتنازل ولكن يحيى اشار بلباقة الى ان نقض العهد بعد ابرامه بفترة قصيرة سيكون له نتائج سيئة واقترح على الهادي ان يترك المسألة لفترة خاصة وان جعفر لا يزال صغير السن بعد ولا يستطيع القيام باعباء السلطة في حالة وفاة الهادي واشار على الخليفة أن يعينه وليا للعهد بعد الرشيد اذا أصر • ثم نبّه يحيى الخليفة الا الأمراء الهاشميين الطموحين الذين يترقبون تصدع الفرع العباسي الحاكم لينتهزوا الفرصة ويثبوا على الخلافة فيبتزونها • وتعهد يحيى بعد ذلك انه سيأخذ البيعة لجعفر بعد بلوغه وانه حينذاك سيقنع هارون بالتنازل عن حقه أما الآن فلم يحن الوقت بعد •

ويظهر ان يحيى البرمكي استطاع ان يقنع الهادي بوجهة نظره • الا ان اقتناع الخليفة لم يطل حيث عاد الى الضغط على هارون بالتنازل عن حقه ولذلك ترك هارون بغداد بحجة الصيد وسافر الى قصر مقاتل في الجزيرة • ولكنه استدعي الى بغداد وسجن مع مربيه يحيى بن خالد البرمكي •

وعند هذا المفترق يصبح الموقف غامضا وتختلف الروايات في تصويره •

يقول كتاب العيون والحدائق بان القائد هرثمه بن اعين استلم أمرا من الخليفة بقتل هارون ويحيى البرمكي ولكن الخليفة نفسه مات فجأة قبل تنفيذه هذه الاوامر وفي ظروف غامضة • وتشير روايات الى ان موت الهادي كان طبيعيا بينما تقول أخرى بانه قتل من قبل أمه الخيزران • أو انه سم من قبل جارية له بطريق الخطأ • ولعل الرواية الثانية التي تشير الى دور الخيزران في موت الهادي أقربهم الى الصحة خاصة وان رواتها ثقة أو شهود عيان • ومما يؤكد ذلك ما يذكره الازدي من عبارات تشير الى دور الخيزران حيث يقول « وكان منها (الخيزران) في أمره (الهادي) ما أغنى عنه وعن ذكره » بعد أن أشار الى انها كانت تفضل هارون على موسى •

لقد ازدادت الازمة بين الهادي والخيزران سوءا خاصة بعد عودته من رحلة الى حديثة الموصل وكان في صحة جيدة وفي مقتبل العمر (٢٦ سنة)، حيث ان قلقها كان ظاهرا على ابنها المحبوس هارون • وفجأة يقع الهادي مريضا في الفراش فتنتهز الخيزران الفرصة وتأمر خدمها بخنقه أو سمه • ويصف كتاب العيون والحدائق فعالياتها في اليوم ذاته حيث منعت هرثمة ابن أعين من تنفيذ أوامر الخليفة بقتل هارون ويحيى البرمكي حيث كانت قد سمعت الخليفة يأمر هرثمة بذلك • وتصفها روايات الطبري واليعقوبي بأنها كانت رابطة الجأش لما سمعت بوفاة الهادي بل أكثر من هذا فانها وزعت بعض الاموال والعطاياء ويشير الطبري الى أن الخيزران اتصلت بيحيى في السجن وأخبرته أن يستعد لان الهادي سيموت وأمرته أن يكتب اعلان البيعة لهارون الرشيد لكي يرسل في توه الى الاقاليم •

ومات الهادي فعلا ودفن في مكانه حيث لم تؤخذ جثته الى (مقبرة قريش) وفشلت محاولته لتعيين ابنه جعفر وليا للعهد بعد مؤامرة دبرتها الخيزران بالتعاون مع رجال البلاط والخدم • ولا يعرف شيء عن هذه المؤامرة ولا عن اسماء المشتركين حيث أخفى الجريمة مدبروها الذين سيطروا على السلطة مباشرة •

وقد ذهب القائد هرثمة بن اعين والقائد خازم بن خزيمة التميمي مـع ٥٠٠ر٠٠٠ جندي الى قصر جعفر واعتقلوه هناك واجبروه في اليوم التالي ان يعلن أمام الملأ بان ليس له حق في الخلافة التي تعود الى عمه هارون وان كل من بايعه هو في حل من ذلك •

لقد رفع الرشيد الى الخلافة(٤٦) بجهود أمه الخيزران وأعوانه البرامكة ولذلك فلم يكن شيئا مستغربا أن يفوض امر الدولة في أيدي البرامكة • وقد اقترحت الخيزران قتل كل من سائد الهادي في خطته لاجبار الرشيد على التنازل ولكن يحيى البرمكي أبعدهم عن بغداد الى مراكز اداريـة وعسكرية في الاقاليم على ان بعضهم ما لبث أن قتل •

ان موت الخليفة الهادي ظاهرة مهمة في التاريخ العباسي ليس فقط لما تحمله من المعاني حول مسألة ولاية العهد ولكنها كذلك لانها تحمل في طياتها بذور تدهور الدولة العباسية واضمحلالها • لقد وقع الهادي ضحية مؤامرات البلاط وتدخل الحريم في السياسة والصراع الخفي على السلطة بين التكتلات السياسية المختلفة • لقد كان الهادي مصمما أن يحكم بحزم وقوة دون أن يسمح لاية قوة بالتأثير عليه ولكنه لم يستطع التغلب على الخيزران وكتلتها •

أما الرشيد فكان مستعدا لاشباع رغبات الجماعة التي سعت لجلبه الى السلطة ولكنه من ناحية أخرى فان سياسته من مشكلة ولاية العهد لا تدل مطلقا على انه استفاد من تجربته المريرة وخبرته العميقة في هذا الشأن • وكأنه لم يتلقن ذلك الدرس القاسي في عهد الهادي •

وليس في نيتنا أن نستعرض اجراءات الرشيد في ولاية العهد فلذلك مكان آخر سنبحثه ان شاء الله ولكننا نود أن نلمح هذا فنقول بان الرشيد وقع في خطأ أكبر من خطأ والده المهدي حين عين أولاده الثلاثة الامـين والمأمون والمؤتمن لولاية العهد بالتعاقب وقسم بينهم الدولة الى ثلاث مناطق نفوذ • ولعل السبب في قراره هذا كان يعود الى رغبته في حفظ الخلافة

في الفرع العباسي الحاكم حيث كثر الطامعون فيها من الفروع الأخرى الهاشمية ولكن تأثير تكتلات البلاد عليه كان واضحا كذلك •

ان سياسة الرشيد تجاه مسألة العهد تشير الى افتقاره الى الادارة والكفاءة وتحمله جزءا من المسؤولية عن الحرب الاهلية التي نشبت بين الامين والمأمون ومن ثم تفكك الدولة العباسية وظهور بوادر الضعف الاداري والتفكك السياسي الذي أدى الى نشوء الدويلات الاسلامية في المشرق والمغــرب •

الخــاتمــة :

ان ما استعرضناه كان في حقيقته دراسة لما حــدث فعــلا فيما يخص اجراءات الخلفاء العباسيين ومواقفهم من نقل السلطة بعد وفاتهم ولكــن الفقهاء مثل أبي يوسف والماوردي وكذلك بعض المؤرخين المتأخرين أمثــال ابن خلدون والقلقشندي حاولوا تبرير ما حدث من أعمال عن طريق مناقشات فقهية غرضها الدفاع عن (الجماعة الاسلامية) ، ولذلك فنحن نلاحظ انــه رغم استفادة الماوردي من القواعد الفقهية التي سبقته الا أن ما ورد في كتابه يعطي القاريء انطباعا على ان هذه القواعد وجدت منذ البدء ويجب أن تبقى كذلك الى النهاية • وفيما يخص ولاية العهد فان ما يذكره الماوردي(٤٧) لا يستند على سابقة تاريخية واقعة فعلا بل هو ضرب في مجال الاستنتاج الفقهي من الشريعة ، فهو يقول بان العهد لا يصبح شرعيا الا بعد قبــول المعهود اليه • ولا يمكن للامام نقض العهد ولا لولي العهد أن يتنازل الا في حالات خاصة • ويبرر الماوردي نظا م ولاية العهد لاثنين أو أكثر على التوالي كما وانه يعطي الحق لولي العهد الاول بان يخلع أولياء العهد الآخرين بعد أن يتسلم الخلافة •

والحقيقة ان هناك من الحوادث التاريخية ما تؤيد نظرية الماوردي الا انه استند في أكثر آرائه في هذا المجال على نظريات الفقهاء اكثر من الواقــع

التاريخي . فهو حين يسمح لولي العهد الاول أن يخلع ولي العهـد الثاني مثلا فانه يهمل الواقع التاريخي الذي دعا عمر بن عبد العزيز أن يبقي يزيد الثاني وليا للعهد دون أن يعو د الى نظام الانتخاب(٤٨) أو الشورى الراشدي أو الظروف التي حالت دون الهادي ورغبته في أن يكون ابنه جعفر لا أخيه هارون وليا للعهد أو محاولة الامين عزل المأمون . ولعل اختلاف الاحكام وتناقضها لا في مجال نقل السلطة أو ولاية العهد بل في كافة المجـالات السياسية والادارية هو الذي دعا عبد الله بن المقفع أن يشير على المنصور بان يكتب كتابا جامعا ترجع اليه الخلافة في كافة القضايا التي تواجهها وبهذا يوضع حد للقلق والاضطراب الذي يسببه فقدان القواعد والانظمة الثابتة .

والمعروف ان أسماء ولاة العهد ظهرت في النقوش وخاصة السكة فكان لقب « ابن أمير المؤمنين » من الالقاب الفخرية التي يلقب بها ابن الخليفة اذا كان وليا للعهد فاطلق على المهدي في سكة في الري سنة ١٤٦ ه وعلى الامين في سكة بتاريخ سنة ١٨٣ ه وكان ولي العهد يلقب (بالامير) كذلك كما جاء في سكة سنة ١٨٣ ه « مما أمر به الامير الامين محمد بن امـير المؤمنين » .

وكان أول ما ظهر من أسماء ولاة العهد في العصر العباسي على النقود هو اسم المهدي سنة ١٤٦ ه ثم تتابع ظهور الاسماء بعد ذلك التاريخ . وحين ولي المهدي ابنه للعهد ظهر اسمه مقرونا بلقب (ولي عهد المسلمين) على السكة . وفي ١٧٠ ه أضيف هذا اللقب الى اسم هارون . وقد استعمل لقب (ولي ولي عهد المسلمين) للدلالة على ترتيب الامير في ولاية العهـد ولكن هذا اللقب لم يظهر في الصدر الاول للدولة بل نلاحظه في سـكة بتاريخ ١٨٧ ه في بلخ يشير الى المأمون .

ويظهر ان لقب (أم ولاة عهد المسلمين) كان يطلق على زوجات الخلفاء اذا كان لهن ابن من ولاة العهد .

حواشي الفصل السادس

(مشكلة ولاية العهد)

١ – A. Chejne - succession to the Rule in Islam, PP. 20ff

٢ – Chejne, **CIT OP. cit**, PP. 22 - 23

٣ – T. Arnold, the **Caliphate**, P. 20

٤ – ابن سعد ، **طبقات** ج ٢ ص ١٤١ . – البلاذري ، **انساب** ، ١٩٣٦ ج ٥ ص ١٥

٥ – الدوري ، **النظم** ، ص ٣٣ Welhausen, **The Arab Kingdom**, P. 6

٦ – **E. I.** (1) (2) (علي بن ابي طالب)

٧ – الدوري ، **المصدر السابق** ص ٣٧ فما بعد .

٨ – دينت ، **مروان بن محمد** (بالانكليزية) ص ١٦٢ فما بعد .

٩ – احمد الشايب ، **تاريخ الشعر السياسي** ، ص ٢٤١

١٠ – ابن خلدون ، **المقدمة** ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ فما بعد .

١١ – البلاذري ، **انساب** ، ص ٥٠٠ عن المدائني .

١٢ – **انساب** ص ٥٠٠ ، ٥٠٨

١٣ – **انساب** ٥٠٣ ، ٥١٨ . – جهشياري ص ٩٨ – ٩٩ – **الاغاني** ج ١٣ ص٧٥ . – **العقد الفريد** ج ١ ص ٢٩٧ . – **امالي المرتضى** ج ١ ص ١٦٩ – **منتخب التذكرة** ص ١٩٩ أ .

١٤ – **انساب** ، ص ٥١٦ . – **المقفى** ص ١٩٢ أ .

١٥ – الكوفي ص ٢٢٠ أ . – الدينوري ص ٣٦٨ . – الطبري ٣ ص ٨٣ . – انظر يعقوبي ج ٢ ص ٤٢٠ جهشياري ٨٩ حيث تذكر البيعة من جملة اهداف زيارة خراسان دون ذكر ابي جعفر بالاسم .

١٦ ـ دينوري ، ٣٧٤ . ـ يعقوبي ج ٢ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ . ـ الطبري ٣ ص ٨٨ .

١٧ ـ دينوري ٣٧٥ .

١٨ ـ الطبري ٣ ص ٥٠٨ . ـ Souredl, **Le vizirat—**, 1, P. 104

١٩ ـ يعقوبي ج ٢ ص ٤٦١ .

٢٠ ـ مقريزي : **منتخب التذكرة** ص ١٢٦ أ . **اغاني** ج ١٣ ص ٩٩ .

٢١ ـ **طبقات ابن سعد** ج ٧ ص ٧١ . الجهشياري ص ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٣٠ . ـ الطبري ، ٣ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ، ٣٥٥ . ـ **مروج الذهب** ج ٦ ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ . ـ **العاملي اعيان الشيعة** ج ٢٠ ، ص ١٠٨ .

٢٢ ـ الازدي ، ص ١٨٧ . ـ **الانساب** ص ٥٦٦ .

٢٣ ـ **فضل بني هاشم** (سندوبي) ص ١١٦ .

٢٤ ـ **انساب** ص ٧٦٧ أ . ـ جهشياري ص ١٣٠ . قارن يعقوبي ج ٢ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

٢٥ ـ **انساب** ص ٥٦٣ . الطبري ٣ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٤ . ـ الازدي (مخطوطة) ص ٧١ .

٢٦ ـ الطبري ٣ ص ٣٤١ فما بعد . ـ الازدي ص ١٧٤ ـ ١٧٥ (مخطوطة) .

٢٧ ـ **انساب** ص ٥٦٣ . ـ الطبري ٣ ص ٣٣٧ . ـ **الفخري** ص ١٥٤ .

٢٨ ـ **انساب** ص ٥٦٤ . الجهشياري ، ص ١٢٧ . ـ الطبري ٣ ص ٣٥٠ . ـ **الفخري ، ص ١٥٥**

٢٩ ـ الطبري ٣ ص ٣٦٧ .

٣٠ ـ OP. cit ، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٥ ـ **انساب** ص ٥٦٥ ـ ٥٦٦

٣١ ـ **انساب** ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠ ـ الطبري ٣ ص ٤٥٥ ، ٣٨٧ ـ ٣٩١ .

٣٢ ـ **المعارف** ص ٣٧٩ . ـ الطبري ٣ ص ٤٥٦ .

٣٣ ـ الطبري ٣ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ . ـ **العيون والحدائق** ص ٢١٧ .

٣٤ ـ الطبري ٣ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ . ـ **العيون والحدائق** ص ٢١٧ .

٣٥ ــ **انساب** ص ٥٠٧ ــ الخطيب البغدادي ج ١٠ ص ٥٠ نقلا عن اسحق بن عيسى بن علي .

٣٦ ــ الطبري ٣ ص ٤٩٢ ، ٤٩٤ و ٤٩٧ . ــ الخطيب البغدادي ج ٣ ص ٢٥٤

٣٧ ــ الطبري ٣ ص ٤٦٧ . ــ الازدي ص ٢٠٥ .

٣٨ ــ انظر : الطبري ٣ ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ . ــ الجهشياري ص ١٤١ ــ ١٤٦ . ــ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٧٦ **الانساب** ص ٥٦٤ .

٣٩ ــ يعقوبي ج ٢ ص ٤٨٠ . ــ الطبري ٣ ص٤٩٨ ، ٥١٨ ــ ٥١٩ . ــ منتخب التذكرة ص ١٣٠ ب .

٤٠ ــ الازدي ص ٢١٠ (المخطوطة) . ــ الطبري ٣ ص ٤٩٨ ، ٥١٨ .

٤١ ــ الطبري ٣ ص ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ .

٤٢ ــ جهشياري ص ١٢٦ ، ١٤٦ ، ــ الطبري ٣ ص ٤٩٤ . ــ نبيهة عبود ، **ملكتان في بغــداد** .

٤٣ ــ الطبري ٣ ص ٤٩٥ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣ ــ ٥٠٤ . ــ الازدي ص ٢١٠ . ــ **انساب** ص ٥٦٤ .

٤٤ ــ انظر : الدكتور فاروق عمر ، **الخلافة العباسية** (بالانكليزية) ص ٣٣٤ ــ ٣٤٣ .

٤٥ ــ الدكتور فاروق عمر . **المصدر السابق** .

٤٦ ــ E. 1. (2) (هارون الرشيد) بقلم الدكتور فاروق عمر .

٤٧ ــ الماوردي ، **الاحكام السلطانية** ، القــاهرة ١٩٦٠ ، ص ١١ ــ ١٥ .

٤٨ ــ وحين يدعو بعض الشعراء الى العودة الى الانتخاب يطاردون من قبل السلطة كما في حالة أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة الذي هرب الى البادية خوفا من الهادي لانه قال في الرشيد : (**لطائف المعارف** الثعالبي ص ٧٢) .

أمير المؤمنينا اليــوم موسى — وأنت غــدا امير المؤمنينــا
سنختــار الخلافــة بعد موسى — وان رغمت أنوف الحاسدينــا
رأيت أبــاك أورثهــا بنيــه — وأنت كذاك تورثهــا البنينــا

الفصل السابع

السياسة الخارجية

« ان دولتي العرب والروم ظاهرتان على العالم كله . تمتازان وتتألقان كالشمس والقمر في القبة الزرقاء ، ولا مندوحة أن نعيش معا كالاخوة على الرغم من اختلافاتنا في الطبائع والعادات والدين » .

من رسالة كتبها البطريق نيقولا مستيكس بطريق القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري .

نبذة عن الثغور الشامية والجزرية :

يقول المسعودي[١] (أرض الروم واسعة في الطول والعرض آخذة في الشمال بين الشرق والغرب مقسومة في قديم الزمن على أربعة عشر قسما : أعمال مفردة تسمى البنود كما يقال أجناد الشام كجند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين • غير أن بنود الروم أوسع من هذه الاجناد وأطول) وقد حاول المسعودي ان يقارن بين الترتيبات العسكرية الادارية الاسلامية والبيزنطية • على أن نظام البنود (الثيما) تختلف في أمور كثيرة عن نظام الاجناد الشامي • وقد جاء نظام البنود البيزنطي بعد الحروب الفارسية ثم العربية التي خاضتها الامبراطورية البيزنطية مما دفعها الى اعادة تنظيم استراتيجيتها وتنقسم الامبراطورية الى اقسام ادارة عسكرية جديدة مع اعطاء الصدارة للسلطة العسكرية في هذه المقاطعات • وبهذا ضمن ان يكون الجيش على أهبة الاستعداد في أي وقت لصد الغارات الاسلامية وقد منح الجند قطعا من الارض يشتغلونها ويتمتعون بخيراتها[٢] وبمرور الزمن أخذت هذه المقاطعات اسماءالفيالق العسكرية التياستقرت فيها• وقد طبق نظام البنود البيزنطي بصورة خاصة في الاناضول كتدبير دفاعي ضد المسلمين • وقد مر نظام (الثيما) البنود بتجارب كثيرة حتى وصل درجة من القـوة في القرن الثامن الميلادي[٣] •

وقد اصبحت كلمة (ثيما) اليونانية[٤] التي تعنى فرقه من الجيش ترابط في منطقة ما ذات مدلول واسع حيث امتدت لتشمل الاقليم كله •

أما في الجانب الاسلامي فهناك ما يسمى بالثغور والعواصم • فالثغور كما يقول ياقوت كل موضع قريب من ارض العدو • وكانت الحدود الاسلامية الرومية في أيام بني العباس ــ الاوائل تتألف من سلسلتي جبال طوروس وانتى

طوروس وكانت الثغور خطا من القلاع يحمي هذه الحدود وكان يتبادل هذه القلاع الروم والمسلمين من حين لآخر •

وهناك خطان رئيسيين من الثغور الاسلامية(٥) :

الاول : الثغور الجزرية وهي شمالية شرقية تحمي منطقة الجزيرة ومنها ملطيه وزبطره وحصن منصور وبهسنا والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربه •

والثاني : الثغور الشامية وهي جنوبية غربية تحمي الشام ومنها المصيصة وأذَنة وطرطوس •

أما العواصم(٦) فهو الخط الدفاعي الداخلي الثاني وسميت العواصم لانها سلسلة من الحصون الداخلية التي تعصم الحدود ضد غارات الاعداء ويعطينا قدامة بن جعفر تصنيفا واضحا للثغور والعواصم الاسلامية فيقول :

(ان الثغور المقابلة لبلاد الروم ــ منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر ومنها ما يجتمع فيه الامران وتقع المغازي من اهله في البر والبحر •• وعواصم هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام وانما سمى كل واحد منها عاصما لانــه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير) •

وقد إهتم الخليفة الرشيد بالحدود مع البيزنطيين وجعل الثغور كلها تحت ادارة واحدة سنة ١٧١ وسميت العواصم • وليس هذا محل التفصيل في تدابير الرشيد العسكرية •

وقد انتشرت في هذه الفترة(٧) في مناطق الثغور الربط وهي عبارة عن حصون تقام في مناطق كثيرة التعرض لغارات الروم وتشحن بالمقاتلة والذخيرة • ثم تحولت هذه الربط الى مراكز ثقافية وحضارية كثر فيها العلماء • وقد برزت فيها حتى الطرز المعمارية والزخرفية الاسلامية • وبهذا كانت الربط تمثــل نظاما دفاعيا متكاملا •

وكان الرباط يسمى بالغزو والمرابطون الغزاة . يقول ابن كثير[8] في التفسير « قيل المراد بالمرابطة مرابطة الغزو في غور العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها من دخول الاعداء الى حوزة بلاد المسلمين » . وفي لسان العرب « الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو أو الجهاد وأصله ان يربط فيه الخيل » وفيه يقول الشاعر المرابط[9] :

لا يستوي غبار خيل الله في أنف امرىء ودخان نـار تلتهب
هذا كتـاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكـذب

وفي القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) ان هناك ثلاثة اصناف في المرابطين اولهم اهل الدين والتقوى الذين يشتركون في الحملات تطوعا وعقيدة ويرابطون هناك . وثانيهم أهل السياسة والزعامة الذين فشلوا في حياتهم السياسية وفضلوا الانسحاب في المعترك السياسي وثالثهم اولئك الذين يفضلون حياة العـزلة ويتهربون في الدنيا ومنهم المتصوفة .

لقد منعت كثرة المشاكل والاضطرابات الداخلية[10] الخلفاء العباسيين الاوائل من الاهتمام بالجهاد ضد الروم والخزر او في جهات ترانسكسونيا ومهما يكن من أمر فان روح الجهاد ومظاهره ظلت مستمرة لسببين رئيسيين :

الاول : لقد كان الجهاد من واجبات الخليفة الدينية الرئيسية حيث كان عليه ان يجهز الحملات السنوية ضد (دار الكفر) وان يعمل ما في وسعه لاضافة مناطق جديدة الى (دار الاسلام) .

ثانيا : لقد استعملت بلاد الروم وترانسكسونيا ملاجىء لاعداء الدولة والثوار يلتجأون اليها بعد فشل ثوراتهم ويحضون برعاية أمبراطور الروم او امراء اقاليم بلاد ما وراء النهر .

الحروب مع الامبراطورية البيزنطية :

أن اهم ما يميز المواجهة العباسية العسكرية ضد الروم (البيزنطيين)

انها لم تكن حربا مخططة تهدف الى توسيع رقعة الدولة الاسلامية بل انها انخفضت في مستواها الى اشتباكات فصيلة على الحدود تتخللها هجمات تتفاوت عمقها داخل حدود الدولة المعادية على ان حصيلتها لم يكن أكثر من السلب والنهب وتدمير الحصون والمعسكرات الثغرية • ولعل هذا الاختلاف في المجهود الحربي تجاه الروم بين الدولتين العباسية والاموية يعود الى ان العباسيين اهتموا بالاقاليم الشرقية من دولتهم اكثر من اهتمامهم بالاقاليم الغربية ويعود السبب في ذلك الى ادراكهم بان ضمان الاستقرار في المشرق يعني ضمان السلطة لهم ولذلك بذلوا جهودا لا بأس بها في تثبيت مراكزهم هناك بنقل العاصمة الى العراق ليكون على مقربة من ايران المضطربة وبالقضاء على كل حركة ثورية فيها ••• أما السبب الثاني للاهتمام بايران فربما يعود الى رغبة العباسيين بالانتفاع اكثر من الامويين بمظاهر الحضارة الايرانية واساليبها الادارية والسياسية والثقافية •

وقد ظلت امبراطورية الروم العدو الرئيسي للدولة الاسلامية منذ نشأتها ذلك لان الروم خسروا عدة اقاليم غنية من امبارطوريتهم بعد الفتوحات الاسلامية مثل الشام ومصر والمعروف ان الامبراطور البيزنطي قسطنطين (٧٤١ م — ٧٧٥ م)(١١) هاجم منطقة الثغور منتهزا فترة الاضطرابات في السنوات الاولى من عمر الدولة العباسية وهدد كل الثغور الاسلامية فدمر حصونها وخاصة حصون الفرات وحصون المنطقة الوسطى (الجزرية) مثل الحدث وزبطرة وملطية •

فقد حاصر الامبراطور ملطية واستسلم اهلها بعد ان يأسوا من المدد(١٢) وقد اشترط عليهم اخلاء القلعة • كما ضربت شمشاط وكمخ وهدم حصن قلوذيه وكان ذلك في ١٣٣ هـ / ٧٥٠ — ٧٥١ م •

ولقد أمر الخليفة العباسي الاول ابو العباس عبد الله (١٣) عمه وواليه على الشام عبد الله بن علي العباسي بالتحرك فورا بمن معه من الخراسانية وأهل

الشام لجهاد الروم وازاحتهم • على ان عبد الله بن علي كان يطمح بالخلافة ويعتبر نفسه الرجل الثاني بعد الخليفة • ولذلك فقد كان اهتمامه منصبا على مصير الخلافة لا مصير الثغور الاسلامية وكان متثاقلا في سيره الى الحدود • ولذلك فلم يكن قد قطع شوطا بعيدا حين جاء نبأ وفاة الخليفة فغير اتجاهه جنوبا نحو العراق مدعيا بالخلافة •

وحين جاء الخليفة الثاني المنصور الى الحكم (١٣٦ هـ — ١٥٨ هـ) اهتم بمنطقة الحدود على ان جل عمله كان دفاعيا لا هجوميا ذلك لانه اعاد تحصين المنطقة التي دمرها قسطنطين الخامس وبنى كثيرا من الحصون التي هدمت • ولا شك في أن المنصور نفسه كان ملمّا بأحوال المنطقة لأنه كان واليا على الجزيرة وأرمينية واذربيجان في عهد أخيه الخليفة الاول •

ويعطينا دايونسيس[١٤] التلمحري والبلاذري[١٥] معلومات جيدة عن الجهود التي بذلها المنصور وعن الامكانات البشرية والمالية التي أنفقها من أجل أن يضع أساسا جديدا لاقليم الثغور • ويذكر بأن ٧٠٫٠٠٠ من أهل خراسان والجزيرة والشام اشتركوا في اعادة تحصين ملطيه وكان على رأسهم الحسن بن قحطبة الطائي الخراساني الذي استطاع بدأبه على العمل المستمر أن يعيد بناء ملطيه في ٦ أشهر •

وقد استعمل الخليفة وسائل اغراء كثيرة لحث الجند والناس على العمل في الثغور منها :

١ — زيادة العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير اضافية •
٢ — تخصيص معونة قدرها ١٠٠ دينار لكل واحد منهم •
٣ — بناء بيوت خاصة لاقامتهم مع عائلاتهم وعلى هذا الاساس كان يقسمهم الى جماعات صغيرة تحيط بالحصن ولا تبعد عنه كثيرا •
٤ — اقطاع الاراضي للمقاتلة لكي يزرعونها في أوقات السلم •

ونحن نتفق مع دانيوسيس التلمحري الذي أدرك كثرة النفقات التي

تكبدتها الدولة من جراء ذلك وصعوبة توفير المواد الغذائية والمؤونة لهذا الصدد من المقاتلة والمتطوعين وأهل الحرف •

لقد تمت مرحلة استكمال الدفاع والتحصينات بين عام ١٣٨ هـ/١٣٩ هـ ـ ١٤١ هـ ـ حيث بنيت ملطيه وعمرت المصيصة ١٣٩ هـ وأسكنت في السنة الثالثة وسميت (المعمورة) ونقل اليها بعض الفرس والصقالبة والانباط والنصارى بعد أن نقل سكانها الاصليون الى داخل الدولة الاسلامية (فلسطين) لاتهامهم بالتواطؤ مع الروم • كما بنى صالح بن علي العباسي مرعش وحصنها وشحنها وكذلك اهتم بتحصين أدنه ١٤١ هـ وعسكر فيها مقاتله من أهل خراسان وأهل الشام • واعيد تعمير حصن زبطره في خلافة المنصور أيضا • ولكن المنصور لم ينتظر كل هذه المدة دون مواجهة الروم فقد ارسل حملة بقيادة العباس بن محمد[١٦] على رأس أهل خراسان وصالح بن علي على رأس أهل الشام سنة ١٣٨ هـ • ويؤكد اليعقوبي بأن هذه الغزوة كانت أول غزوة في العصر العباسي ويوافقه ابن العديم في وجهة النظر هذه غير انه يذكر ١٣٩ هـ بدلا من ١٣٨ هـ[١٧] •

إن اعتبار ١٣٨ هـ أول غزوة في الحروب العباسية الرومية لا ينفي وجود محاولات سابقة لها حيث يذكر الطبري ان صالح بن علي وجه سعيد بن عبدالله لغزو الصائفة وراء الدروب ١٣٣ هـ • على ان هذه الحملة الاخيرة لم يكتب لها النجاح حيث يقول اليعقوبي عن حملة سنة ١٣٣ هـ « فلم يكن لقاء بينهما » ولا ذكر لهذه الحملة في البلاذري أو ابن الاثير كما واننا ذكرنا سابقا محاولة عبد الله بن علي عم الخليفة الغزو ولكنه « بلغ دلوك ولم يدرب حتى أتته وفاة أبي العباس •• وقدم حاجب ابن العباس ببيعة ابي جعفر وعبد الله بأفواه الدروب يريد الروم » •

ان أهم ما حققته حملة ١٣٨/١٣٩ هـ هو اعادة بناء الحصون الثغرية أولا وتحذير الروم من مغبة هجماتهم المدمرة ثانيا • ثم الفداء واستنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الروم ثالثا[١٨] •

ويظهر انه لم يعقب حملة ١٣٨ هـ غـزوة حقيقية جديدة حتى ١٤٦ هـ وذلك لتعرض الدولة العباسية الى ثورة علوية كادت تؤدي بكيانها الاوهى ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم . تقول الرواية « ولم يكن بعد ذلك فيما قبل للمسلمين صائفة الى سنة ١٤٦ هـ /٧٦٣ م لاشتغال أبي جعفر بأمر ابني عبد الله بن الحسن »[١٩] . وقد يعزى الهدوء على الحدود الاسلامية ـ الرومية الى عدة عوامل لا الى عامل واحد :

أولها : الاضطرابات الداخلية في الدولة الاسلامية حيث كان عهد المنصور كثير القلاقل هددته اخطار ثلاثة هي : خطر عبد الله بن علي العباسي وخطر أبي مسلم الخراساني وأتباعه وخطر الشيعة العلوية .

ثانيها : انشغال الروم أنفسهم بمشاكل داخليـة حيث تنازعت الحكم تكتلات سياسية وعسكرية ولعل جذور هذا الانشقاق يعود الى حركة دينية ترأسها الامبراطور ليو الثالث الايسوري الذي اتخذ اجراءات عدائية على عبادة الايقونات[٢٠] في الامبراطورية وهي عبادة الصورة المقدسة والتماثيل التي تصور المسيح والعذراء والقديسيين وتعرف هذه السياسة (بالحركة اللاايقونية) أي حركة اصلاح الدين بتطهيره من الماديات ورفض عبادة الصور والتماثيل المقدسة .

وقد تطورت الحركة اللاايقونية من دينية الى دينية سياسية وأدت الى عداء الامبراطور للبابا . ومع ذلك فقد استمر الاباطرة البيزنطيين على سياستهم فقد سار قسطنطين الخامس على نفس سياسة والده باصداره مراسيم جديدة ضد الصور والتماثيل . وتبعه في ذلك ليو الرابع .

هذه من جهة ومن جهة اخرى كان خطر البلغار يهدد الامبراطورية مما اشغل قسطنطين عن الاهتمام بالحرب مع المسلمين .

ثالثها : الاضطرابات في أرمينية والخزر شغل الدولة العباسية في هذه الفترة وقد استفاد الروم من ذلك حيث خف ضغط المسلمين عليهم ففي

سنة ١٤٨ هـ غزا حميد بن قحطبة الترك بعد أن دمروا تفليس وغزا الحسن بن قحطبة الخزر سنة ١٦٣ هـ كما وان المنصور اهتم اهتماما كبيرا بجبهة الخزر وولى مولاه واضحا على ارمينية واذربيجان • واسكن بعض القبائل العربية هناك •

ولم تكن الفترة بين ١٤٦ هـ/٧٦٣ م ـ ١٥٨ هـ/٧٧٥ م أي الى نهاية حكم المنصور[٢١] فترة فعالة أو هجومية الا في النادر حيث ان الحملات لم تكن تتوغل بعمق أو تلاقي قوة بيزنطية حقيقية والمصادر تحفل بعبارات مثل (عسكر بدابق في هذا العام ولم يغزو) أو (لم تكن للناس صائفة في هذا العام) أو (لم يدخل بالناس أرض العدو) أو (لم يدربوا ـ أي يدخلوا أراضي الدولة البيزنطية) • ولعل اشتباك حدث بين الطرفين كان في ١٥٣ هـ ٧٧٠ م حين سار معيوف بن يحي الحجوري الى حصن للروم (ليلا وأهله نيام فسبى واسر من كان فيه من المقاتلة ثم سار الى « اللاذقية المحترقة » ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبي سوى الرجال البالغين)[٢٢].

ولقد توفى الخليفة المنصور في نفس السنة التي توفى فيها الامبراطور قسطنطين الخامس وخلف المنصور ابنه المهدي بينما خلف قسطنطين ابنه ليو الرابع (٧٧٥ م ـ ٧٨٠ م) وقد استمر ليو الرابع في سياسته اللاايقونية واضطهد الكثير من ابناء الشعب حتى شمل اضطهاده زوجته ايريني • كما وانه انشغل في جبهة اوربا بحربه مع الفرنك في ايطاليا • وقد خلفه في الحكم ابنه قسطنطين السادس (٧٨٠ ـ ٧٩٧ م) الذي كان لا يزال طفلا صغيرا تحت وصاية امه ايريني • هذا وقد لعبت المشاكل الداخلية والنزاع على السلطة في القسطنطينية دورا كبيرا في ضعف المقاومة للقوات الاسلامية خلال هذه الفترة • واذا سمحنا لأنفسنا بأن نستبق الاحداث التاريخية لنعرض وصفا موجزا لحالة البلاط البيزنطي وما دار فيه من مؤامرات سياسية كان لولبها الملكة ايريني التي اشتهرت بصفات فذة وطموح ليس له حدود لا يوازيه الا طموح معاصرتها الخيزران زوجة الخليفة المهدي وام الهادي

والرشيد • لم ترغب ايريني التنازل عن العرش لابنها قسطنطين الذي بلغ سن الرشد (١٨ سنة) كما وان قسطنطين نفسه وقف موقفا يشابه موقف الهادي من امه حيث أراد أن يحد من سلطاتها وهيمنتها على الدولة • وقد اجبرت ايريني على اعلان ابنها امبراطورا بعد عصيان الجند عليها وفشلها في صد غارات المسلمين على الحدود • ولكن الامبراطوره الطموحة ذات الأطماع الواسعة انتهزت أول فرصة مواتية وقبضت على ابنها وسملت عينيه واعلنت نفسها امبراطورة مرة ثانية • ان عمل ايريني هذا مهد الطريق لزوال حكمها حيث بدأت سلسلة من المؤامرات حاكها رجال البلاط وقواد الجيش حتى استطاع نقفور (٨٠٢ ــ ٨١١) القضاء على نفوذها ونفيها سنة ٨٠٣ هـ[٢٣] •

ان أهم ما يميز عهد الخليفة المهدي بالنسبة لعلاقته بالروم هو تصاعد العمليات الحربية حيث لم تمر سنة الا وتكون هناك صائفة أو شاتية ، ولعل السبب في ذلك يعود الى عوامل منها :

١ ــ تأكيد الخليفة على الصبغة الدينية للخلافة وأهم ما يعمق هذه الصفة هو الجهاد في سبيل الله وارسال البعوث ضد الروم في محاولة لتوسيع رقعة الاسلام •

٢ ــ اظهار الخليفة لدوره كمهدي منتظر لهذه الامة وذلك ببعثه روح الجهاد وتذكير الناس بأنه هو المهدي الذي سيعيد للدولة سيرتها الاولى وينتصر على أهل الكفر •

٣ ــ ولا بد من الاشارة بأن عهد المهدي كان عهد استقرار وأمن نسبيين بعد أن وطد المنصور دعائم الدولة وقضى على الاخطار الرئيسية • ولقد أوصى المنصور ابنه المهدي الوصية التالية فيما يتعلق بالجهاد :

« وليكن أهم امورك اليك أن تحفظ أطرافك وتسد ثغورك •• وارغب الى الله في الجهاد والمحاماة عن دينك واهلاك عدوك بما فتح الله على المسلمين

ويسكن لهم في الدين • وابذل في ذلك مهجتك ونجدتك ومالك وتفقد جيوشك ليلك ونهارك واعرف مراكز خيلك ومواطن رحلك • وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك »[٣٤] •

وعلى هذا فلم يكن المهدي فقط على حد قول البلاذري[٣٥] « استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها » • بل انه أخذ زمام المبادرة في الحرب • وكانت أول حملة في سنة ١٥٩/٧٧٦ بقيادة العباس ابن محمد[٣٦] وعلى مقدمته الحسن الوصيف • وكان هدف الحملة على ما يظهر الرد على هجوم قام به ليو الرابع الذي ضرب سميساط وأخذ بعض الاسرى • وقد وصلت الحملة الى انقرة دون أن تحاصرها أو تحاول فتحها •

وقد اسكن المهدي في هذه السنة ـ حسب رواية البلاذري ـ ٢٠٠٠ جندي في حصن المصيصة كما وانه بدأ ببناء كفربايا •

وفي سنة ١٦٠/٧٧٦ ـ ٧٧٧ م وسنة ١٦١ هـ [٣٧] كان هناك صائفتان على التوالي على ان الروم شنوا هجوما مفاجئا بجيش كثيف قدر بحوالي ٨٠ر٠٠٠ مقاتل أو أكثر بقيادة القائد ميخائيل الذي استطاع أن يصل الى مرعش عن طريق درب الحدث وبعد أن حاصرها ولكنه لم يستطع فتحها • وحين تراجع الجيش البيزنطي تعقبه جيش اسلامي جاء لنجدة مرعش ولكن التصادم أسفر على دحر النجدة الاسلامية التي تراجعت تاركة الروم في طريقهم نحو الشمال ومعهم الكثير من اليعاقبة النصارى الذين تقرر تهجيرهم من أماكنهم على الحدود الاسلامية ـ الرومية •

ولما سمع المهدي نبأ الهجوم البيزنطي أرسل لتوه القائد الحسن بن قحطبة الطائي مع مقاتلة عراقيين وحجازيين • والظاهر ان حملة الحسن الطائي كانت انتقامية لما قام به ميخائيل حيث يقول البلاذري[٣٨] (وثقلت وطأته على أهلها) ولعل ما قام به لم يكن أكثر من التخريب دون أن يضم مناطق جديدة الى الدولة وكسب لنفسه لقب (التنين) •

وشهدت سنة ١٦٢/٧٧٨ ـ ٧٧٩ هـ عدة حملات اسلامية ضـد الروم فقد كانت الحملة الاولى بقيادة ثمامة بن الوليد الا انه عزل عن القيادة التي تولاها الحسن بن قحطبة • وقد سار الحسن بجيش قدر بحوالي ٨٠٫٠٠٠ من المقاتلة وتعمق في داخل أراضي الامبراطورية حتى عموريه الا انه لم يفتحها لحصانتها • وقد استطاع الجيش البيزنطي أن يقطع المؤونة عن جيش الحسن من الخلف مما اضطره على التراجع • لم تحقق حملة الحسن انتصارا حربيا الا انه أعاد بناء حسن طرسوس والحدث الذي أراد المهدي أن يغير اسمه الى المهدية أو المحمدية(٢٩) •

أما الحملة الثانية في هذه السنة فقد كانت بقيادة يزيد بن أسيد السلمي الذي قاد حملته الى قاليقالا (ثيودوسيبولز) مخربا بعض الحصون غانماً بعض الاسرى • على ان محاولاته لاحتلال بعض المدن البيزنطية بائت بالفشل فاضطر الى العودة •

والجدير بالذكر ان أهم حملتين خلال هـذه الفترة المبكرة من العصر العباسي يذكرهما المؤرخون بشيء من التفصيل والاعجاب وبروح مشوبة بالمبالغة هما حملتي سنة ١٦٣ هـ/٧٧٩ و ١٦٥ هـ/٧٨١ م • ورغم ان الحملتين كانتا في الواقع جريئتين وفيهما الكثير من الشجاعة والمغامرة حيث وصلت الجيوش العباسية للمرة الاولى والاخيرة الى اسوار القسطنطينية وحاصرتها ، فان من حق المؤرخ أن يتساءل عن أثر السياسة وتكتلات البلاط في القصص والمبالغات التي اثيرت حول هاتين الحملتين • خاصة اذا علمنا بان هارون بن المهدي كان قد عين أميرا للحملة وهو لا يزال في بداية شبابه يساعده في ذلك البرامكة والربيع بن يونس وقد استقبل هارون بمظاهر العظمة والتهليل بعد رجوعه من الحملة واعطى لقب (الرشيد) كما وعين وليا للعهد بعد أخيـه موسى الهادي •

ولقد ظل المهدي شهرين يجهز لحمله ١٦٣ هـ في معسكره في البردان

وأغدق العطايا على المقاتلة والصلاة على قواده واهل بيته • وكان مع هارون في هذه الحملة عدا الربيع وخالد البرمكي الحسن وسليمان ابناء برمك ويحيى ابن خالد البرمكي حيث كان هذا الاخير على أمر العسكر ونفقاته وكتابته • وتقول رواية اخرى (وكان أمر هارون كله الى يحيى) •

وقد رحل الخليفة مع الجيش الى الموصل بعد ان ترك ابنه موسى نائبا عنه في بغداد ثم استمر حتى وصل حلب ونزل هناك بقصر بطياس وقد اتـاه هناك خبر القضاء على ثورة المقنع الخراساني كما وانه قتل في حلب عددا من الزنادقة الذين ظهروا في دابق ثم عاد ادراجه الى بيت المقدس [٣٢] وفي نفس الوقت الذي سار فيه هارون يغزو داخل الاقاليم البيزنطية وقد استطاع الجيش العباسي ان يحتل سمالو بعد حصـار دام حوالي ٤٠ يوما حيث ضربت المجانيق وفرض عليها الحصار الاقتصادي وقد استسلمت على شروط هي الا يقتلوا ولا يفرق بينهم وقد وافق المسلمون على هذا الشروط • على ان اهل سمالو رحلوا الى بغداد ونزلوا في موضع قرب باب الشماسية سمي باسمهم • كما وان بعض من بقي في الحصن عومل كاسير وبيع على اسـاس كونه عبـداً •

وقد رجع الجيش المنتصر الى بغداد محملا بالغنائم والفيء واستغل انصار هارون هذا الانتصار فأثروا على المهدي الذي اعلن ولاية العهد الثانية لهارون واطلق عليه لقب الرشيد كما وولاه الاقاليم الغربية كلها اضافة الى اذربيجان وأرمينية رغم حداثة سنه الذي تؤكده الرواية التي تقول بان (موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح كانا يتضاحكان منه) •

وقد استطاع البيزنطيون في السنة التالية (١٦٤هـ/٧٨٠ ــ ٧٨١ م) ان يحققوا نجاحا جزئيا بان ردوا الجيش الاسلامي الذي كان يقوده عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب • وكان هذا القائد قد أمر جيشه بالانسحاب بعد ان رأى كثرة عدو الجيش البيزنطي (حوالي ٩٠ ألف) • وقد

غضب عليه الخليفة واراد ان يقتله ثم حبسه بعد ان توسط له عدد من رجال البلاط • والجدير بالذكر ان بعض المؤرخين البيزنطيين يدعون بان اشتباكا وقع بين الجيشين وان الغلبة فيه كانت للبيزنطيين في هذه السنة(٣٣) •

على ان اهم حملة في عهد المهدي بل واكبر حمله خلال الفترة الاولى من العصر العباسي الاول هي حملة ١٦٥ هـ / ٧٨١ ــ ٧٨٢ م • فقد أنفذ الخليفة ابنه هارون للمرة الثانية ومعه الربيع بن يونس ويحيى بن خالد ويزيد بن مزيد الشيباني (٣٤) •

وكان أول ما افتتحه حصن (ماجــدة) ثم التحم الجيش الاسلامي مع خيالة نقيطا قوس القمامة فبارزه يزيد الشيباني واندحرت خيالته مما مكن للجيش الاسلامي بالزحف على الدمستق وهو صاحب المسالح في نقمودية وهنا انفتح الطريق الى الشمال نحو القسطنطينية فاندفع هارون بجيشه شمالا يريد خليج البوسفور في الوقت الذي ظل فيه الربيع بن يونس ويحيى البرمكي مع جيشين آخرين يشاغلان بعض الكتائب البيزنطية ويدافعان عن مؤخرة جيش هارون ويؤمنان له وصول المؤونة ــ ولقد استطاع هارون أن يصل للمرة الاولى منذ عهد الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ/٧١٥ ــ ٩٩/٧١٧ م) الى سواحل مضيق البسفور •

والواقع فإن الامبراطورية البيزنطية كانت في مأزق شديد نتيجة أوضاع داخلية شاذة سببت عدم الاستقرار واوهنت القوة العسكرية للدولــة التي انشغلت بمشاكل عقائدية وحروب خارجية ما كان أغناها عنها ولعلنا نستطيع أن نجمل أسباب الوهن في الكيان البيزنطي في هذا الوقت بالذات الى :

١ ــ يقول الطبري بأن وقت حملة ١٦٥ هـ كان مناسباً جدا لأن الروم كانوا مشغولين بقمع ثورة داخلية في جزيرة صقلية •

٢ ــ كانت ايريني (اوغسطه) امبراطورة البيزنطيين في هــذه الفترة تواجه مصاعب داخلية كبيرة بعد أن قضت على مقاومة ابنها قسطنطين • ولعل

أهم ما يقال عن هذه الفترة ان الحكام شغلوا أنفسهم باتخاذ الوسائل المناسبة والرادعة للحفاظ على السلطة بأيديهم والقضاء على معارضيهم وبهذا أهملوا وسائل الدفاع عن الدولة ولم يعيروا أية أهمية الى تقويتها أو ازدهارها •

٣ ـ هذا اضافة الى ان النزاع العقائدي كان قد قسّم الشعب الى فئات وقد كان الامبراطور طرفا في هذا النزاع • والمعروف أن أيريني التي عانت من سياسة زوجها التعسفية تجاه حركة تقديس الصور والتماثيل واحترامها انتهجت سياسة جديدة معاكسة لسياسة الاباطرة الذين سبقوها حيث سمحت باظهار الصور والتماثيل الدينية والتقرب اليها وتقديسها •

٤ ـ ان الانقسام بين صفوف قادة الجيش وزعمائه أدى الى انحياز بعضهم الى صفوف المسلمين فقد انحاز تاتزيت الى هارون[٣٥] بسبب كرهه للرجال المحيطين بالامبراطورة وكان هذا القائد البيزنطي خير عون لهارون من الناحية العسكرية •

ان مما لا شك فيه هو مواجهة الجيش الاسلامي لكثير من الصعوبات نتيجة وعورة الطريق وتعقده خاصة فيما يتعلق بإيصال المؤن والامدادات وامكانية الوقوع في كمائن بسبب كثرة الجبال والمسالك الضيقة • ان الروايات التاريخية تتفق على ذكر وصول هارون الى البسفور ولكنها تختلف فيما حصل بعد ذلك والشيء الذي يلفت نظر المؤرخ لهذه الاحداث هو طلب ايريني الامبراطورة الصلح وارسالها السفراء الى هارون وقبول هارون الفوري لهذا الصلح بشروط وعليها (الوفاء بما أعطت له وأن تقدم له الادلاء والاسواق في طريقه وذلك انه دخل مدخلا صعبا مخوفا على المسلمين فأجابته الى ما سأل) وتدل هذه الرواية ان الجيش الاسلامي رغم وصوله الى القسطنطينية فقد كان في وضع حرج ، حيث أنهكته المسافة ووعورة المسالك وقلة المؤونة وكان لا بد من الصلح اذا اريد لهذا الجيش أن يعود سالما الى الديار الاسلامية ـ هذا ما تؤكده الروايات غير الاسلامية وكذلك رواية الطبري آنفة الذكر •

أما شروط الصلح بين هارون وايريني فكانت كما يلي :

أولا — ان تدفع ايريني اتاوة سنوية تقدر بين ٩٠ ألف — ٧٠ ألف دينار على دفعتين في نيسان وحزيران •

ثانيا — أن ترسل ايريني رسولا يمثلها شخصيا الى الخليفة المهدي في بغداد ومعه هدايا الذهب والفضة وغيرها من العروض كالملابس الحريرية •

ثالثا — ان تقدم ايريني الادلاء والغذاء الى المقاتلة المسلمين في طريق عودتهم الى بلادهم عبر الاناضول وأن تسهل طريق العودة بكل الوسائل الممكنة •

رابعا — أن تسلم ايريني جميع الاسرى المسلمين الموجودين لديها •

خامسا — مدة الصلح ثلاث سنوات •

وهناك من المؤرخين من يقول بأن كان على هارون وقواده أن يصبروا ويصابروا فربما أدى ذلك الى فتح القسطنطينية على أيديهم ولكن الوضع العسكري كما رأينا لم يكن تماما في صالح المسلمين ولم تكن تساند المسلمين قوة بحرية كما كان الحال في عهد الامويين خاصة وان رواية تاريخية لميشيل السرياني تؤكد بان الجيش الاسلامي كان قد وقع في كمين عند بعض الممرات الضيقة ولذلك أدرك قادته ان من الافضل الموافقة على الصلح • وعلى الرغم من ذلك فقد كانت غنائم المسلمين كبيرة • يقول الطبري :

كان عدد الاسرى ٥٦٤٣ وقد قتل منهم ٢٠٩٠
وغنم المسلمون ٢٠٫٠٠٠ دابة بادواتها
وذبح ١٠٫٠٠٠ رأس من البقر والغنم
وبيع البرذون بدرهم والبغل باقل من عشرة دراهم
والدرع بأقل من درهم وكل ٢٠ سيفا بدرهم •

وقد حصن هارون في طريق عودته المصيصة وجامعها كما وانه بنى حصنا جديدا قرب جسر أذنه على نهر سيحان •

والواقع إن ما حققه الجيش الاسلامي في هذه المعركة من نتائج طيبة كان الفضل فيها يعود بالدرجة الاولى الى القواد العرب من أمثال يزيد بن مزيد الشيباني الذي اشتهر بكفاءته وحذاقته في الحرب ويذكر في هذا الشأن انه أنقذ الرشيد من كمين بيزنطي كاد يودي بحياته وبأغلب الجيش الذي كان معه • تقول رواية في الاغاني (خرجنا مع الرشيد الى بلاد الروم •• وقد كاد يعطب لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد) (٣٦) والى ذلك يشير الشاعر سلم الخاسر :

ومدجج يغشى المضيق بسيفه ... حتى يكون بسيفه الافراج

وقال منصور النميري :

فظل على الصفصاف يوم تباشرت ... ضباع وذؤبان به ونسور

ومدحه مسلم بن الوليد (صريع الغواني) :

أثبت سوق بني الاسلام فأكأدت ... (يوم الخليج) وقد قامت على زلل

لولا دفاعك بأس الروم اذ بكرت ... عن عترة الدين لم تأمن من الشكل

أسلم يزيد فما في الدين من أود ... اذا سلمت وما في الملك من خلل (٣٧)

كما امتدح مروان بن ابي حفصة الامير هارون قائلاً :

اطفت بقسطنطينية الروم مسندا ... اليها القنا حتى اكتسى الذل سورها

ولقد كانت السنتان اللتان تليتا الصلح خاليتين من الغزوات (١٦٦ هـ/ ٧٨٢ م و ١٦٧هـ/٧٨٣ م) كما تؤكد ذلك أغلب مصادرنا التاريخية (٣٨) وهناك في بعض الروايات غير الموثوق بها ذكر لغزوات قام بها ثمامه بن الوليد والفضل بن صالح على ان أغلب الظن بان هذه الحملات لم تكن غزوات وانما تعزيزات عسكرية للمقاتلة في العواصم والثغور •

أما في سنة ١٨٦هـ/٧٨٤ـ٧٨٥ م (٣٩) فقد نقض البيزنطيين الصلح قبل

انتهاء مدته بأشهر قلائل (استمر الصلح حوالي ٣٢ شهرا) ولذلك أمر المهدي عامله على الجزيرة وقنسرين علي بن سليمان بان يغزو الروم وقد أرسل هذا بدوره القائد يزيد بن بدر البطال الذي استطاع ان يدحر الروم. على اننا لا نلاحظ ذكرا لهذه الحرب في المصادر غير الاسلامية مما يدل على ان معاهدة الصلح استمرت نافذة المفعول .

وتؤكد المصادر التاريخية ان الروم أقبلت مع البطريق الى الحدث التي كانت قد عمرت وأعيد تحصينها من قبل المسلمين ولكن الشتاء القاسي والامطار الغزيرة صدعت البناء وعلى هذا هرب القائد المسلم عنها مع جنده وأهل الاسواق فدخلها الروم وخربوها للمرة الثانية وقد حدث هذا سنة ١٦٩هـ/ ٨٧٥ م وقد ارسل الخليفة الهادي الذي استلم لتوه زمام السلطة جيشا بقيادة معيوف بن يحيى الذي بلغ مدينة اشنه وغنم فيها وسبى أهلها وظهر من رواية أخرى للبلاذري ان الهادي أرسل حملة أخرى بقيادة المسيب ابن زهير وروح بن حاتم وحمزة بن مالك ولكن الخليفة مات قبل أن تبلغ هدفها[٤٠] .

النزاع حول السيادة على البحر المتوسط بين المسلمين والروم :

تعتبر معركة ذات الصواري ٣٤هـ/ ٦٥٥ م من المعارك المهمة في تاريخ البحرية الاسلامية حيث انتصر فيها المسلمون على البيزنطيين . وأكد هذا الانتصار قوة العرب البحرية الذي يعود الفضل فيها الى عبد الله بن سعد ومعاوية بن أبي سفيان . وكان هناك حملات بحرية منتظمة على عهد الامويين الذين استطاعوا أن يهددوا القسطنطينية ثلاث مرات ويبسطوا نفوذهم على جزر رودس وقبرص ويهاجمون صقلية وامتد نفوذهم حتى وصل جزر بحر مرمرة أحيانا .

على ان الحرب البحرية في عهد الامويين كانت سجالا ولذلك لم يستطع المسلمون تثبيت نفوذهم على جزر البحر المتوسط ولقد كان عصر الامويين

عصر بداية تعريف العرب بالبحر ولذلك انصرفت الجهود الى تحصين الثغور البحرية وبناء السفن وتدريب العدد الكافي من المقاتلة البحريين • وكان المنتظر من الدولة العباسية أن تبدأ الخطوة التالية وهي خطوة السيطرة على جزر البحر وشواطئه واستخدام الموانىء البحرية كطرق للتجارة ولربط الاجزاء البعيدة من الدولة الاسلامية كالاندلس والمغرب بالمشرق على ان شيئا من هذا لم يتم ذلك لان وجهه العباسيين كانت شرقية وقد فقدوا تدريجياً كـل صلة بالاقالية الغربية •

يقول المؤرخ المصري ساويروس أن مروان الثاني آخر الخلفاء الامويين هرب الى مصر بعد اندحاره في معركة الزاب وهناك أرسل حامية من جنده الى الوجه البحري وأمرهم بحرق كل السفن البحرية •• ويستمر المؤرخ نفسه فيقول بأن الخليفة العباسي المنصور أمر الكثير من رجال الدين غير المسلمين بأن يعملوا في أحواض بناء السفن في مصر مقابل اعفائهم من الجزية ولعل هذا الخبر ان دل على شيء فانما يدل على اهتمام المنصور بالبحرية ولكن كثرة المشاكل في الاطراف الشرقية ربما غيرت من وجهة نظر المنصور وأجبرته على الاهتمام بالمشرق أكثر من المغرب(٤١) •

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد انشغلت دولة الفرنجة كذلك بمشاكل داخلية حولت اهتمامها الى الداخل عوضا عن البحر المتوسط مما مهد الطريق للامبراطورية البيزنطية بان تبقى سيدة الموقف في البحر المتوسط لاكثر من نصف قرن تقريبا حين بدأت دولة الاغالبة والدولة الاموية في الاندلس تنازعها السيادة البحرية منذ بداية القرن التاسع الميلادي (٨٠٠ م) •

ومهما يكن من أمر فان التاريخ يسجل للعباسيين الاوائل عنايتهم بتحصين الموانىء الشامية والمصرية ولكنهم نظروا اليها لا كقواعد هجومية بل كحدود لدولتهم ينبغي حمايتها والدفاع عنها • وتسجل الروايـات بعض الغزوات البحرية العباسية ، ففي سنة ١٥٦هـ / ٧٧٣ م أغار الاسطول الاسلامي على

قبرص وأسر حاكمها حيث كان الروم منشغلين بحروب مع البلغار في أوربا • وفي عهد المنصور كذلك قاد ثمامة بن وقاص حملة بحرية سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م على شواطيء آسيا الصغرى الغربية ولكن السفن البحرية البيزنطية استطاعت قطع الاتصال بين الجيش الاسلامي البري وبين أسطوله ولكن تعاون الجيش والبحرية الاسلامية مكن لثمامة ان ينجو من الحصار وينسحب الى داخل حدود الدولة العباسية البحرية •

وفي عهد المهدي قام الغمر بن العباس الخثعمي بغزو بحر الشام في سنتين متتاليتين سنة ١٦٠هـ و ١٦١ هـ (٤٢) •

وهكذا نرى بانه لم يكن للاسطول العباسي باع طويل في البحر المتوسط وقد شجع ضعفه الاسطول البيزنطي على مهاجمة الموانيء الاسلامية في الشام ومصر • وكذلك هاجم الكرك جده في البحر المتوسط• كما وانه حفز الامويين في الاندلس على مهاجمة مصر كما حدث سنة ٨٢٥ م / ٢٠٩ هـ •

من كل ذلك نستنتج النقاط التالية في العلاقات العباسية البيزنطية :

لقد استمرت الحرب العباسية ــ البيزنطية بين المد والجزر على انها بصفة عامة كانت غزوات للتخريب والسلب والسبي ولارهاب العدو • ولا يمكن أن نسميها فتوحات لانها لم تكن تهدف أو لم تستطع أن توسع حدود الدولة الاسلامية • أما الاسطول العباسي فلم يكن ذا أثر وكل ما استطاع عمله هو مراقبة الاسطول البيزنطي والاغارة المفاجئة على شواطئه هذا مع العلم بان هذه الغارات كانت نادرة خلال هذه الفترة موضوعة البحث •

ورغم استمرار حالة الحرب على ما كانت عليه في السابق على الحدود الاسلامية البيزنطية الا ان الايام (المجيدة) للفتوحات الاسلامية كانت قد ذهبت الى غير رجعة فلم يكن المقاتلة المسلمون يعودون محملين بالغنائم والفيء والسبي وهذا ما دعا الجاحظ الناقد الاجتماعي والمؤرخ والاديب الى تصوير المقاتلة وكأنهم قد انقلبوا الى شحاذين وفقراء قدموا من الثغور

الاسلامية (المصيصة) الى المدن الداخلية يتجولون في شوارعها ويتكلمون عن بطولاتهم وبطولات اخوانهم في سالف الازمان فيترحم عليهم الناس ويساعدونهم بالمال والزاد[٤٣] •

ويظهر انه كان من مصلحة الدولتين الاسلامية والبيزنطية استمرار هذه الحرب لاثرها العملي والسياسي اضافة الى دوافعها الدينية • وبمعنى آخر ان الجهاد لم يكن الحافز الوحيد للحرب بل هناك دوافع أخرى منها اظهار قوة الدولة او لرفع شأن أحد الامراء أو أبناء الخليفة من أجل تعيينه وليا للعهد مثلا كما فعل المهدي مع هارون • ثم ان أعداء الدولة اعتادوا اتخاذ أراضي العدو ملجأ لهم يحتمون فيه بعد ان يفلتون من يد السلطة • فقد هرب الثائر المسيحي بندار[٤٤] من لبنان بعد فشل ثورته الى داخل الحدود البيزنطية ، كما حاول نصر بن شبث وكذلك بابك الخرمي الاتصال بالبيزنطيين وكان الارمن وسكان الجزيرة يدخلون حدود البيزنطيين كلما ساءت علاقتهم بالوالي العباسي • وهذا ما دفع والي الجزيرة في عهد أبي العباس والمنصور أن يأمر كل المسلمين في الاقليم بلبس السواد ليميز بينهم وبين غيرهم من سكان الاقليم •

وأكثر من ذلك فان المقاتلة في منطقة الثغور دخلت الاراضي البيزنطية معلنة العصيان على أوامر الخليفة المنصور الذي أراد أن يسحب بعضها لقتال محمد النفس الزكية الثائر في الحجاز • فان صحت هذه الرواية[٤٥] فانها تعكس مدى أهمية منطقة الثغور الشامية والجزيرة وضرورة سيطرة السلطة المركزية عليها ولذلك فقد كان أمراء الصوائف ينتخبون على الاكثر من البيت العباسي أو من القادة المشهورين • حتى ان بعض نساء البيت العباسي اشتركن في الجهاد •

ولقد بذل العباسيون الاوائل جهوداً لا بأس بها لا من أجل تحصين المنطقة ليسهل الدفاع عنها بل من أجل اعمارها بشرياً واقتصاديا ليسهل العيش فيها

ولتوفر المؤن للقاتلة الذين يرابطون أو يمرون من هناك أثناء غزواتهم • وقد حاول المنصور بصورة خاصة زيادة عدد الرعاة الذين يربون الجاموس مثل الزط والسيابجة في هذه المناطق لكي يخلق نوعاً من الحياة الريفية حول الحصون والمدن الثغرية الاسلامية(٤٦) •

الحروب في ترانسكسونيا :

ولقد كانت جهود العباسيين في بلاد ما وراء النهر وتركستان أكثر نجاحا مما استطاعوا تحقيقه في بلاد الروم • فقد واجه أبو مسلم الخراساني أول والي عباسي على خراسان مقاومة شديدة من بعض مدن أو أمراء بلاد ما وراء النهر ويظهر ان هذه المدن كانت موالية للامويين وراضية عن سياسة نصر بن سيار آخر ولاة الامويين على خراسان ولذلك لم تنضم في حينه للثورة العباسية •

وكان على أبي مسلم من اجل ان يبسط نفوذه على هذه الاقاليم ويأمن خطرهم على خراسان كان عليه ان يستخدم القوة فأرسل جيشا بقيادة خالد ابن ابراهيم الذهلي وزياد بن صالح الخزاعي الذي استطاع أن يخضع شرق خراسان ويتوغل في الاراضي عبر نهر جيحون • وكان من أهم نتائج هذه الحملة ان اشتبك العباسيون في معارك مع الامارات الصغيرة هناك مثل فرغانة والشاس •

وحدث في هذه الفترة ان تدخلت الصين في شؤون امارة الشاس التي قتل أميرها بعد أن قاوم تدخل الصين فاستنجد ابنه بالعباسيين سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١ م فأنجده زياد الخزاعي بجيش اشتبك مع القوات الصينية في معركة شهيرة تدعى (كاوهسين شي)(٤٧) وكانت هذه المعركة فاصلة سقط فيها ٥٠ ألف قتيل من الصين وأسر حوالي ٢٠ ألف اما نتائجها فكانت بعيدة المدى منها :

١ — انها قررت على حد قول المستشرق بارتولد(٤٨) ان تسود الحضارة

العربية بدل الحضارة الصينية في بلاد ما وراء النهر • ولا يزال أثر هذه الحضارة واضحاً في كثير من مدن هذه المنطقة •

٢ — لم تستطع الصين ان تحقق هدفها الاقتصادي بالاستيلاء على طريق القوافل التجارية بين أوربا والشرق الاقصى •

٣ — انقطع التعاون العسكري والسياسي لمدة ليست بالقصيرة بين الصين وأمراء الاتراك الشرقيين وبابعاد الصين عن ساحة المعركة أصبح من المحتم على الامراء الاتراك أن يواجهوا العباسيين لوحدهم فتفرقت كلمتهم حيث انحاز قسم منهم للعرب مقتنعا بان ليس هناك من جدوى للقتال اما القسم الآخر فلم يعد خطره جسيما بل اقتصر على الغارات الخاطفة أو التحريض على الثورة أو ايواء الثوار كما حدث للمقنع الخراساني وللحارث بن سريج المرجيء قبله • وقد استطاع العباسيون على عهد المنصور من اخضاع امير فرغانة الذي دفع الجزية كما خضع اخشيد الصغير وامير اسروشنة وأمراء القرلق والاوغوز في عهد المهدي(٤٩) •

ويظهر بان انتصارات المهدي في سنة ١٦٥ هـ على الروم هي التي زادت من شهرته حيث يشير اليعقوبي الى تقديم ملوك كابل وطبرستان والصغد وطخارستان الطاعة والولاء له (٥٠) •

ورغم اشارة الروايات الاسلامية الى عمق التغلغل العباسي في ترانسكسونيا فاننا نعتقد بان هناك نوعا من المبالغة وذلك لان اقليم خراسان نفسه لم يكن اقليما مستقرا في هذه الفترة المبكرة من حياة الدولة العباسية حيث كثرت فيه الاضطرابات وتعاقب على ولايته ولاة متعددون على ان هؤلاء الولاة لم يدخروا وسعا في الجهاد(٥١) حينما كانوا يروا الفرصة مناسبة وخراسان هادئة •

حملة بحرية على الهند :

أرسل الخليفة المنصور في عهده هشام بن عمر التغلبي(٥٢) واليا على

السند وقد جهز هذا حملة بحرية على تارند والقندهار بقيادة عمر بن جميل على ان هذه الحملة والحملات التي وقعت قبلها لم يكن لها نتائج ملموسة فلما جاء المهدي الى الخلافة ارسل محرز بن ابراهيم الى البصرة ليشرف على اعداد حملة بحرية جديدة الى الهند • وكانت البصرة قاعدة الحملات البرية الى الشرق كما وانها المنفذ الطبيعي للحملات البحرية الى جهات جنوبي شرقي آسيا •

ولعل الذي دفع المهدي على تنظيم هذه الغزوة اعتقاده بالدور الذي ابتدعه له ابوه المنصور الا وهو دور (المهدي) الذي سيعيد العدل ويرفع اسم الاسلام وينشره على بقاع جديدة بالجهاد • ويظهر ان المهدي من جهة ثانية أراد ان يشغل مقاتلة البصرة وقبائلها المشهورة بقابلياتها على اثارة القلاقل، أراد أن يشغلهم بالحرب وما تدره من غنائم •

وكان عدد رجال الحملة حوالي ١٠٫٠٠٠ مقاتل منهم ٢٠٠٠ من البصرة بقيادة غسان بن عبد الله و ١٫٥٠٠ من المتطوعة بقيادة المنذر الجارودي وكتيبة سورية بقيادة يزيد بن الحباب المذحجي و ٤٫٠٠٠ من الاسواريين والسيابجة وهم في الاصل من الهند وجنوبي شرقي آسيا سكنوا البصرة قبل الفتح الاسلامي • وقد وصلت الحملة سواحل الهند سنة ١٦٠ ﻫ وهاجمت مدينة باربد وبعد حصار فتحت المدينة والتجأ أهلها الى معابدهم (البد) يستغيثون باصنامهم ولكن المسلمين اشعلوا النيران في هذه المعابد فقتل عدد من الملتجئين وخرج الآخرون يقاتلون فيقتلون وقد أسر المسلمون بعضا منهم •

على ان المسلمين لم يستطيعوا العودة مباشرة نظرا لشدة الرياح الموسمية وقد أدى بقاءهم الى انتشار الاوبئة بينهم فمات من المسلمين بسبب الوباء ألف مقاتل • وما ان هدأ البحر حتى أبحر ماتبقى من المسلمين قاصدين البصرة وحين وصلوا الخليج العربي هبت عليهم رياح شديدة ليلا فغرق أغلبهم ولم يبق الا القليل منهم وصل البصرة • وهكذا انقلبت هذه الغزوة الموفقة الى كارثة غير متوقعة •

ولعل الظاهرة التي تثير الانتباه هنا هو استخدام الخليفة المهدي لاهل الشام في الحروب ويعتبر هذا تبدلا جزئيا عن سياسة أسلافه الذين كانوا يشكون بولاء الجند السوري وميوله الاموية ولذلك فقد سرح ابو العباس الجند السوري حين وصوله واسط سنة ١٣٢ هـ ، وامرهم بالرجوع الى بلادهم • ولكن المنصور استغله في الجهاد ضد البيزنطيين وزاد المهدي من استخدامه لهم •

الحرب في ارمينية وبلاد الخزر :

لقد كانت الطبيعة الوعرة لاقليم ارمينية وضيق الممرات البرية وقلة المؤونة سببا في ضعف السيطرة الاسلامية عليها • ولذلك كان الولاة يترددون في قبول هذا الاقليم • فيروى الازدي في تاريخ الموصل(٥٤) : ان الخليفة أبا العباس قلد الموصل رجلا يقال له : محمد بن صول مولى الخثعم وقلد ارمينية رجلا من الازد من آل المهلب فوافيا الموصل جميعا ، فلم يقبل أهل الموصل ولاية ابن صول وقالوا : ما نرضى أن يكون أميرنا مولى الخثعم ومنعوه من الدخول الى الموصل ، وقالوا للمهلبي : نحن نرضى بك واليا علينا واجتذبوه الى الولاية فأجابهم الى ذلك وكتبوا الى أمير المؤمنين يسألونه أن يوليهم المهلبي ويصرف عنهم ابن صول •• فكتب أبو العباس الى ابن صول : أن أقم بمكانك الى أن يأتيك أمري وكتب الى المهلبي ان خلف أصحابك وثقلك بالموصل وانحدر فانحدر المهلبي وخلف رجاله ، وأنفذ أبو العباس قائدا من قواده في جماعة الى المهلبي وثقبوا الزورق وغرقوه وكاتبه ، وكان من أقوى ولاة ارمينية في عهد ابي العباس اخاه أبا جعفر الذي تولى الجزيرة وارمينية واذربيجان(٥٥) • فجعل مركزه في الجزيرة وارسل يزيد بن أسيد السلمي على ارمينية ويزيد بن حاتم المهلبي على أذربيجان(٥٦) وكان يزيد المهلبي أول من أسكن قبائل عربية من الازد وطي وغيرهم من اليمانية في أذربيجان في حصون مختلفة(٥٧) •

كما وان العباسيين اضطروا لحماية طريق المواصلات بين المركز وارمينية ان يضعوا حامية عسكرية في سيسر(٥٨) •

وعلى ولاية يزيد السلمي الذي استقر في بردعة اضطربت ارمينية فكتب الى المنصور بذلك فأجابه الخليفة (ان بلاد ارمينية لا تستقيم ولا تصلح الا بمصاهرة الخزر والرأي عندي ان تصاهر القوم حتى تستقيم البلاد والا فاني خايف عليك وعلى جميع عمالك من الخزر فانهم اذا أرادوا واجتمعوا غابوا فانظر ولا تخالف أمري واجتهد في مصاهرة الخزر والسلام)[٥٩] •

وقد تزوج يزيد بأبنة ملك الخزر (خاقان) وكان صداقها ١٠٠ ألف درهم ولكنها ماتت عند يزيد بعد حوالي ثلاثة سنوات • وبهذا لم تنفع المصاهرة هذه حيث ثار الخزر ولم يكن عند يزيد السلمي أكثر من ٧ آلاف مقاتل من الخيالة ، فاستنجد بالمنصور الذي اهتم بالامر كثيرا حيث أكد على وجوب حماية النفوذ الاسلامي هناك والدفاع عن (الثغر الاعظم) وهي الصفة التي أطلقها الخليفة على حدود المسلمين مع الخزر •

وكانت التعزيزات الجديدة التي وصلت الى يزيد السلمي مكونة من : أكثر من ١٠٫٠٠٠ مقاتل من أهل الشام اما جند العراق فكان يتكون من ١٠٫٠٠٠ بقيادة جبريل بن يحيى و ٥٫٠٠٠ مع حرب بن عبد الله الراوندي و ١٠٫٠٠٠ مع مخلد بن الحسن و ١٠٫٠٠٠ مع حميد الطائي وسار يزيد بن مزيد الشيباني في ٢٠ ألف من اهل الجزيرة والشام • وقد واجه الجيش الاسلامي اعدادا هائلة من الخزر قدر عددهم بحوالي ١٠٠٠٫٠٠٠ مقاتل وحدثت المعركة في أرض الشروان • وانهزم المسلمون الى بردعة ، حيث قتل عدد كبير منهم كما قتل حرب الراوندي في هذه المعركة التي حدثت في سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ — ٧٦٣ م[٦٠] •

وكانت اجراءات المنصور فورية حيث أوجد نظام الاجناد ورتب فيه المقاتلة من اهل النجدة من الشام والجزيرة والعراق • ونزلت هذه الفرق في (باب الابواب) وكمخ وبنيت حصون جديدة واستقرت المقاتلة واجريت عليها الأرزاق التي كانت بني أمية تجريها عليهم من قبل[٦١] •

وفي ولاية الحسن بن قحطبة الطائي على ارمينية الذي جاء ومعه ٥٠ ألف مقاتل من أهل خراسان والشام والعراق ثارت (الصنارية)[٦٢] وهم صنف من سكان البلاد الذين لم يسلموا فاستنجد الحسن الطائي بالمنصور الذي أرسل اليه ٣٠ ألفا مع عامر بن اسماعيل الجرجاني الخراساني وعيسى بن موسى الخراساني والفضل بن دينار ومقاتل بن صالح فقاتلوهم وانتصروا عليهم وكان ذلك سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ ـ ٧٦٦ م •

وقد استقر الحسن الطائي في بردعة وعين أولاده الثلاثة قحطبة وابراهيم ومحمد ولاة على مناطق مختلفة من ارمينية ولكن السياسة المالية التعسفية التي اتبعها محمد أدت الى ثورة جديدة في ارمينية بقيادة (البطريرك موشابذ) وقد وجد الجيش الاسلامي الجديد الذي قدم من العراق لقمع الثورة اسلحة مدخرة في الكنائس ولعل وجود الاسلحة في الاماكن المقدسة المسيحية اعتبر مبررا لمقاتلة المسلمين لكي ينهبوا ما في الكنائس من اموال وتحف ويقتلوا موشابذ و ٣ آلاف من اتباعه[٦٣] •

وقد استمر المنصور في سياسته فارسل مجموعات قبلية جديدة واسكنها في ارمينية وكان هدفه دون شك احكام السيطرة العربية على هذا الاقليم لضمه الى اطار الدولة الاسلامية • وكان الخليفة يخشى من مساعدة الامبراطورية البيزنطية للثوار الارمن ولكن ذلك لم يحدث الا نادرا • بل على العكس فقد ساعد الارمن الجيش الاسلامي بتعريفه اماكن تحشد الروم ولهذا السبب ينعتهم المؤرخ داينوسس التلمحري[٦٤] بالخداع وعدم الامانة والمكر • على ان كره داينوسس التلمحري لهم قد يكون متأتيا من اختلافه واياهم في المذهب • والمعروف ان الخزر انفسهم كونوا جزءا من الجيش الاسلامي في حربه مع البيزنطيين سنة ١٥١ هـ/٧٦٨ م • ولم تهدأ ارمينية في عهد المنصور الذي اهتم بها الى درجة انه ولى مولاه واضحا عليها وبقي واضح أميرا عليها وعلى اذربيجان حتى وفاة المنصور •

لقد استمرت سياسة الشدة تجاه ارمينية في عهد الخليفة الهادي [٦٥]

حيث استعمل واليه عليها سياسة تعسفية شملت أمراء ارمينية حيث قتل اثنان منهم بأمر من الخليفة على حد قول المؤرخ شيفوند • على اننا لانجد أي رواية في مصادرنا الاخرى وخاصة الاسلامية لتؤكد هذا الخبر •

العلاقة بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة :

تذكر بعض الروايات غير الاسلامية حدوث تقارب دبلوماسي بين الخلفاء العباسيين وملوك الفرنجة الميروفنجيين وقد فسر بعض المؤرخين المحدثين هذا التقارب وبينوا ان له أهدافا سياسية ملخصها ان الدولة العباسية أرادت ان تتعاون مع الفرنجة ضد عدوهم المشترك في الغرب وهو الدولة الاموية في الاندلس في الوقت الذي تتعاون الدولتان ضد عدوهم المشترك في الشرق كذلك ألا وهو الامبراطورية البيزنطية •

على اننا لم نجد في مصادرنا العربية أي ذكر لعلاقة سياسة ـ عسكرية بين المنصور وبين القصير ولا بين المهدي وشارل مارتل ولا بين الرشيد وشارلمان (٦٦) وربما كان هناك علاقات يمكن تسميتها بالودية لعب فيها بعض التجار دورا رئيسيا بنقل الهدايا من هذه الدولة الى تلك وبالعكس • وحتى يتم اكتشاف مصادر جديدة موثوق بها تاريخياً تحتوي معلومات جديدة عن ماهية تلك الصلات الدبلوماسية فاننا نقول بان ما ذكر عن هذه الصلات هو محض خيال •

محاولة استعادة الاندلس الى السيطرة العباسية :

لقد استفحل الصراع القبلي بين المضرية واليمانية في افريقيا في أواخر عهد الامويين واثر ذلك على الاندلس أيضا وحين جاء العباسيون الى الحكم كان يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري واليا على الاندلس • اما والي افريقيا فكان ابوه عبد الرحمن الفهري(٦٧) •

وحيث تشدد العباسيون في أوائل عهدهم بطلب الامويين وقتلوا منهم

بضعة عشرات في مجزرة نهر ابن فطرس افلت عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك من السلطة العباسية مع مولاه بدرا وعبر الى مصر فبرقة وحينما وصل افريقيا وسمع به عبد الرحمن الفهري طلبه ليتقرب به الى العباسيين وليحسن علاقته معهم • على ان عبد الرحمن الاموي هرب الى قبيلة زناته البربرية ثم انتقل منها الى أخواله في نفزاوه حيث آووه • وفي سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥ ــ ٧٥٦ م استطاع عبد الرحمن الاموي أن يعبر الى الاندلس بمساعدة اليمانية وابتدأ نفوذه السياسي يقوي تدريجيا حتى انتهى بتشكيل الدولـة الاموية في الاندلس الا انه ظل يعترف بالخلافة العباسية في بغداد ولم يجرأ باديء ذي بدأ أن يدعي الخلافة •

وكانت سلطة عبد الرحمن الاموي الجديدة مصدر قلق للعباسيين لسببين:

الاول ــ يعتبر الامير عبد الرحمن ثائرا على الدولة في احدى اقاليمها النـائية •

الثاني ــ لقد كان هذا الامير أمويا وهذه الصفة تضاعف من خطره باعتباره مثلا للدولة الاموية الزائلة ورمزا للعناصر الموالية لتلك الدولة التي لم تكن قد فقدت الامل بعد من امكانية اعادة مجدها الغابر • ومما يؤكد ذلك رواج أحاديث وملاحم في بلاد الشام تنبأ بأن خلاص سوريا من العباسيين سيكون على أيدي الامويين الذين سيبحرون من الاندلس وبيدهم الاعـلام الصفراء(٦٨) •

وكان لابد للمنصور العباسي أن يقضي على عبد الرحمن الاموي الذي لقب (بصقر قريش) من قبل المنصور نفسه لانه على حد قوله (عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته(٦٩) •

وقد أمر الخليفة العلاء بن مغيث اليحصبي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣ م لشن هجوم على الاندلس • وقد عبر اليحصبي بالسفن واحتل باجة • وقد وجد بعض

الموالين هناك ورفع الرايات السوداء شعار العباسيين ولكن الامير عبدالرحمن الاموي دحر جيش العلاء اليحصبي في (معركة اشبيلية) وقد ارسلت الكثير من رؤوس القتلى من جند العباسيين الى القيروان والى مكة حيث كان الخليفة يحج في تلك السنة . وهكذا فشلت المحاولة الاولى لاستعادة الاندلس[٧٠] .

أما المحاولة الثانية فكانت في سنة ١٦١هـ/٧٧٧ – ٨٧٨ م في عهد الخليفة المهدي[٧١] حيث هجم عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلبي (الذي لقب بذلك نظرا لطوله وشقرته وزرقة عينيه) مع جيشه البربري على الاندلس ونزل في تدمير . وعند ذلك اتصل بسليمان بن يقظان الاعرابي والي برشلونة والمعروف بحبه للفتن والاضطرابات ولكن سليمان الاعرابي رفض بعد تردد مساعدة عبد الرحمن الصقلبي مما أدى الى اشتباك الاثنين بمعركة انتهت بانتصار سليمان الاعرابي وانسحاب الصقلبي الى الساحل الجنوبي وهنا تحرك الامير عبد الرحمن الاموي نحو جيش الصقلبي المنهك الذي تحصن في فالنسيا وأثناء الحصار استطاع أحد البرابرة واسمه (مسكار) من قتل الصقلبي بعد أن كسب ثقته مقابل ١٠٠٠ دينار يقبضها من عبد الرحمن الاموي .

وفي سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩ – ٧٨٠ م خطط عبد الرحمن الاموي للانتقام من العباسيين وبينما كان يعد العدة لغزو بحري لبلاد الشام معقل الامويين حيث ينتشر (الرتل الخامس) الموالي لعبد الرحمن الاموي حدثت ثورة في برشلونة وسركوزة بقيادة سليما نالانصاري منعته من تنفيذ مشروعه .

ولم ينته النزاع بين عبد الرحمن الاموي والمهدي عند هذا الحد بل تعداه الى تبادل الرسائل يتهم كل منهما الآخر ويبرر موقفه . ولقد استعان المهدي بهشام الكلبي المؤرخ والنسابة والذي كتب رسالة باسم المهدي مشيرا الى مساويء الامويين وأعمالهم القبيحة . وعلى هذا فنحن لا نتفق مع البروفسور المستشرق موسكاتي[٧٢] حيث يعزو حملة ١٦٣ هـ الى قرار

اتخذه الصقلبي دون مشورة المهدي • ذلك لان النزاع بين الفهري وعبد الرحمن الاموي له جذور تعود الى زمن مجيء عبد الرحمن الاموي الى افريقيا والتجائه الى أخواله هناك •

وهكذا لم يفلح العباسيون الاوائل في استعادة الاندلس بل ان قبضتهم على افريقيا بدأت تضعف تدريجيا حينما سيطر الاغالبة على تونس في عهد الرشيد •

*
**

حواشي الفصل السابع

١ ــ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ١٠٥ .

٢ ــ Vasiliev, **Histoire del, Emp. Byz.** , Vel. 1, P. 229

٣ ــ Vasiliev, **OP. Cit**, P. 302 - Runciman, **Byzautine Civilezation**, P. 112 f.

٤ ــ انظـر : Vasiliev, **OP. Cit**, PP. 298 - 9. . ــ كذلك فتحي عثمـان ، **الحدود الاسلامية** . . جـ ١ ص ٩٣ .

٥ ــ راجع : ابراهيم العدوي ــ **الدولة الاسلامية وامبراطوريـة الروم** ص ٨٨ فما بعد . ــ فتحي عثمان ، **الحدود الاسلامية البزنطية** ص ١٣٢ فمابعد.

٦ ــ قدامه ــ **نبذة من كتاب الخراج** (انظر كتاب ابن خرداذبة) ص ٢٥٣ .

٧ ــ فتحي عثمان ــ **المصدر السابق** ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، جـ ١ ، ص ١٢ ــ ١٣، ص ٢٩٠ ، جـ ٣ ص ٣٢٨ .

٨ ــ ابن كثير ، **التفسير** ، جـ ١ ، ص ٤٤٤ فما بعد .

٩ ــ Ibid

١٠ــ لما كان بحثنا هنا يقتصر على التاريخ السياسي ولذلك فاننا سنركز على المواجهة الحربية . أما الاتصال الحضاري وما أنتجه من آثار ادارية وتجارية وثقافية فلها مناسبة أخرى انشاء الله .

١١ــ البلاذري ــ **فتوح** ، ص ١٩٠ . ــ اليعقوبي ــ **تاريخ** ، جـ ٣ ، ص ٩٩ . ــ ــ المنظر كذلك Cambridge Medieaval Hist. Vol IV, PP. 121 ff.

١٢ــ البلاذري ــ **فتوح** ، ص ١٦٨ . ــ طبعة اخـرى جـ ١ ، ص ٢٣٦ . اليعقوبي ، **تـاريخ** II ، ٤٣٥ .

١٣ــ الطبري ، **تاريخ الرسل** ، جـ ٣ ص ٩١ ليدن . ــ الازدي ، **تاريخ الموصل** ص ١٥٩ .

١٤ــ دانيوسس ، **تــاريخ** ، ص ٦٢ فما بعد . ــ البلاذري ، **فتوح** ، ص ١٩٠ .

١٥ــ البلاذري ، ص ١٩٥ فما **بعد** .

١٦ــ البلاذري ، طبعة ثانية جـ ١ ، ص ٢٣٦ . ــ الطبري ، III ، ١٢٥ .

١٧ــ اليعقوبي ، **تاريخ** ، الطبعة اوربية ، II ، ص ٤٧٠ .

١٨ــ انظر : الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ص ١١٣ . ــ البلاذري جـ ١ ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٥ ، اليعقوبي ، II ، ص ٤٦٦ . ــ الطبري ، III ، ص١٣٥ ــ قدامه ، الخراج ، ص ٢٥٤ .

١٩ــ الطبري ــ الطبعة المصرية جـ ٩ ، ص ١٧١ . ــ البلاذري، ص١٩٥ فمابعد.

٢٠ــ Vasiliev, **OP. Cit,** 339 ff. Bury, **Hist. of the Eastern Empire,** PP. 343, 348.

٢١ــ ان مما يدل على اهتمام العباسيين بالجبهة الشرقية واقليم ايران اكثر من الحرب مع البيزنطيين هي أبيات السيد الحمدي التي انشدها أمام المنصور حيث لا يذكر فيها الا أقاليم شرقية (الاغاني جـ ٧ ص ١٦) :

أعطــاكم الله ملكا لا زوال لــــه	حتى يقاد اليكم **صاحب الصين**
وصاحب الهنــد مأخوذا برمته	**وصاحب الترك محبوسا على** وهن

٢٢ــ الطبري ، الطبعة المصرية ، جـ ٩ ص ٢٨٤ . ــ ابن الاثير ، جـ٥ ص٢٤٦

٢٣ــ Bury, **op. cit** , PP. 285 ff.
J. M. Hussey, **The Byzantine World,** PP. 28 - 30

٢٤ــ أليعقوبي ، الطبعة المصرية ، جـ ٣ ص ١٢٦ ــ ١٢٧ . ــ **الطبري ١ جـ ٩** ص ٣٢١ . ــ ابن الاثير **الــكامل** ، جـ ، ص ٧ .

٢٥ــ البلاذري ، ص ١٨ .

٢٦ــ البلاذري ، ص ١٦٦ . ــ الطبري III ، ص ٤٥٩ . ــ اليعقوبي II ٤٨٦ . ــ ابن الاثير جـ ٦ ، ص ٢٧ . ــ
Cambridge Med. Hist. Vol II, P. 123

٢٧ــ اليعقوبي ، II ، ٤٨٦ . ــ الطبري ، III ، ص ٤٧٧ .
انظر كذلك : Brooks, Byzantine and Arebs, P. 735

٢٨ــ البلاذري ، ص ١٧٦ ، ١٨٩ .

٢٩- البلاذري ، ص ١٦٩ ، ٩٠ . - اليعقوبي ، II ، ص ٤٨٦ . - **الطبري** ، III ، ص ٤٩٨ . ابن الاثير **الكامل** ، ج ٦ ، ص ٣٩ . - ابن خلدون ، **العبر** ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

انظر كذلك :

Mescati, studi storical... P. 312 Brooks, **op. cit**, 735 - 6.

فتحي عثمان : **الحدود الاسلامية** ، ص ١٥٢ .

٣٠-

٣١- البلاذري ، ص ١٧٠ - ١٧١ . - اليعقوبي ، II ، ص **٤٧٧ - ٤٧٨** . الطبري ، III ، ص ٤٩٤ - ٥٠٠ كتاب العيون والحدائق ، المؤلف مجهول ، ص ٢٧٨ . - Mescati - **op. cit**, P. 313

٣٢- ويذكر ان المهدي عزل عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة بعد مشادة حصلت بينهما عند حصن مسلحة لان عبد الصمد لم يتلقه كما يحب . انظر ابن العديم **زبدة الحلب** ص ٦٠ ، فما بعد .

٣٣- يعقوبي ، II ، ص ٤٧٧ . - الطبري III ، ص ٥٠١ . - ابن تغري بردى ، **النجوم الزاهرة** II ، ١٤٧ انظر كذلك :

Weil, **Geschichte der chalifen**, II, 99.

٣٤- البلاذري ، ص ١٦٨ . - العيون والحدائق ، ص ٢٧٨ فما بعد . - اليعقوبي ، II ، ٤٧٨ ، ٤٨٦ . ابن الاثير ، **المصدر السابق** ج ٦ ، ص ٤٤ - ٤٥ . - ابن خلدون - **العبر** ، III ، ص ٢١٣ . عبد الجبار الجومرد ، **يزيد بن مزيد الشيباني** ، ص ١٠٤ فما بعد .

٣٥- Moscati, **op. cit**, 316.

٣٦- الاصبهاني ، الاغاني ، ج ١٢ ، ص ١٥٣ .

٣٧- ديوان صريع الغواني ، تحقيق سامي الدهان مصر ١٩٥٨ ص ١ . - الجومرد - **يزيد بن مزيد ص ١١٦** .

٣٨- اليعقوبي ، اليعقوبي ، II ، ص ٤٨٦ . - الطبري ، III ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ، ٥٢٠ - ابن الاثير ج ٦ ، ص ٥١ .

٣٩- اليعقوبي ، II ، ٤٨٦ . - الطبري ، III ، ٥٠١ . - ابن الاثير ج ٦ ، ص ٥٢ .

٤٠ـ البلاذري ، ص ١٩٠ ــ ١٩١ . ــ الطبري III ، ص ٥٦٨ .

٤١ـ Serverees, pastV, pesc. 1,167,168, 107.
Ali Fahmi, **Muslim sea power in the Eastem Miditer-raanean**, 1950.

٤٢ـ البلاذري جـ ١ ، ص ١٩٣ ، ١٨٣ ــ ١٨٤ . ــ الطبري ــ III ، ٤٧٧ ، ٤٩١ . ــ فهمي ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ .

٤٣ـ البيهقي ، **المحاسن** ، جـ ٢ ، ص ٦٢٢ ــ ٦٢٤ .

٤٤ـ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، جـ ٥ ، ص ٣٤١ .

٤٥ـ الاصبهاني ، **حلية الاولياء** . انظر ذي النفس الزكية ــ انظر كذلك الطبري، III ١٢٤٩ ،

٤٦ـ فتحي عثمان ، **المصدر السابق** ،ــ ابراهيم العدوي ، **المصدر السابق** محمد شعيرة المرابوان في الثغور البرية العربية الرومية . ص ١٥٧ فما بعد .

٤٧ـ المقدسي : **البدء والتاريخ** جـ ٦ ، **ص ٧٤** فما بعد . ابن الاثير ، **الكامل** جـ ٥ ص ٢١٤ .

٤٨ـ بارتولد ، **تركستان** .. (بالانكليزية) ، ص ١١ فما بعد .

٤٩ـ البلاذري ، ص ١٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤١٨ .

٥٠ـ اليعقوبي ، **تاريخ** ، طبعة النجف ١٣٥٨ ، جـ ٣ ، ص ١٣١ .

٥١ـ الطبري ، III ، ص ٣٦٩ .

٥٢ـ اليعقوبي ، **op. cit**

٥٣ـ الطبري ، III ، ص ٤٦٠ فما بعد ، ٤٧٦ ــ ٤٧٧ .

٥٤ـ الازدي **تاريخ الموصل** ص ١٤٥ . طبعة القاهرة ١٩٦٧ .
ويظهر ان محمد بن صول هذا كان واليا على ارمينية واذربيجان قبل ان يتولى الموصل حيث تعقب الثائر الخارجي مسافر بن كثير الشاري الذي التجأ الى (قلعة الكلاب) في بلاد الروم وتحصن فيها . ولكن ابن صول تبعه وقتله . انظر ابن اعثم الكوفي ، فتوح (مخطوطه) (ص ٢٣٥ ب ــ ٢٣٦ أ) .

٥٥ـ الازدي ،

٥٦ـ ابن اعثم الكوفي ، مخطوطه **الفتوح** ، جـ ٢ ص ٢٤١ ب . ــ اليعقوبي ، II ، ص ٤٤٦ .

٥٧ـ اليعقوبي ،

٥٨ـ الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٣٩ . ــ ابن اعثم الكوفي جـ ٢ ، ص ٢٨١ .

٥٩ـ ابن اعثم الكوفي ، **الفتوح** ، ص ٢٤١ ب .

٦٠ـ ابن اعثم الكوفي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٢ أ . اليعقوبي ، جـ ٢ ص٤٤٦ **فما بعـد** . ــ الطبري ، III ، ص ٣٢٨ .

٦١ـ ابن اعثم الكوفي ، جـ٢ ٢٤٢ ب . ــ اليعقوبي ، II ، ٤٤٧ .

٦٢ـ ابن اعثم الكوفي ، جـ٢ ، ٢٤٣ أ .

٦٣ـ Ibid

٦٤ـ دانيوس ــ تاريخ ، ص ١٠١ فما بعد .

٦٥ـ انظر : Moscati - Le Califat d'al - Hodi PP. 16 - 17

٦٦ـ بل على العكس تذكر بعض مصادرنا الاسلامية وجود تبادل بين سفراء الدولة العباسية والدولة البيزنطية (انظر مثلا الجهشياوي) ، **الوزراء والكتاب** ص ١٣٣ . ــ الطبري III ، ٣٢٣ ــ ٣٢٤ .

٦٧ـ الطبري ، III ، ص ١٢٥ . الكتبي مخطوطة (عيون التواريخ) ، المكتبة الوطنية بباريس ، ص ١ ب ــ ٢ ب . ــ النويري ، تاريخ ، مخطوطة المكتبة بباريس ، جـ ٢١ ــ ٢٣ . ص ٩٠ فما بعد ، المقرى ــ **كتاب نفح الطيب** ، جـ ٢ ، ص ١٧ ، ص ٤٠ ــ ٤١ . ــ ابن خلدون ، **العبر** ، جـ ١ ، ص ٢١١ فما بعد ، جـ ٢ ، ص ٣٣ . ــ ليفي بروفنسال ، **تاريخ اسبانيا المسلمة** بالفرنسية ص ٧٤ فما بعد .

٦٨ـ انظر Lammens « La Sofiani », **B. I. F. A. O.** P. (4)

كذلك F. Omar, The 'Abbasid Caliphete, P. 327

٦٩ـ **العقـد الفريـد** ، جـ ٣ ص ٢٠١ .

٧٠ـ أبن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥١ . ـ اخبار مجموعة ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ . ـ ابن القويطة ، تاريخ **افتتاح الاندلس** ، ص ٣٢ ـ ٣٤ . ـ بروفنسال ـ **المصدر السابق** ، ص ٧٨ .

٧١ـ اخبار مجموعة ص ١١٠ ـ ١١١ . ـ ابن عذارى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٥ . ـ انظر كذلك

Moscati, **op. cit,** PP. 321 - 326.
Omar, **op. cit. PP.** 327 - 328.

٧٣ـ Moscati, **op. cit.** 325

*
**

الخاتمــة

يقول ابن الهيثم البصري معبرا عن رأيه في تعدد الفرق :

« اني لم ازل منذ عهد الصبا مرويا في اعتقادات هذه الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأي فكنت متشككا في جميعه موقناً بان الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه فلما كملت لادراك الامور العقلية انقطعت الى طلب معدن الحق ووجهت رغبتي وحرصي الى ادراك ما به تنكشف الظنون وتنقشع عنا رهب المتشكك المفتون وبعثت عزيمتي الى تحصيل الرأي المقرب الى الله جل ثناؤه المودي الى رضاه الهادي الى طاعته وتقواه ... لست اعلم كيف تهيأ لي منذ صباي .. اني ازدريت عوام الناس واستخففت بهم واشتهيت اثيار الحق وطلب العلم واستقر عندي انه ليس ينال الناس من الدنيا شيئا اجود ولا اشد قربة الى الله من هذين الامرين .. فرأيت اني لا اصل الى الحق الا من وراء آراء يكون عنصرهـا الامور الحسية وصورتها الامور العقلية » .

يقول هيرودوت في مقدمة تاريخه :

« هذه بحوث هيرودوت من بلدة هليكارناسوس ينشرها أملا في المحافظة على ذكرى أعمال الناس من النسيان وحتى لا تجـرد الافعال العظام المثيرة التي حققها الاغريق والبرابرة (غير الاغريق) مما تستحقه من مثوبة الثناء » .

ان قول ابن الهيثم البصري آنف الذكر يعبر تعبيرا واضحا عن اسلوبه في البحث العلمي وهو اسلوب يهدف الى ادراك الحقيقة العلمية منطلقا من منهجية العلم واخلاقيات العالم الذي يقوم الحق ويميز الحقيقة . فهو يؤكد

بأن غرض العالم في جميع ما يستقر به ويتفحصه استعمال العدل لااتباع الهوى وطلب الحق لا الميل مع الآراء وتحري الموضعية والاستقصاء لا اظهار نوايا والتأكيد على الاغراض • هذه هي فلسفة ابن الهيثم اما نهجه العلمي ويذكر فيه قصده من التأليف فيقول : انما قصدت واقصد في وضع ما صفته من الكتب الى امور ثلاثة : احدها افادة من يطلب الحق ويؤثره في حياتي وبعد وفاتي • والآخر اني جعلت ذلك ارتياضا أو رياضة اروض بها نفسي في وقت وضعي اياه واثباتا لما تصوره وأتقنه فكري من تلك العلوم والثالث اني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم •••• وليوقف منه على موضع عنايتي بطلب الحق وحرصي على ادراكه •

ان مسيرة التاريخ يجب أن تسير في ذات الدروب التي سار عليها ابن الهيثم البصري وتسعى لتعويض ما فاتها وهي تتخبط خلال سنين الخمول والاهواء والتسلط فيسجل المؤرخ كلماته بصدق وواقعية فيكون تاريخها ، قدر الامكان ، معايشة صادقة للاحداث لا مجرد كلام غير واع بل خياليا مسرفا في التطرف بعيدا عن المنطق •

* * *

ولعل من المفيد أن نختم كلامنا بايضاح سبب اعتبارنا لخلافة هارون الرشيد نقطة تحول في تاريخ العصر العباسي الاول به انتهت فترة وبدأت اخرى • ان هذا الرأي هو الذي حدد مجال البحث في هذا الكتاب بحيث انتهى بعد الخليفة الرشيد (١٧٠ هـ ــ ١٩٣ هـ/٧٨٦ ــ ٨٠٨ م) •

يختلف المؤرخون في تحديد العصر العباسي الاول زمنيا ولكل مؤرخ وجهة نظرة فمنهم من يعتبره ينتهي بانتهاء خلافة المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ومنهم من ينهيه ببداية خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ذلك لأن سلطة الخليفة تقلصت شيئا فشيئا حتى انتهت بمقتله • أما الدكتور الدوري[1] فيعتبر حكم المأمون (١٩٨ هـ ــ ٢١٨ هـ) نهاية العصر العباسي الاول سياسيا لأن حكمه يعتبر

نهاية نفوذ الفرس وقد أعقبها فترة تفوق الترك • وبعد وفاة المأمون بدأت سيادة العناصر العسكرية في السياسة والادارة وبعد المأمون انتهى ذلك التعاون بين الخراسانية والعباسيين وبدأ دور نشوء الامارات المستقلة في ايران التي تمثل تعاون الارستوقراطية الفارسية مع الجماهير الايرانية ضد العباسيين • وشهد حكم المأمون نهاية الثورات العلوية المسلحة وبداية الدعوة السرية التي انتجت الدولة الفاطمية • ثم ن نقل العاصمة الى سامراء كان رمزا لسياسة جديدة وخرقا للتقاليد العباسية • وهذه هي الاسباب التي دفعت الدكتور الدوري الى اعتبار عهد المأمون نهاية العصر العباسي الاول • ولكن الدوري لا يعتبر خلافة المعتصم بداية للعصر الثاني بل فترة انتقالية الى العصر الثاني ولكننا نلاحظ بأن العصر العباسي الاول لم يكن عصر النفوذ الفارسي بل على العكس لعب العرب فيه دورا رئيسيا باعتراف المؤرخين وحاول الخلفاء خلاله حفظ التوازن بين العناصر المهمة في الدولة الاممية واستفادت الدولة من مراسيم الفرس وأنظمتهم مع احتفاظها بصبغتها العربية• أما نشوء الامارات المستقلة رمز التفكك فقد بدأ منذ عهد الرشيد • أما دخول الاتراك فلم يكن فجائيا بل بدء منذ عهد المنصور ثم تزايد • ولم يظهر أثر الجيش في السياسة بصورة فعالة الا في عهد المتوكل فقد كان المعتصم قائدا عسكريا بالدرجة الاولى استطاع أن يفرض سيطرته على القادة • ولعلنا نستطيع القول بأن تفسخ الدولة وخاصة في الاقاليم الشرقية زاد في عهده بظهور الامارات المستقلة في ايران ولكن بدايات التفسخ كان قبله بالتأكيد وفي عهد الرشيد بالذات •

ونحن نعتقد بأن عهد الرشيد بكل ما فيه من مظاهر الحضارة المدنية في عصرها « الذهبي » التي مثلتها قصص ألف ليلة وليلة ومظاهر القوة السياسية في ذروتها كان بداية منعطف جديد في التاريخ العباسي يمثل بدايات المتدهور الاداري والتفكك السياسي والتحلل الحضاري •

ان روايات « الف ليلة وليلة » جعلت من شخصية هارون الرشيد شخصية

اسطورية واخفت الكثير من حقائق شخصيته التاريخية • فقد عاش هارون في بلاط ابيه المهدي الذي بدت فيه مظاهر الترف والاسراف والتحلل حياة نعيم بعيدا عن المسؤولية ومحاطا بالخدم والموالي والخصيان • ثم عين واليا للعهد بتحريض من امة الخيزران ومربيه يحيى البرمكي اللذين لعبا دورا كبيرا في تنصيبه خليفة للمسلمين بعد وفاة الهادي بطريقة غامضة ومفاجئة •

ومنذ سنة ١٧٠ هـ حتى سنة ١٨٧ هـ سيطر البرامكة على الادارة والسياسة وفوض اليهم الخليفة أمور البلاد • ان تفويض الخليفة الحكم للبرامكة ثم نكبته لهم فجأة تعتبر نقطة تحول في الكفاءة الادارية للدولة التي بدأت تسير في طريق التدهور •

اما سياسيا فان الاضطرابات في الشرق الاسلامي تفاقمت دون أن يستطيع الرشيد ايجاد حل لها • بل ان تكتلات البلاط عقدت المشكلة أكثر فأكثر بحيث ضاعت المسؤولية بين الآراء المتضاربة • وازاء هذا الوضع اضطر الرشيد أن يعترف بالاغلبية في افريقيا مقابل دفع مقدار معين من المال للخزينة المركزية • وهكذا فقد اعترفت الخلافة العباسية رسميا بالتفكك السياسي في الدولة الاسلامية تلك العملية التي بدأت منذ سنة ١٣٨/سنة ٧٥٦ في الاندلس (الامويون) وسنة ١٧٢/سنة ٧٨٨ في المغرب (الادارسة) •

ويعتبر الخليفة الرشيد مسؤولا عن التفكك السياسي حين قرر تقسيم الدولة بين أبنائه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن الذي أدى الى الحرب الاهلية بين الامين والمأمون[٢] • وربما كان الرشيد في تقسيمه الدولة بين أبنائه مدفوعا برغبته في أن يحكم أبنائه من بعده أي أن يستمر الحكم في نسله وكذلك لتأكيد السلطة العباسية على كل الاقاليم ، ولكن من الصعوبة القول بأن هذا الحل الذي ابتدعه الرشيد كان حلا صحيحا •

ورغم ان الرشيد بعث روحا جديدة في الحرب الاسلامية ــ البيزنطية ولكن الحالة على الحدود لم تتغير في صالح المسلمين •

وأخـيرا فرغم مظاهر النشاط الاقتصادي والفكري والاجتماعي تلك المظاهر التي لم تكن حصيلة عهد الرشيد فحسب بل حصيلة العهد التي سبقته• رغم كل هذه المظاهر فان عهد الرشيد وخاصة في سنواته الاخيرة يظهر بعض النقص في كفـاءته الادارية والسياسية كخليقة ، فان بعض ما اتخذته من قرارات ومواقف سياسية أوقعته في أخطاء وجعلته مسؤولا أو أحد المسؤولين عن الحرب الاهلية التي أعقبت عهده وبالتالي تفكك الدولة العباسة • ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار عهده نهاية فترة وبداية منعطف جديد في العصر العباسي الاول •

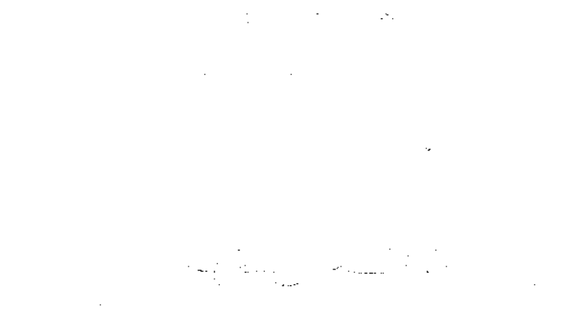
* * *

حواشي الخـاتمة

(١) الدوري : العصر العباسي الاول ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ •

(٢) قال بعضهم معلقا على قرار الرشيد حول ولاية العهد : « ... لقد القى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفه على الرعيـة وقال (الطبري ٦٥١/٣ ــ ٦٥٣) •

فويل للرعيـة عـن قليـل　　　لقد اهدى لها الكرب الشدادا





((المصادر الاصيلة))

ابن الآبار ٦٥٨ هـ **اعتاب الكتاب** (مخطوطة ، المتحف البريطاني Or 6641 لندن أو طبعة باريس ١٩٥٤ .

ابن الاثير ٦٣٠ هـ **الكامل في التاريخ** ليدن ١٨٥١ — ١٨٦٧ .

اللباب في معرفة الانساب القاهرة ١٣٥٧ — ١٣٦٩

الازرقي ٢٠٤ هـ **أخبار مكة** ليبزك ١٨٥٨ .

أخبار العباس وولده لمؤلف مجهول (مخطوطة في مكتبة الاوقاف، بغداد ، العراق) .

اخبار مجموعة ج ١ مدريد ١٨٦٧ .

ابن اصفنديار ق ٧ هـ **تاريخي طبرستان** ، طهران ١٩٤٢ . مترجم للانكليزية لندن ١٩٠٥ .

ابن ابي اصيبعه ٦٦٨ هـ **عيون الابناء في طبقات الاطباء** كونسبرك ١٨٨٤ .

ابن اعثم الكوفي ٣١٤هـ **الفتوح** (مخطوطة ، مكتبة السلطان احمد الثالث ، 2956) استانبول نسخة باللغة الفارسية ترجمها من العربية المستوفي ١٣٠٠ هـ بومبي .

الباقلاني ٤٠٣ هـ **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة** القاهرة ١٩٤٧ .

البرزنجي ٩٩٥ هـ **النواقض للروافض والنواقض** (مخطوطة المكتبة الوطنية باريس ١٤٥٩) .

بشار بن برد ١٦٨ هـ **ديوان بشار** القاهرة ١٩٥٤ .

البغدادي ٤٢٩ هـ **كتاب الفرق بين الفرق** القاهرة ١٣٢٨/ ١٩١٠ .

البلاذري ٢٧٩ هـ **انساب الاشراف** طبعة ١٨٨٣ والقدس ١٩٣٨ .

انساب الاشراف مخطوطة المكتبة الوطنية باريس ٦٠٦٨ — ومخطوطة استانبول .

فتوح البلدان ليدن ١٨٦٦ . طبعة القاهرة ١٩٥٦ .

البلعمـــي ٣٦٢ هـ **ترجماي تاريخي طبري** طبعة ١٩٠٦/١٣٢٤ . والترجمة الفرنسية باريس ١٨٦٧ ــ ١٨٧٤ .

البيـاسي ٦٥٤ هـ **العرب في الحروب في صدر الاسلام** (مخطوطة معهد المخطوطات العربية تاريخ ٣٩٩) القاهرة .

البيهقـي ق ٤ هـ **المحاسن والمساويء** ليبزك ١٩٠٠ــ١٩٠٢ ، القاهرة ١٩٠٦

تاريخي دولة عباسية ، (مخطوطة كتبت في نهاية القرن السادس الهجري مكتبة السلطان بايزيد ٢٣٦٠) استانبول .

تـاريخـي سسيتـــان لمؤلف مجهول طهران ١٣١٤ .

ابن تغري بردي ٨٧٤ هـ **النجوم الزاهرة** ليدن ١٨٥١ . ــ القاهرة ١٩٢٩ــ١٩٣٩

التنوخـــي ٣٨٤ هـ **الفرج بعد الشدة** القاهرة ١٩٣٨ . ــ **المستجاد** دمشق ١٩٤٦ . ــ **نشوار المحاضرة** لندن ١٩٢١ . ــ دمشق ١٩٣٠

الثعـالبـي ٤٢٩ هـ **لطائف المعارف** القاهرة ١٩٦٠ .

الجـــاحظ ٢٥٥ هـ **البيان والتبيين** القاهرة ١٩٤٨ .

الحيوان القاهرة ١٩٠ ــ ١٩٠٦ .

البخـــلاء القاهرة ١٩٨ .

العثمـانية القاهرة ١٩٥٥ .

ثلاثـة رسائل ليدن ١٩٠٣ .

رسائـل تحقيق السندوبي القاهرة ١٩٣٣ .

مجموعة رسائل القاهرة ١٩٠٦ .

كتاب التبصر بالتجارة القاهرة ١٩٣٣ .

التـــاج (منسوب اليه) القاهرة ١٩١٤ .

نفي التشبيه **مجلة المشرق** ١٩٥٣ .

من كلام الجاحظ **لغة العرب** جـ ٢ .

رسالة في اثبات امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب **لغــة العرب** ج ٧ .

رسالة الى ابي عبد الله **لغة العرب** ج ٩ .

رسالة في **النــابتة** X. I. I. O. C ، باريس ١٨٩٧ .

رسالة في الحكمين **المشــرق** ١٩٠٨ .

كتاب مختارات من فصول الجاحظ (مخطوطة المتحف البريطاني Or 3138) لندن

رسالة لم تنشر للجاحظ **المشــرق** ١٩٥٣ .

الجهشياري ٢٤٧ هـ **الوزراء والكتاب** القاهرة ١٩٣٨ .

ابــن حبيب ٢٤٥ هـ **كتــاب المحــبر** حيدر أباد ١٩٤٢ .

اسماء المغتالين من الاشراف القاهرة ١٩٥٤ (سلسلــة نوادر المخطوطات) .

ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ **تهذيب التهذيب** حيدر أباد ١٣٢٥ ــ ١٣٢٧ .

لسان الميزان حيدر أباد ١٣٢٩ .

ابن ابي الحديد ٦٥٥ هـ **شرح نهج البلاغة** القاهرة ١٣٢٩ .

ابن حــزم ٤٥٦ هـ **كتاب الفصل في الملل والنحل** القاهرة ١٣١٧ــ١٣٢٠ .

حمزة الاصفهاني ٣٦٠ هـ **تواريخ سني ملوك الارض والانبياء** ليبزك ١٨٤٤ .

الــحكمي **كتاب تاريخ اليمن** لندن ١٣٠٩/١٨٩٢ .

ابن حمدون ٥٦٢ هـ **تذكرة** (مخطوطة المكتبة الوطنية فــي باريس ومكتبــة المتحف البريطاني) القاهرة ١٩٢٧ .

الحنفي النهروالي ٩٩٠هـ **الاعلام باعلام بيت الله الحرام** ليبزك ١٨٦١ .

ابن خرداذبــة ٣٠٠ هـ **كتاب المسالك والممالك** ليدن ١٨٨٩ .

الخــزاعــي ٨٢٢ هـ **كتاب الفتن** (مخطوطة المتحف البريطاني Or. ٩٤٤٩).

الخزرجي ٨١٢ هـ **الكفاية والاعــلام فيمن ولي اليمن وسكنهــا من الاعــلام** (المتحف البريطاني والمكتبة الوطنية بباريس) .

الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ **تاريخ بغـداد** القاهرة ١٣٤٩/١٩٣١ .

ابن خلدون ٨٠٤ هـ **كتـاب العبر** القاهرة ١٢٨٤/١٩٥٧ . ــ **المقـدمـة** بيروت ١٩٥٧ .

ابن خلكان ٦٨١ هـ **وفيات الاعيان** القاهرة ١٢٩٩ .

الخياط المقرلي ٣٠٠ هـ **كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد** مع مقدمة مهمة للمستشرق نيبرك ، بيروت ١٩٥٧ .

ابن الداية ٩٤٥ هـ **المكافـات** القاهرة ١٩٤١ .

دعبل الخزاعي ٢٤٦ هـ **ديـوان** النجف ١٩٦٢

ابو دلامة زند بن الجون ١٦٠ هـ **ديـوان** الجزائر ١٩٢٢ .

ابن الربيع ٩٤٤ هـ **قرة العيون في اخبار اليمن الميمون** (مخطوطة في المكتبة الوطنية والمتحف البريطاني) .

دينبس التلمحري ق٢هـ **تاريـخ** ترجم الى الفرنسية باريس ١٨٩٥ .

الدينوري ٢٨٢ هـ **الاخبار الطوال** ليـدن ١٨٨٨

الذهبي ٧٤٨ هـ **تاريخ الاسلام الكبير** (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس)

رسالة في التقية لمؤلف مجهول (في I. O. L. دلهي 5540) مخطوطة لندن .

الزبيري ٢٣٦ هـ **نسب قريش** القاهرة ١٩٥٣ .

الزبير بن بكار ٢٥٦ هـ **جمهرة نسب قريش** القاهرة ١٩٦١ .

وله مخطوطة « **الموفقيات** » محفوظة نسخة منها في البصـرة .

الزجاجي ٣٣٧ هـ **الامـالي** القاهرة ١٣٢٤ .

ابوزكريا الازدري ١٨٢ هـ **تاريخ الموصل** القاهرة ١٩٦٧ . مخطوطة شستربيتي ، دبلن ، ٣٠٣٠ . وفي مكتبة S. G. VII, 163 S. O. A. S.

ابوزكريا يحيى ٣٣٤ هـ **السير واخبار الأئمة** ترجمة انكليزية . الجزائر ١٨٧٨ .

السالمي ١٩١٣ م **تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان** القاهرة ١٩٦١

ساويرس ابن المقفع ق٤ هـ **تاريخ البطارقة المصرية** القاهرة ١٩٤٣ .

سرحان بن سعيد، الشيخ **كشف الغمة الجامع لاخبار الامة** ١٩٣٣، J. B. A. S. ١٨٧٤ . (مخطوط المتحف البريطاني) Or. 6568 Or. 8076

ابن سعد ٢٣٠ هـ **كتاب الطبقات** ليدن ١٩٠٥

سعيد بن بطريق ق ٤ هـ **التاريخ المجموع على التحقيق** بيروت ١٩٠٥

الاسفرايني ٤٧١ هـ **التبصير بالدين** القاهرة ١٩٣٩ — ١٩٤٠

ابن سلام ٢٢٣ هـ **كتاب الاموال** القاهرة ١٣٥٣/١٩٣٥

السمهودي ٩١١ هـ **خلاصة وفاء الوفاء في اخبار دار المصطفى** بولاق ١٢٨٥ .

السيوطي ٩١١ هـ **اخبار الخلفاء** القاهرة ١٨٨٧

الاشعري ٣٢٤ هـ **مقالات الاسلاميين** استانبول ١٩٢٩

الشهرستاني ٥٤٨ هـ **كتاب الملل والنحل** ليبزك ١٩٢٣

الشيرازي ٤٧٦ هـ **طبقات الفقهاء** بغداد ١٣٥٦

الصابيء ٤٤٨ هـ **رسوم دار الخلافة** بغداد ١٩٦٤

ابو صالح الارمني ق ٦ هـ **الكنائس والاديرة** اكسفورد ١٨٩٥

صالح بن رزيق ق ١٩ م **تاريخ الائمة والسادة في عمان** ترجمة انكليزية لندن ١٨٧١

ابن الصباغ **كتاب الفصول المهمة في معرفة الائمة** (مخطوطة للمكتبة الوطنية باريس ٥٨٣٢) نجف ١٣٤٨

الصفدي ٧٦٤ هـ **الوافي بالوفيات** استانبول ١٩٣١ — ١٩٥٩

الصولي ٣٣٥ هـ **ادب الكتاب** القاهرة ١٣٤١ . — **اخبار الشعراء المحدثين** لندن ١٩٣٤

ابن طاووس ق ٧ هـ **كتاب التعريف في مذاهب الطوائف** (مخطوطة المتحف البريطاني Or 3574) لندن

الطبري ٣١٠ هـ **تاريخ الرسل والملوك** ليدن ١٨٨١ .

ابن الطقطقي ٧٠٩ هـ **الفخري** باريس ١٨٩٥ .

الطوسـي ٥٤٨ هـ **فهرست كتب الشيعة** كلكتا ١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ .

ابن طيفور ٢٨٠ هـ **كتاب بغداد** ليبزك ١٠٩٤ .

ابن عبد الحكم ٢٤٢ هـ **فتوح مصر** الجزائر ١٩٤٧ .

ابن عبد ربه ٣٢٨ هـ **العقد الفريد** القاهر ١٩٤٠ .

ابن العبري ٦٨١ هـ **مختصر تاريخ الدول** بيروت ١٨٩٠ .
النسخة الانكليزية لندن ١٩٣٢ .

ابن العديم ٦٦٠ هـ **بغية الطالب** (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ٢١٣٨) .

ابن عذاري ق ٧ هـ **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** ليدن ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ .

ابن عساكر ٥٧١ هـ **تاريخ دمشق** ١٣٣٣ ، ـ مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس جزء واحد فقط .

علي بن ربان الطبري ق٣هـ **كتاب الدين والدولة** مانجستر ١٩٢٢ .

ابن عنبة ٨٢٨ هـ **عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب** نجف ١٩٦١ .

العيني ٨٩٥ هـ **دولة بني العباس والطولونيين والفاطميين** ، مخطوطة المكتبة الوطنية باريس ٥٧٦١ .

غرر السير لمؤلف مجهول من ق ٣ هـ (مخطوطة مكتبة بودليان اكسفورد ٥٤٢) انكلترا .

الفاسي ٩٩٢ هـ **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة** (مخطوطه . باريس) . **شفاء الغرام** .. ليبزك ١٨٥٨ .

ابو الفرج الاصفهاني ٣٥٦هـ **الاغاني** بولاق ١٢٤ . **مقاتل الطالبين** النجف ١٩٦٥ .

ابن الفقيه الهمذاني ٢٨٩هـ **كتاب البلدان** ليدن ١٨٨٥ .

قاضي النعمان ٣٦٣ هـ **شرح الاخبار في تاريخ الائمة الابرار** (مخطوطة S. O. A. S. 25732) لندن

ابن قتيبـــة ٢٧٦ هـ **الشعر والشعراء** ليدن ١٩٠٤ .

عيون الاخبار القاهرة ١٩٢٥

كتاب المعارف القاهرة ١٩٦٠ .

كتاب العرب رسائل البلغاء .

ادب الكاتب ليدن ١٩٠٠ .

الامامة والسياسة القاهرة ١٩٠٤ (منسوب اليه) .

اختلاف اللفظ والردعلىالجهمية والمشبهة القاهرة١٩٣٠

رسالة في الرد على المعتزلة

(مخطوطة Sg. V 411. S. O. A. S.) لندن .

قدامة بنجعفر ٣٣٧ هـ **كتاب الخراج** ليدن ١٨٨٩ .

القفطي ٦٤٦ هـ **تاريخ الحكماء** ليبزك ١٣٢٠ .

القلقشندي ٨٢١ هـ **مآثر الانافـــة في معالم الخـلافة** كـويت ١٩٦٤ .

صبح الاعشى القاهرة ١٩١٩ ـــ ١٩٢٠ .

القمي ٣٠١ هـ **فرق الشيعة** طهران ١٩٦٣ .

القمـــي ق ٩ هـ **تاريخ قـــم** طهران ١٩٣٥ .

كتاب اخبار الدول المنقطعة منسوب الى علي بن ظافر الازدي (المتحف البريطاني Or. 3685) لندن . مخطوطة .

كتاب التعجب لمؤلف مجهول عاش في القرن الخامس الهجري (مكتبة دائرة الهند I. O. L. رقـــم 1258) لندن . مخطوطة .

كتاب العيون والحدائق ليدن ١٨٦٩ لمؤلف مجهول .

الكتبي ٧٦٤ هـ **فوات الوفيات القاهرة** ١٢٨٣ .

ابن كثير ٧٧٤ هـ **البداية والنهاية** القاهرة ١٩٣٢ .

الكشي ق ٤ هـ **معرفة اخبار الرجال** النجف ١٩٦٤ .

ابن الكلبي، هشام ق٣هـ **نسب مضر واليمن الكبير** (المتحف البريطاني، ٢٢٣٧٦.
جمهرة النسب المتحف البريطاني ١٢٠٢) .

الكليني ٣٢٩ هـ **اصول الكافي** لكناو ١٣٠٢ .

الكميت الاسدي ١٢٦ هـ **الهاشميات** القاهرة ١٩٥٠ .

الكندي ٣٥٠ هـ **الولاة والقضاة** ليدن ١٩١٢ . ـ **كتاب القضاة** باريس ١٩٠٨ .

المبرد ٢٢٥ هـ **الكامل** القاهرة ١٩٥٦ .

المجلسي ١١١ هـ **بحار الانوار** طهران ١٣٠٢ ـ ١٣١٥ .

محاسن المساعي في مناقب الامام ابي عمرو الاوزاعي لمؤلف مجهول . دمشق ١٣١٢

ابن المرتضى ٨٤٠ هـ **طبقات المعتزلة** بيروت ١٩٦١ .

مسلم بن الوليد ٢٠٨ هـ **ديوان** ليدن ١٨٧٥ .

المسعودي ٣٤٥ هـ **مروج الذهب** باريس ١٨٧٣ .
التنبيه والاشراف ليدن ١٨٩٤ .

ابن المعتز ٢٩٦ هـ **طبقات الشعراء المحدثين** القاهرة ١٩٥٥

الشيخ المفيد ٤١٣ هـ **الارشاد** النجف ١٩٦٢ .

المقدسي، مطهر بن طاهر ٣٥٥هـ **البدء والتاريخ** باريس ١٨٩٩ ـ ١٩٠٦ .

ابن المقفع ١٣٩ هـ **رسالة في الصحابة** بيروت ١٩٦٠ ، رسائل البلغاء .

المقريزي ٨٥٤ هـ **الخطط** القاهرة ١٩٥٩ .
المقفى المكتبة الوطنية بباريس ٢١٤٤ .
منتخب التذكرة المكتبة الوطنية بباريس ١٥١٤

المقري ٣٥٥ هـ **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** القاهرة ١٩٤٩

الملطي ٣٧٧ هـ **كتاب التنبيه والرد** استانبول ١٩٣٦ .

ابن منظور ٧١١ هـ **لسان العرب** بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .

ميشيل السوري **تاريخ** باريس ١٩٠٤

نبذة من كتاب التاريخ لمؤلف مجهول موسكو ، معهد الدراسات الشرقية ، ١٩٦٠

النجاشي ٤٥٠ هـ **كتاب الرجـال** بومبي ١٩١٧

ابن النديم ٣٧٧ هـ **كتاب الفهرست** القاهرة ١٩٤٧

النرشخي ٣٤٨ هـ **تاريخي بخـاري** طهران ١٩٣٩ . ـ ترجمة انكليزية للمستشرق فراي ١٩٥٤ .

نظـام الملك ٤٨٥ هـ **سياسة نامه (سير الملوك)** . لندن ١٩٦٠

ابو نعيم الاصبهـاني ٤٣٠ هـ **حلية الاولياء** القاهرة ١٩٣٨ . ـ ـ **ذكر اخبـار اصبهان** ليدن ١٩٣١

النوبختي ٣٠ هـ **كتاب فرق الشيعة** النجف ١٩٥٩ .

الواسعي ١٣٢٦ هـ **تاريخ اليمن** (كتب سنة١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) القاهرة١٣٤٦ .

وكيـع ٣٠٦ هـ **اخبار القضاة** القـاهرة ١٩٤٧

ياقوت الحموي الرومي ٦٢٦هـ **معجم البلدان** ليبزك ١٨٦٦/١٨٧٣ . ـ **ارشاد الاريب** ليـدن ١٩٠٧ ـ ١٩٣١ .

يحيى بن ادم ٢٠٣ هـ **كتاب الخراج** ليدن ١٩٥٨ .

اليعقوبي ٢٨٤ هـ **التاريخ** ليـدن ١٨٨٣ .

البـلدان ليدن ١٨٩٢ .

مشاكلة الناس لزمانهم طهران ١٣٢٣ .

ابو يعلي الفراء٤٥٨ هـ **طبقات الحنابلة** دمشق ١٣٥٠ .

ابو يوسف القاضي١٨٢هـ **كتاب الخراج** القاهرة ١٩٣٣/١٣٥٢ .

الكتب العربية الحديثة :

أحمد أمين : ضحى الاسلام ح ٣ القاهرة ١٩٣٦ . **المهدي والمهدوية** القاهرة ١٩٥٣

أحمد ، الدكتور محمد حلمي : الخلافة والدولة في العصر العباسي القاهرة ١٩٥٩

الباشا ، حسن : السفاح والمنصور بيروت ١٩٦٠

الباشا ، حسن : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق القاهرة ١٩٥٧

بدير متولي حميد : **من ادب الحركات الفكرية** القاهرة دار المعرفة

ثابت ، نعمان : الجندية في الدولة العباسية ، **بغداد ١٩٥٦**

الجواري ، الدكتور عبد الستار : الشعر في بغداد ، **بغداد ١٩٥٦**

جوزي ، بندلي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، بيروت

الجومرد ، الدكتور عبدالجبار : (١) ابو جعفر المنصور ، بيروت ١٩٦٣

(٢) يزيد بن مزيد الشيباني ، بيروت

(٣) هارون الرشيد

حاطوم ، نور الدين : المدخل الى التاريخ ، دمشق ١٩٦٤

حجاب ، محمد نبيه : مظاهر الشعوبية في الادب العربي القاهرة ١٩٦١

حسن ، سعد محمد : المهدية في الاسلام القاهرة ١٩٥٣

حسن ، محمد : ابو مسلم الخراساني « مشاهير العرب » ٨ ، القاهرة ١٩٥٨

حسين ، طه : حديث الاربعاء ، القاهرة ١٩٢٥

حميدة ، عبد الحسيب طه : ادب الشيعة ، بغداد ١٩٦٨

الدوري، الدكتور عبدالعزيز : (١) العصر العباسي الاول بغداد ١٩٤٥
(٢) مقدمة في تاريخ صدر الاسلام بغداد ١٩٤٩
(٣) النظم الاسلامية بغـداد ١٩٥٠
(٤) الجذور التاريخية للشعوبية بيروت ١٩٦٠
(٥) مقدمة في تاريخ العرب الاقتصادي بيروت

رفاعي ، احمد مزيد : عصر المـأمون ، القاهرة ١٩٢٨

رستم عبد السلام : ابو جعفر المنصور ، القاهرة ١٩٦٥

الريّس محمد ضياء الدين : الخراج في الدولة الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧

أبو زهير محمد : المذاهب الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٠

سيد ، فـؤاد : فهرس المخطوطـات المصورة ٣ أجـزاء القاهرة ١٩٥٤ ــ ١٩٥٩

زكي ، احمـد : الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دمشق ١٩٦١

زيدان ، جرجي : (١) ابو مسلم الخراساني القاهرة ١٩٣٣
(٢) العباسة اخت الرشيد القاهرة ١٩٣٣

الشيال ، جمال الدين : تاريخ مصر الاسلامية ، الاسكندرية ١٩٥٧

الشيبي ، كامل مصطفى : الصلة بين التصوف والتشيع ، بغداد ١٩٦٣

العاملي ، محمد أمين : أعيان الشيعة دمشق ١٩٣٦

العزاوي ، عباس : عشائر العراق بغداد ، ١٩٣٧

العلي ، الدكتور صالح احمد : التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري بغداد ١٩٥٣

علي ، محمد كرد : (١) خطط الشام دمشق ١٩٢٢ ــ ١٩٢٦
(٢) امراء البيان ، القاهرة ١٩٣٧
(٣) رسائل البلغاء ، القاهرة ١٩٥٧

عمر ، الدكتور فاروق : (١) طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت
(٢) العباسيون الاوائل، الجزءالاول بيروت ١٩٧٠

عنان ، محمد عبد الله : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، القاهرة ١٩٢٦

فروخ ، عمر : عبد الله بن المقفع ، بيروت ١٩٤١
بشار بن برد ، بيروت ١٩٤٦

القزويني معز الدين : انساب القبائل العراقية ، النجف ١٩١٨

القمي : سفينة البحار ، النجف ١٣٥٥

ال كاشف الغطاء : اصل الشيعة واصولها ، بيروت ١٩٣١

كاشف ، سيده اسماعيل : مصر في فجر الاسلام ، القاهرة ١٩٤٧

كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب ، دمشق ١٩٤٩

ما ساهم به المؤرخون العرب : الجامعة الاميركية ، بيروت ١٩٥٩

مصطفى ، الدكتور شاكر : في التاريخ العباسي ، دمشق ١٩٥٧

معروف ، ناجي : عروبة المدن الاسلامية ، بغداد ١٩٦٤

المقدسي : امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، بيروت ١٩٦١

المنجد، الدكتور صلاح‌الدين : اعلام التاريخ والجغرافية عند العرب ، بيروت ١٩٥٩ — ١٩٦٣

موسى ، محمد يوسف : تاريخ الفقه الاسلامي ١٩٦٤

النجم ، الدكتورة وديعة طه : الجاحظ والحضارة العباسية ، بغداد ١٩٦٥

النص ، احسان : الخطابة السياسية فيعصربنيأمية، دمشق١٩٦٥

النقشبندي : الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، بغداد ١٩٥٣

المقالات والبحوث العربية الحديثة :

الدوري ، عبد العزيز : ضـوء جديد على الدعوة العباسية ، مجـلة كليـة الاداب ، ١٩٦١

الديوجي ، سعيد : خطط الموصل ، سومر ، ٧ ، ١٩٥١

الزيات ، حسن : (١) التشيع لمعاوية في العصر العباسي ، المشرق ١٩٢٨

(٢) مزاعـم المؤرخين العباسيين في وصف شـره الامويـين ، المشرق ١٩٤٨

شعيره ، عبد الهادي : المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية الذكرى الفرضية لطه حسين ، القاهرة ١٩٦٣

الشيبي ، كامل مصطفى : التقيه ، مجلة جامعة الاسكندرية ج١٦ ص١٩٦٢ــ١٩٦٣

شـيخو : المحاورة الدينية التي جرت بين المهدي وطيماثوس ، المشرق ١٩٢٣ انظر كذلك M. W. ١٩٣١

العلي ، صالح أحمد : (١) خطط البصرة ، سومر ١٩٥٢

(٢) منطقة الحيرة ، مجلة كلية الاداب ١٩٦٢

(٣) استيطان العرب في خراسان ، مجلة كليـة الاداب ١٩٥٩

(٤) بغداد في عهد المنصور ، مؤتمر المدن الاسلامية ، اكسفورد انكلترا ١٩٦٥

علي ، محمد كرد : مميزات بني أمية **مجلة المجمع العلمي العربي** ج ١٥ ، ج ١٦ ، ١٩٣٧ ــ ١٩٤١

عمـر ، فـاروق : (١) موقف المعتزلة السياسي من العباسيين الاوائل ، **مجلة الاقلام** ، بغـداد ١٩٦٨

(٢) عبد الجبار الازدي صاحب شرطة المنصور ، **مجلة الشرطة** ، بغــداد ١٩٦٨

(٣) يعقوب بن داود وزير المهدي ، **مجلة كليةالاداب** بغــداد ١٩٦٩

(٤) تقويم جديد للدعوة العباسية ، **مجــلة العرب** الرياض ١٩٧٠

نفس المقالة ظهرت في **مجــلة الموسم الثقافي** ، جامعة الرياض ١٩٧٠

(٥) الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافــة ، **مجلة كلية الدراسات الاسلامية** ١٩٦٨

(٦) نظرة انتقادية لكتاب خليفة بن خياط تحقيق الاستاذ اكرم العمري ، **مجلة الاقلام** ١٩٦٨

نفس المقالة نشرت باختصار في **مجلة المكتبة** ، بغــداد ١٩٦٧

(٧) خصائص حكم الخليفة المنصور كمــا تعكسها وصيته الى ابنه وولي عهده المهدي ، **مجــلة الرسالة الاسلامية** ١٩٦٩ ، بغداد

(٨) نقد وتعريف بكتاب تاريــخ الموصل للازدي ـــ **مجلة المكتبة** ايار ١٩٦٨

(٩) نصوص تاريخية ساعد اكتشافها عــلى اعــادة تقييم الدعوة العباسية . **مجــلة كلية الاداب** . جامعة الرياض ١٩٧٠

(١٠) نظرة جديدة الى علاقة الترك بالخلافةالعباسية **مجلة المكتبة** ، آب ١٩٦٨

(١١) الحجاز في العصر العباسي الاول ، دراسة تاريخية ، **سلسلة نافذة على التاريخ** ، جمعيــة التاريــخ والآثــار ، كليــة الاداب ، جامعــة الرياض ١٩٧١ -

(١٢) استعراض وتحليل نقدي لكتاب (الزندقة والشعوبية) للاستاذة سميرة الليثي ، **مجلة العرب** ، العدد الاول ، السنة الخامسة ١٩٧٠

(١٣) الجيش العباسي ، **مجلة الشرطة** ، بغداد ، ١٣ ، ١٤ ، ١٩٧٠

(١٤) الرسائل المتبادلة بين المنصور والنفس الزكية **مجلة العرب** ، ١٩٧٠

(١٥) القاب الخلفاء العباسيين الاوائل ودلالاتها الدينية ــ السياسية **مجلة كلية الاداب**، ١٩٧٠ بغداد

(١٦) حركة المقنع الخراساني **مجلة الجمعية التاريخية العراقية** العدد ١ ، ١٩٧١ بغداد

(١٧) لمحات عن النظام القضائي في العصر العباسي، **مجلة الشرطة** ، ١٨ ، ١٩٧٠ بغداد

(١٨) الثورة العباسية ثورة عربية ، **مجلة الشرطة** ، ١٩٧١ بغداد

(١٩) منعطفات مهمة في التاريخ العباسي ، **الرسالة**

(٢٠) ثائر من أجل العرب ، نصر بن شبث العقيلي **مجلة العرب** ، ٧ ، ١٩٧١

(٢١) من القاب الخلفاء العباسيين : خليفة الله وظل الله **مجلة الجامعة المستنصرية** ١٩٧١ بغداد

(٢٢) الالوان ودلالاتها السياسية في العصر العباسي الاول ، **مجلة كلية الآداب** ١٩٧١ بغداد

(٢٣) نحن بحاجة الى تقييم جديد لتأريخ العراق الحديث ، **جريدة الصحافة** كلية الآداب ١٩٧١/٦/١٧ بغداد

(٢٤) نقد وتعريف : بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ بغداد ١٩٦٨ **جريدة الصحافة** العدد ٢٠ ١٩٧١

(٢٥) Anew assessment of the reign of al - Rashid-apaper proposed by the invitation of **U. N. E. S. C. O.** on the Occassion of the 1200 anniversory of the death of al - Rashid.

(٢٦) The Bormacides, **Encyclopeopeadia Britannica**, newed.

(٢٧) العوامل التاريخيةوالتعبويةلانتصار صلاح الدين في معركة حطين ، **مجـلة مـركز الـدراسات الفلسطينية** ١٩٧١ بغداد ، العدد الاول .

(٢٨) نقد وتعريف : العمـال العرب في اسـرائيل ، **مجـلة مركز الـدراسات الفلسطينية** عـدد ١ سنة ١٩٧١

(٢٩) نقد وتعريف : مجلة **مركز الدراسات الفلسطينية** **عدد ١ ، ١٩٧١**

(٣٠) نظرات في سياسة الخليفة العباسي المتوكل ، مجلة الجمعية التاريخية العراقية ، **العدد ٢.**

(٣١) فرق الجيش العباسي في عهد الخليفة المتوكل **مجلة الشرطة** ، عدد ٢٢ ، ١٩٧١

عواد ، ميخائيل : القسم الضائع من كتاب الوزراء للجهشياري ، مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٤٣

القـزاز ، وداد : الدرهم العباسي ، **مجلة سومر** ، ١٨ ، ١٩٦٢ بغداد

الملاحـق

(١) جدول بأسماء الخلفاء العباسيين حسب العصور المصطلح عليها .

(٢) جدول بوزراء العصر العباسي الاول .

(٣) نص « قصة » بهافريذ المجوسي .

(٤) خريطة الثغور الشامية والجذرية .

(٥) مقتطفات من راي الخبير في الجزء الاول من كتاب العباسيين الاوائل .

ملحق رقم (١) ((الخلفاء العباسيون))

١ ـ العصر العباسي الاول ١٣٢ هـ/٧٤٩ م ـ ٢٤٧ هـ/٨٦١ م (عصر القوة)

(١) ابو العباس عبد الله بن محمد ١٣٢هـ/٧٤٩م
(٢) ابو جعفر عبد الله المنصور ١٣٦هـ/٧٥٤م
(٣) ابو عبد الله محمد المهدي ١٥٨هـ/٧٧٥م
(٤) ابو محمد موسى الهاوي ١٦٩هـ/٧٩٦م
(٥) ابو جعفر هارون الرشيد ١٧٠هـ/٧٨٦م
(٦) ابو موسى محمد الامين ١٩٣هـ/٨٠٩م
(٧) ابو جعفر عبد الله المأمون ١٩٨هـ/٨١٤م
(٨) ابو اسحق محمد المعتصم ٢١٨هـ/٨٣٣م
(٩) ابو جعفر هارون الواثق ٢٢٧هـ/٨٤١م
(١٠) ابو الفضل جعفر المتوكل ٢٣٢هـ/٨٤٧م

٢ ـ العصر العباسي الثاني ٢٤٧ هـ/٨٦١ ـ ٣٣٤ هـ/٩٤٥ ـ ٩٤٦ (عصر النفوذ التركي) :

(١١) ابو جعفر محمد المنتصر ٢٤٧هـ
(١٢) ابو العباس أحمد المستعين ٢٤٨هـ
(١٣) ابو عبد الله محمد المعتز ٢٥٢هـ
(١٤) ابو اسحق محمد المهتدي ٢٥٥هـ
(١٥) ابو العباس أحمد المعتمد ٢٥٦هـ
(١٦) ابو العباس أحمد المعتضد ٢٧٩هـ
(١٧) ابو محمد علي المكتفي ٢٨٩هـ
(١٨) ابو الفضل جعفر المقتدر ٢٩٥هـ
(١٩) أبو منصور محمد القاهر ٣٢٠هـ
(٢٠) ابو العباس أحمد الراضي ٣٢٢هـ
(٢١) ابو اسحق ابراهيم المتقي ٣٢٩هـ
(٢٢) ابو القاسم عبد الله المستكفي ٣٣٣هـ

٣ ــ عصر النفوذ البويهي ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م ــ ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م:

(٢٣) المطيــع	٣٣٤هـ
(٢٤) الطــائع	٣٦٣هـ
(٢٥) القـــادر	٣٨١هـ
(٢٦) القـــائم	٤٢٢هـ

٤ ــ عصر النفوذ السلجوقي ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م ــ ٥٩٠ هـ/١١٩٤ م:

(٢٧) المقتـــدي	٤٦٧هـ
(٢٨) المستظهر	٤٨٧هـ
(٢٩) المسترشـــد	٥١٢هـ
(٣٠) الراشـــد	٥٢٩هـ
(٣١) المقتفي	٥٣٠هـ
(٣٢) المستنجد	٥٥٥هـ
(٣٣) المستضيىء	٥٦٦هـ
(٣٤) النـــاصر	٥٧٥هـ

٥ ــ عصر الانتعاش الموقت ثم السقوط ٥٩٠ هـ/١١٩٤ م ــ ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م

(٣٥) الظــاهر	٦٢٢هـ
(٣٦) المستنصر	٦٢٣هـ
(٣٧) المستعصم	٦٤٠هـ
	٦٥٦هـ

ملحق رقم (٢) « وزراء العصر العباسي الاول »

الخليفة ابو العباس : ابو سلمة الخلال

الخليفة المنصور : ابو ايوب الموریاني
الربيع بن يونس

الخليفة المهدي : ابو عبيد الله معاوية بن يسار
يعقوب بن داود
الفيض بن صالح

الخليفة الهادي :

الخليفة الرشيد : البرامكة
الفضل بن الربيع

الخليفة الامين : الفضل بن الربيع

الخليفة المأمون : الفضل بن سهل
الحسن ن سهل
أحمد بن سهل
أحمد بن ابي خالد
أحمد بن يوسف
ابو عباد ثابت بن يحيى
محمد بن يزداد
عمرو بن مسعدة
يحيى بن اكثم

الخليفة المعتصم والواثق : الفضل بن مروان
ابن الزيات

ملحق رقم (٣) النص الذي تضمنته مقالة المستشرق هوتسما عن بهافريد في مجلة :

Wiener Zeitschrift für die Knde des Morgenlandes
Vol. 3, 1889, PP. 34 - 35

قصة بهافريذ المجوسي الزوزني في أيام ابي مسلم

سمعت جماعة من مشايخ نيسابور منهم ابو زكريا يحيى بن اسمعيل الحيري يقولون كان بهافريذ مجوسيا من أهل زوزن فخرج الى الصين في تجارة له ورجع وقد حمل منها قميص حرير اخضر ورداء مثله تسعهما قبضة الرجل فأخفاهما وعمد الى كبود الجداء فشواها ودقّها وجعلها في خريطة والي السكّر ولبّ اللوز فدقهما وجعلهما في اخرى وصيّر الخريطتين وسادتين وأخفاهما مع الثوبين ثم تمارض مرض الموت وأمر فبنى له ناوس من أحسن النواويس وأوسعها وجعل للمطر مصبّا اليه بقدر وجمع الى نفسه الوسادتين والثوبين في خرقة وقال لامرأته اني ميّت لا محالة فاحفظي وصيّتي واقضي حاجة لي وكانت محبة له مشفقة عليه فقالت ما وصيّتك قال أن تنقليني في فراشي هذا والوسادتين الى ناوسي ولا تفرّقي بيني وبينها فقالت نعم وكرامة فما حاجتك قال ان تزوريني في الناوس كل اسبوع وتغسلي وجهك عند مصب المطر اليه فضمنتها له وتماوت بهافريذ فأقامت المرأة رسم المناحة عليه ونقلته في فراشه ووسادتيه الى الناوس فكان يتقوّت من الكبود يوما ومن السكر واللوز يوما ويشرب من مصب المطر وغسالة وجه المرأة ويبقى على رمقه بذلك من الطعام والشراب فلما استكمل في الناوس سنة تامّة ترصّد وقت اجتماع الناس حول ناووسه للحصاد فقام وقد لبس القميص والرداء الاخضرين حتى راوه وقال أيها الناس اني بهافريذ رسول الله اليكم فاجفلوا اليه ورحّبوا به وسألوه أن ينزل فنزل اليهم وقال لهم اعلموا ان الله اماتني منذ سنة كما رأيتم وسمعتم وقد أحياني الآن وخلع عليّ ما ترون من خلع الجنة التي لا يوجد مثلها في الدنيا وأوحى اليّ ما سأخبركم به فصدقوه وامن به خلق كثير من أهل زوزن ورستاقى خواف وزاوه من نيسابور وغيرها وانعقدت له رياسة كبيرة وكانت دعوته انه جاء بسبع صلوات يصلي بها نحو الشمس حيثما جرت وحرّم عليه الميتة والسكر وتزوّج الامهات والاخوات والبنات وبنات الاخ والاخت والعمّات والخالات وأن يتجاوزوا بمهْر المرأة اربعمائة درهم وفرض عليهم اخراج السبع

من أموالهم في العمر مرة الى الضجاع(١) والزمني وفي أعمـال البرّ وأفسد على المجوس دينهم القديم واجتمع الموابذة والهرابذة الى أبي مسلم وهو بنيسابور وعرّفوه بما أحدثه بهافريذ وقالوا انه أفسد عليكم وعلينا الدين وسألوه القبض عليه واراحتهم منه فأنفذ أبو مسلم عبد الله بن شعبة في عسكر الى زوزن حتى أخذه وحمله الى نيسابور فأمر بقتله وصلبه ودمّر على من ظفر به من أصحابه وقد بقيت منهم الى الآن بقيّة يقال لهم البهافريذية وقرأت في بعض الكتب انهم بين الخسروية والخرمية .

(ه) مقتطفات من رأي الخبير في الجزء الاول من هذا الكتاب :

السيد عميد الدراسات العليا والبحث العلمي المحترم

تنفيذا لما جاء في كتابكم المرقم ١٣١٨ والمؤرخ في ١٩٧٠/٩/٢٨

قمت بمطالعة الكتاب الموسوم .. العباسيون الاوائل .. وفيما يلي خلاصة ملاحظاتي حوله .

« الحق ان الدراسة قيمة وفيها شيء كثير من الجدة في التفكير وطريقة العرض . وقد حاول المؤلف ووفق الى حد كبير في أن يخرج من اسار التفكير التقليدي حول طبيعة الدعوة العباسية والعوامل المؤثرة فيها . وهو وان غالى في هذا الاتجاه ، الا ان وجهات نظره الجريئة يمكن أن تكون موضوع نقاش جدي بين المؤرخين .

وقد أحسن المؤلف باستعراض آراء المؤرخين المحدثين من عرب واجانب بصدد طبيعة الدعوة العباسية وواجهاتها السياسية والاجتماعية والدينية ... واجهد المؤلف نفسه في اثبات واظهار دور العرب المقيميين في خراسان في اشعال الثورة العباسية ضد الامويين ودحض الآراء التي تؤكد ان الثورة قامت على أكتاف الفرس ... » .

لقد ألقى المؤلف ضوءاً ساطعاً في الفصل الثالث (القسم الثاني) على حركات المعارضة العلوية وبخاصة ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم . والحق ان تحليل المجتمع في البصرة حيث ثار ابراهيم واعطاء العامل الاجتماعي — الاقتصادي دورا بارزا في الثورة مسألة طريفة ومهمة ... كما وان بحث هذا الموضوع كان جيدا من ناحية العرض التفصيلي والجاد لابعاد هذه الحركات .

ولا بد أن أقيم النظرة الجديدة التي نظر بها المؤلف الى حركات المعارضة الايرانية (القسم الرابع من الفصل الثالث) ، خاصة وقد رد على المؤرخين الذين تصدوا لبحث هذا الموضوع ، وهو مجهود طيب . ولا بد أن أقدر له بصورة أخص مناقشته العلمية الموضوعية لنظرية جوبنيو العنصرية غير العلمية ليصل الى النتيجة الحاسمة التي أرادها وهي أن « الثورة العباسية قامت على أساس تحالف متين بين كل العناصر الساخطة على الحكم الاموي من عربية وايرانيــة » .

ختاما : « فالمؤلف قيم ويستحق التعضيد ولا شك انه سيضيف شيئا جديدا للمكتبة التاريخية العربية » .

الكتب الاجنبية الحديثة

Abbott, N., **Two Queens of Baghdad**, New York, 1946. (Arabic translation 1970)

Agha Buzurg al-Tihranî, **al-Dharî'a ila tasânîf al-Shî'a,** Najaf, 1936.

Aḥmad, M., **al-Mas'ûdî Millenary Commemoration volume,** Aligarh, 1960.

Arabic and Islamic Studies in honour of Sir H.A.R., Gibb, published by E.J. Brill, Leyden, 1965.

Arberry, A.J., **The Chester Beatty Library, a Handbook of the Arabic manuscripts,** Dublin, 19550

Arendonk, C. van, **De Opkomst van het Zadietische Imamat in Yemen,** Leyden, 1919 (French trans. J. RYckmans, Leyden, 1960).

Arnold, Sir Thomas, **W., The Caliphatte, Oxford, 1924.**

Bagdâd, volume spécial, publiê à l'occassion du Mille Deux Centime Anniversaire de la Fondation, Leyden, 1962.

Barthold, W., **Turkestan down to the Mougol Invasion,** 2nd ed., London, 1928.

Bausani, A., **Persia rligiosa de Zaratustra a Bahâu'llâh,** Milano, **1959.**

Blochet, E.,

1. **Catalogue de Mansuscripts Arabes**, Nouvelles Acquisitions, 1884 - 1924, Paris 1925.
2. **Le messianisme dans l'héterodoxie musulmane,** Paris, 1903.

Bouvat, L., **Les Barmécides d'aprês les auteurs arabes et persans,** Paris, 1909.

Brockelmann C.,

1. **Geschichte der Arabischen Litterature,** 2 voles., Leyden, 1898. Supplement 3 vols. 1937-43. 2nd ed., 2 vols. Leyden, 1943-9.

2. **History of the Islamic peoples,** New York, 1947.

Browne, B.G., **A Literary History of Persia,** Cambridge, 1909-1930.
al-Bustânî, B., **Mutaqayât udabâ' 'l-'Arab fi 'l 'Usûr al-'Abbässiya,** Beirut, 1948.

Butcher, E.L., **The story of the Church of Egypt,** 2 vols., London
Chejne, A.G., **Succession to the Rule in Islam,** Lahore, 1960.

Christensen, A., **L'Iran sous les Sassanides,** Copenhagen, 1936. (Arabic trans. by Y. al-Khashshâb, Cairo, 1957).

Cohn, N., **The pursuit of the Millennium,** London, 1962.

Creswell, K.A.C.,

1. **Fortification in Islam before A.D. 1250,** London, 1952.

2. **A short Account of early Muslim Architecture** London, 1958.

Dawood, A.H., **A comparative study of Arabic and Persian Mirrors for Princes from the second to the sixth century A.H.,** Ph. D. Thesis, S.O.A.S., 1965.

Dennett, D.C.

1. **Marwân Ibn Muhammad,** Ph. D., Thesis Harvard University, 1939.

2. **Conversion and poll-tax in early Islam,** Harvard University Press, 1950.

De Slane, M., **Catalogue des Manuscripts Arabes, Bibliotheque Nationale,** Paris, 1883-95.

Donadson, D.M., **The Shi'ite Religion,** London, 1933.

Dunlop, D.M., **The history of the Jewish Khazars,** Princeton, 1954.

Eghbâl, 'Al., **Khânedâne Nawbakhti,** Teheran, 1933,

Encyclopaedia of Islam, 1st edition, Leyden, 1913.

Encyclopaedia of Islam, 2nd edition, Luzac & Co., 1960 in progress.

Fahmy, A.M., **Muslim Sea power in the Eastern Mediterranean** (7th to the 10th century A.D.), London, 1950.

Fattal, R., **La statut des non-musulmans en pays d'Islam an Moyen Age,** Beirut, 1958.

Fischal, W.J., **The Jews in the economic and political life of Medieval Islam,** London, 1937.

Frye, R.N., **The Heritage of Persia,** London, 1962.

Gibb, H.A.R.,

1. **The Arab conquests in Central Asia,** London, 1923.
2. **Studies on the civilization of Islam,** London, 1962.

Goitein, S.D., **Studies in Islamic history and institution,** Leyden, 1966.

Goldziher, I., **Muhammedanische Studien,** 2 vols. Halle, 1889-90, new edition, Hildesheim, 1961.

Grohmann, A., **Arabic papyri in the Egyptian Library,** Cairo, 1934.

Grunebaum, G.E., **Medieval Islam,** Chicago, 1946.

Habîba, A., **A study on Abû Zakariyâ's work.,** Ph. D. Thesis, Cambridge University, 1965.

Jafrî, S.H.M., **The early development of legitimate Shi'ism, Ph. D.** Thesis, S.O.A.S., 1966.

Khulousî S. D., **Shi'ism and its influence on Arabic literature,** Ph. D. Thesis, S.O.A.S., 1947.

Khurasânî, M. gh., '**Abdallah b. al-Muqaffa**', Cairo 1965.

von Kremer, A., **Orient under the Caliphs,** trans. into English by K. Bukhsh, Calcutta, 1920.

Lambton, A.K.S., **Landlord and peasants in Persia,** Oxford, 1953.

Lane Poole, S.

1. **Catalogue of Oriental coins in the British Museum,** vols, I, IX, London, 1875.
2. **Catalogue of the Mohammadan coins preserved in the Bodleian Library at Oxford,** Oxford 1888.
3. **The Mohammadan dynasties,** Paris, 1925.

Le Strange, G.

1. **The lands of the Eastern Caliphate,** Cambridge, 1930.
2. **Baghdad during the 'Abbâsid Caliphate, Oxford,** 1924.

Lévi-Provençal, E., **Histoire de l'Espagne Musulmane, vol. I, 1944.** Etudes Historiques, publiées par l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Cairo.

Lewicki, T., **Les Ibâdites en Tunisie au Moyen Age, Accademia palacca di scienze e letters, Biblioteca di Roma,** Roma, 1958.

Lewis, Bernard.,

1. **The Origins of Ismâ'ilism,** Cambridge, 1940.
2. **The Arabs in history,** London, 1950.

Lewis, B. and Holt, P.M., **Historians of the Middle East,** London, **1962.**

Loekkegarrd, F., **Islamic Taxation in the classic period.,** Copenhagen, 1950.

Marçais, G., **La Berbêre musulmane,** Paris, 1946.

Margolioth, D.S., **Lectures on Arabic Historians,** Calcutta, 1930.

Massignon, L.

1. **La passion d'al Hallâj, martyr mystique de l'Islam,** Paris, 1922.
2. **Salm'an P'ak et les premices spirituelles de l'Islam Iranian,** Paris, 1934 (Arabic trans. by **A. Badawî** in **Shakhisyyât qaliqa fî 'I Islam,** Cairo, 1956.

McGovern, **W.M., The early empires of Central Asia,** Chapil Hill, 1939.

Mélikoff-Sayar, I.,

1. **La Geste de Melik Danismand,** Paris, 1960. (see B.S.O.A.S., XXVII, 1, 1964, pp. 361-63).
2. **Abû Muslim le "porte-Hache" du Khorasan,** Paris, 1962.

Miz, A., **Die Renaissance des Islam,** Heidelberg, 1922. (English trans. by K. Bukhsh, **Renaissance in Islam,** Patna, 1937).

Miles, S.B., **The countries and tribes of the Persian Gulf,** London, 1919.

Minorsky, V.F., **La Domination des Dailamitets,** Paris, 1932. (Publications de la Société des Etudes Iranienes et de l'Art Persian.).

1. **Studies on the writings of al-Jâhiz,** Ph. D. Thesis, S.O.A.S., 1958.

Nichelson, R.A., **A Literary history of the Arabs,** Cambridge, 1953.

Noldeke, Th., **Sketches from eastern History (English** trans. by J.S. Black), London, 1892.

Omar. F., **The 'Abbâsid Caliphate, 132/750 - 170/786,** Baghdad, **1969.**

Ostrogorsky, G., **History of the Byzantine** State (English trans. by J. Hussey), Oxford, 1956.

Pellat, Ch., **Le Milieu Basrien et de Formation du Gâhiz, Paris, 1953.** (Arabic trans. by I. al-Kîlânî, Damascus, 1961).

Petersen, E.L., **'Ali and Mu'âwiya,** Copenhagen, 1964.

Rajkowski, W.W., **Early Shi'ism in Iraq,** Ph. D. Thesis, S.O.A.S., 1955.

Rosenthal, F.,

1. **A History of Muslim Historiography,** Leyden, 1952 (Arabic trans. by al-'Alî).
2. **Technique and approach of the Muslim scholarship,** Rome, 1947.

Sadighi G.H., **Les mouvements religieux Iraniens du 11e et 111e, siêcles de l'Hégire,** Paris 1938.

Salem, E.A., **Political theory and institutions of the Khawârij,** (The John Hopkins University Studies in Historical and Political Science, Series LXXIV, No. 2, 1956).

Sauvaget, J., **Introduction a l'Histoire de l'Orient Musulman,** 2nd ed. C. Cahen, Paris 1961.

Schacht, J.,

1. **The Origins of Muhammadan Jurisprudence, Oxford,** 1950.
2. **An Introduction to Islamic law,** Oxford, 1964.

Sourdel, D., **Le vizirat 'Abbâsid,** Damascus, 1959-1960.

Spuler, B., **Iran in früh-Islamischer Zeit,** Wiesbaden, 1952.

Storey, C.A., **Persian literature,** London, 1935.

Tritton, A.S.,

1. **Muslim Theology,** London, 1947.
2. **The Caliphs and their non-Muslim subjects,** Oxford, 1930.

Tyan, E., **Institutions du Droit public Musulman,** 1954, 1957.

Vajda, G.,

1. **Répertoire des catalogues et inventaore de manuscripts Arabes,** Paris, 1949 (Institut de Recherche et d'Histoire des Textes II).
2. **Index général des manuscrips arabes Musulmans de la bibliothèques nationale de Paris,** Paris, 1953.

Van Vloten, G.,

1. **De opkomst der Abbasiden in Chorasan,** Leyden, 1890.
2. **Recherches sur la Domination Arab,** Amsterdam, 1894. (Arabic trans. by H. I. Hasan, Cairo, 1934).

Vasiliev, A.A.,

1. **Byzance et les Arabes,** Bruxelles, 1935.

2. **History of the Byzantine Empire,** 2 vols., Madison, 1958.

Vasmer, R., **Chronologie des arabischen statthalter von Armanien unter den Abbasiden, von assaffah biz zur Krönung Ashots I, 750-887,** Leningrad, 1931.

Walker, J., **A catalogue of the Arab-Sassanian Coins,** London, 1941.

Watt, M.,

1. **Islamic Survey,** I, Islamic philosophy and theology, Edinburgh, 1962.

2. **Free Will and predestination,** Edinburgh, 1962.

Weil, G., **Geschichte der Chalifen,** Mannheim, 1866.

Welhausen,

1. **The Arab Kingdom and its fall,** Calcutta, 1922.

2. **Die religiös-politischen Opposition Sparteien im alten** (Arabic trans. by A. Badawî, **al-Khawârij wa 'l Shi'a** Cairo, 1958).

Wensink, A.J., **The Muslim Creed,** Cambridge, 1932.

Yusufî gh., **Abû Muslim, Sardâr Khûrasân,** Teheran, 1964.

Zachner, R.C., **The dawn and twilight of Zoroastrianism,** London, 1960.

Zaydan, J.,

1. **The Umayyards and the 'Abbâsids, translated into** English by D.S. Margoliouth, London, 1907.

المقالات والبحوث غير العربيــة

Amedroz, H.F., "On the meaning of the Laqab 'Al-Saffâh' ", **J.R.A.S.,** 1907, pp. 660-663.

Amélineau, M.E., "Les derniers jours et la mort du Khalifa Merwân", **J.A.,** II, 1914, pp. 660-663.

Ashtor, E., "Essai sur les prix et les salairés dans l'empire Califien", **R.S.O.,** 36, 1961, pp. 16-69.

Ayalon, D., "The military reforms of the Caliph al-Mu'tasim. Their background and consequences". Unpublished paper.

Belayev, V.I., "The Leningrad manuscript of the History of the 'Abbâsid Caliphate by as-Sû'î", **I.C.O.,** Moscow, 1957, pp. 292-297.

Bosworth, C.E., "The rise of the Karâmiyyah in Khurasân", **M.W.,** 50, 1960, pp. 5-14.

Brooks, E.W.,

1. "**Byzantines and Arabs in the time of the early 'Abbâsid", E.H.R.,** XV, 1900; XVI, 1901.
2. "The Arabs in Asia Minor from Arabic sources", **J.H.S.,** 18, 1898.

Caben, C.,

1. "Points de vue sur la 'Révolution 'Abbâside' " in **R.H.,** 1963.
2. "Les chroniques Arabes concernant la Syrie, l'Egypte et la Mésopotamie...", **R.E.I.,** 10, 1936, pp. 333-362.

Canard, M., "Les Expéditions des Arabes contre Constaninople dans

Dietrich, A., "Das politische Testament des Zweitigen 'Abbâsiden Kalifeh al-Mansûr", **Der Islam,** 1952, pp. 133-165.

Friedlaender, I., "The Heterodoxies of the Shi'ites in the presentation of Ibn Hazm", **J.A.O.S.,** XXVVII.

Frye, R.N.,

1. "The rôle of Abû Muslim", **M.W.,** 1947, 37, pp. 28-38.
2. "The 'Abbâsid Consipracy and modern revolution theory", **Indo-Iranica,** III, 1952-53, pp. 9-14.
3. "Turks in Khurasan and Transoxania at the time of the Arab conquest", **M. W.,** 35, 1945, pp. 308-15.
4. "History of Bukhâra, a review", **R.S.O.,** 30, 1955.
5. "City chronicles of central Asia and Khurasân" (Avicenna Commemoration Volume, Calcutta, 1956, pp. 89-92).

Frye, R.N., and Sajili : Turks in the Middle East before the Saljûks", **J.A.O.A.,** 63, 1943, pp. 194-207.

Gabrieli Fr.

1. "Al-Ma'mûn e gli 'Alidi", **Morgeul Texte und Forschungen,** II, 1929, Leipzig.
2. "La succession di Hârûn al-Rashîd e la guerra fra al-Amïn e al-Ma'mûn", **R.S.O.,** XI, 1928, pp. 341-97.
3. " L'opera di Ibn al-Muqaffa' " **R.S.O.,** XIII, 1931-32.

Gibb, H.A.R.,

1. "The Argument from design, A Mu'tazilite treatise attributed to Jahiz," I. Goldrziher. Mem. Volume, I, pp. 150-62.
2. "Chinese records of the Arabs in Central Asia", **B.S.O.S.,** II, 1922, pp. 613-622.
3. "Government and Islam under the early 'Abbâsid," **Elaborations d'Islam,** VIII, pp. 115-127, Press Université de France 1961-62.

4. "The fiscal rescript of 'Umar II", **Arabica**, II, 1955. pp. 1-16.

5. "The Caliphate and the Arab states", in a **History of the Crusades**, vol. I, 1958, pp. 81-89.

Goije, J. de, "Al-Balâdhurî's Ansâb al-Ashrâf", **Z.D.M.G.**, 38, 1884.

Goitein, S.D.,

1. "The origin of the visirate and its true character", **I.C.**, XVI, 1942, pp. 255-263, 380-92.

2. "A turning point in the history of the Muslim state", **I.C.**, 28, 1949, pp. 120-135.

3. "The rise of the Near Eastern Bourgeoise in early Islamic times", **J.W.H.**, III, 1956 (Review and reply by A. Belyaw, **J.W.H.**, IV, 1957-8).

4. "The place of Balâdhurî's Ansâb al-Ashrâf in Arabic historiography", **I.C.O.**, 1935, pp. 603-606.

Goldziher, I. ,

1. " Ombre de Dieu, Khalifa de Dieu ", **R. HE.**, XXXV, 1897.
2. Sâlih b. 'Abd al-Kuddûs, **I. C. O.** , London, 1893, II, PP. 104 - 29.

Graber, O., " Umayyad 'palace' and the 'Abbâsid revolution ", **S. I.** , XVIII, 1963.

Gregoire, H., " Les Armenians entre Byzance et l'Islam ", **Byzantion,** X, 1935.

Grunebaum, G. E.,

1. " Three Arabic poets of the early 'Abbâsid Age ", **Orientalia,** vol, 17, 1948, vol. 19, 1950, vol 22, 1953.

2. " Muslim civilisation in the 'Abbâsid period ", Cambridge Medieval History (new ed. 1966).

Guest, R.,

1. "Relations between Persia and Egypt under Islam". **Browne Festschrift**, 1922.

2. "A coin of Abû Muslim", **J.R.A.S.**, 1932, pp. 54-6.

Hedgson, M.G.S., "How did the early Shî'a become a sectarian ?" **J.A.O.S.**, 75, 1955, pp. 1-13.

Houtsma, M.,

1. "Bih'afrîd", **W.Z.K.M.**, 3, 1889, pp. 301-37.

2. "Die Hashwïya", **Zeit für Associalligi,** XXVI, pp. 196-202.

al-Hussaynî, A.M., "The Umayyad policy in Khurasân", **Journal University of Peshawar,** 4, 1955, pp. 1-21.

Iranî, M.S., "Khorasan after the Arab conquest", **All India Oriental Conference,** 13, 1946, pp. 530-37.

Ivanow, W., "The Early Shi'ite movement", **J.B.B.R.A.S.,** 1939.

Köcher, E., "Ya'qûb b. Da'ûd, Wezir al-Mahdi" in **Mitteilungen des Instituts für Orientforschung,** III, 1955.

Krenkow, F., "The book of strife", **I.C.**, III, 1929, pp. 561-568.

Kurat, A.N., "Abû Muhammad Ahmad b. A'tham al-Kûfî's Kitâb al-Futûh", **A.U.T.F.,** vols. 6, 7, 1949, pp. 255-282.

Lambton, A.K.S.,

1. "An account of the Târîkh-i Qumm," **B.S.O.A.**, 12, 1948.

2. "The Persian theory of government", **S.I.,** 1956-57.

Lammens, H. " Le 'Sofiani' ", **B.I.F.A.D.,** 21, 1923.

Laoust, H., "Le Hanbalisme sous le califat de Baghdad", **R.E.I.**, 27, 1959, pp. 67-74.

Lassner, J.,

1. "Notes on the Topography of Baghdad", **J.A.O.S.**, vol. 83, 1963.

2. "Some speculative thoughts on the search for an 'Abbâsid capital", part I, **M.W.**, 1965; part II, **M.W.**, 1966.

3. "Why did Caliph al-Mansûr build Ar-Rusâfa ?", **J.N.E.S.**, vol. XXIX, 1965.

4. "The caliph's personal domain", **Kunst des Oriens**, IV, 1964.

5. "Massignon and Baghdad : The complexities of growth in an imperial city", **J.E.S.H.O.**, vol. IX, 1966, pp. 1-27.

Lewis, B.,

1. "An apocalyptic vision of Islamic History", **B.S.O.A.S.**, 13, 1950, pp. 308-338.

2. "Some observations on the significance of Heresy in the History of Islam", **S.I.**, vol. I, 1953 pp. 43-63.

3. "Government, society and economic life under the 'Abbâsids and Fatimids" in **Cambridge Medieval History** (new ed. 1966, pp. 639-661).

Lichtenstadter, E., "From particularism to unity", **I.C.**, 1949, pp. 251-80.

Margolioth, D.S., "On Mahdis and Mahdism", **Proceedings of the British Academy**, 1915.

Mélikoff-Sayor, I., "Abû Muslim, Parton des Akhis",**I.C.O.**, 1957, pp. 419-421.

Moscati, S.,

1. "Studi su Abu Muslim", **Rendiconti lincei**, ser. VII, IV, 1949, pp. 323-335, 474-495; ser. V, 1950, pp. 89-105.

2. "La rivolta di 'Abd al-Gabbâr contro il califfo al-Mansûr", **Rendiconti Lincei,** ser. VIII, II, 1947, pp. 613-615.

3. "Studi storici sul califfato di al-Mahdi", **Orientalia.**

4. "Nuovi studi storici sul califfato di al-Mahdi" **Orientalia,** XV, 1946, pp. 155-179.

5. " Le Califat d'al-Hâdi", **Studia Orientalia,** XIII, 4, 1946, pp. 1-28.

6. "Il Testament di Abû Hâshim", **R.S.O.,** XXVII, 1952, pp. 28ff.

7. "Le Massacre des Umayyades...", **Archiv Orientalni,** 1950, pp. 88-115.

8. "Per una storia dela 'Antica Si'a", **R.S.O.,** 1955, pp. 251-267.

Nadvi, S.S., "The Origin of the Barmakids", **I.C.,** VI, 1932.

Nallino, C.,

1. "Sul Nome di Qadariti," **R.S.O.,** VII, 1916-1918, pp. 461-66 (Arabic trans. by A. Badawî in **al-Turâth al-Yunânï fi 'l hadâra al-'Arabiyya**).

2. "Sull 'Origin de Nome die Mu'taziliti", **R.S.O.,** VII, 1916-18, pp. 429-454 (Arabic trans. by A. Badawî, **op. cit.**).

Nyberg, H.S., "Zum Kampt Zwischen Islam und Manichäismus", **O.L.Z.,** XXXII, 1929, pp. 426-434.

Omar, Farouk.,

1. Hârûn al-Rashîd in the **E.I.**(2).

2. Ibrâhïm al-Imâm in the **E.I.**(2).

3. Ibn al-Nattâh in the **E.I.**(2).

4. The Composition of the 'Abbâsid support in the early 'Abbâsid period in the **B.C.A.,** (Baghdad University). **1968.**

Pellat, Ch.,

1. "La 'Nabita' de Djâhiz", **A.L.E.O.**, X, 1952, pp. 302-325.

2. "Gâhiz à Baghdad et Samarrâ", **R.S.O.**, XXVII, 1952, (Arabic trans. by I. Kîlânî in al-Jâhiz, Damascus, 1961).

3. "Le culte de Mu'âwiya au IIIe siècle de l'hégire", **S.I.**, VI, 1956, pp. 53-66.

4. "La Imâmat dans la Doctrine de Gâhiz", **S.I.**, 1961, pp. 23-53.

Quartrémere M., "Avênement des 'Abbâsides au Khalifat", **Nouveau Journal Asiatique,** XVI, 1835.

Rabino, H.L., "Les préfets du califat au Tabaristan.", **J.A.**, 1939, pp. 237-274.

Rogers, E.T., "Notes on the Dînars of the 'Abbâside Dynasty", **J.R.A.S.,** 1875, pp. 281-82.

Scarcia, G., "Lo scambio di letters tra Hârûn al-Rashîd e Hamza al-Hârigî secondo il 'Tâ'rih-i Sistân' ", **A.I.U.O.N.**, XIV, 1964, pp. 623-45.

Serjeant, R.B., "Haram and Hawtah, the sacred enclave in Arabia", **Melanges Tâha Husayn,** Cairo, 1963.

Sourdel, D.,

1. "Baghdad, capital du nouvel empire 'abbâside" in **BAGHDAD, volume spécial,** Leyden, 1962.

2. " La biographie d'Ibn al-Muqaffa' d'aprês les sources anciennes", **Arabica,** I, 1954, pp. 307-325.

3. Jahsiyâri, al-Wuzarâ' wa'l kuttâb", **Melanges Louis Massignon,** III, 1957, Damascus.

4. " Problémes de l'histoire du vizirat 'abbâside (132/749 à 324/936), **I.C.O.**, 1957.

Spuler, B., "Iran : the persistent Heritage", in **Unity and Variety of Muslim Civilisation,** ed. G.E. von Grunbaum, Chicago, 1955, pp. 168-182.

Strauss, E., "The social isolation of Ahl adh-Dhimma", **E.O.,** à la Memoire de Paul Hirscher, Budapest, 1950, pp. 73-94.

Tavadia, J.C., "Iran in the first centuries of Islam...", **Journal University of Bombay,** 1954, pp. 106-117.

Thomson, W. "Kharijitism and the Kharijites", **D.B. Macdonald presentation volume,** 1933, pp. 373-389.

Traini, R., "La Corrispondenza tra al-Mansûr e Muhammad 'an-Nafs az-zakiyya' ", **A.I.U.O.N.,** 1964, pp. 773-798.

Vaglieri, L.U.,

1. "L'imâmato Ibâdita dell' 'Omân", **A.I.U.O.N.,** 3, 1949.
2. "Le vicende del Hârigismo in epoca 'Abbâside", **R.S.O.,** 24, 1949.

Vajda, G., "Les Zindiqs en pays d'Islam au début de la période 'abbaside", **R.S.O.,** XVII, 1938, pp. 173-229.

van Vloten, G.,

1. "Zur 'Abbâsiden Geschichte", **Z.D.M.G.,** 52, 1898, pp. 213-226.
2. "Schüsmus und Motazilisma in Basra" **Z.D.M.G.,** 53, 1899.

Vasmer, R., "Die Eroberung Tabristân durch die Araber zur Zeit des Chalifen al-Mansûr", **Islamica,** 3, 1927, pp. 86-150.

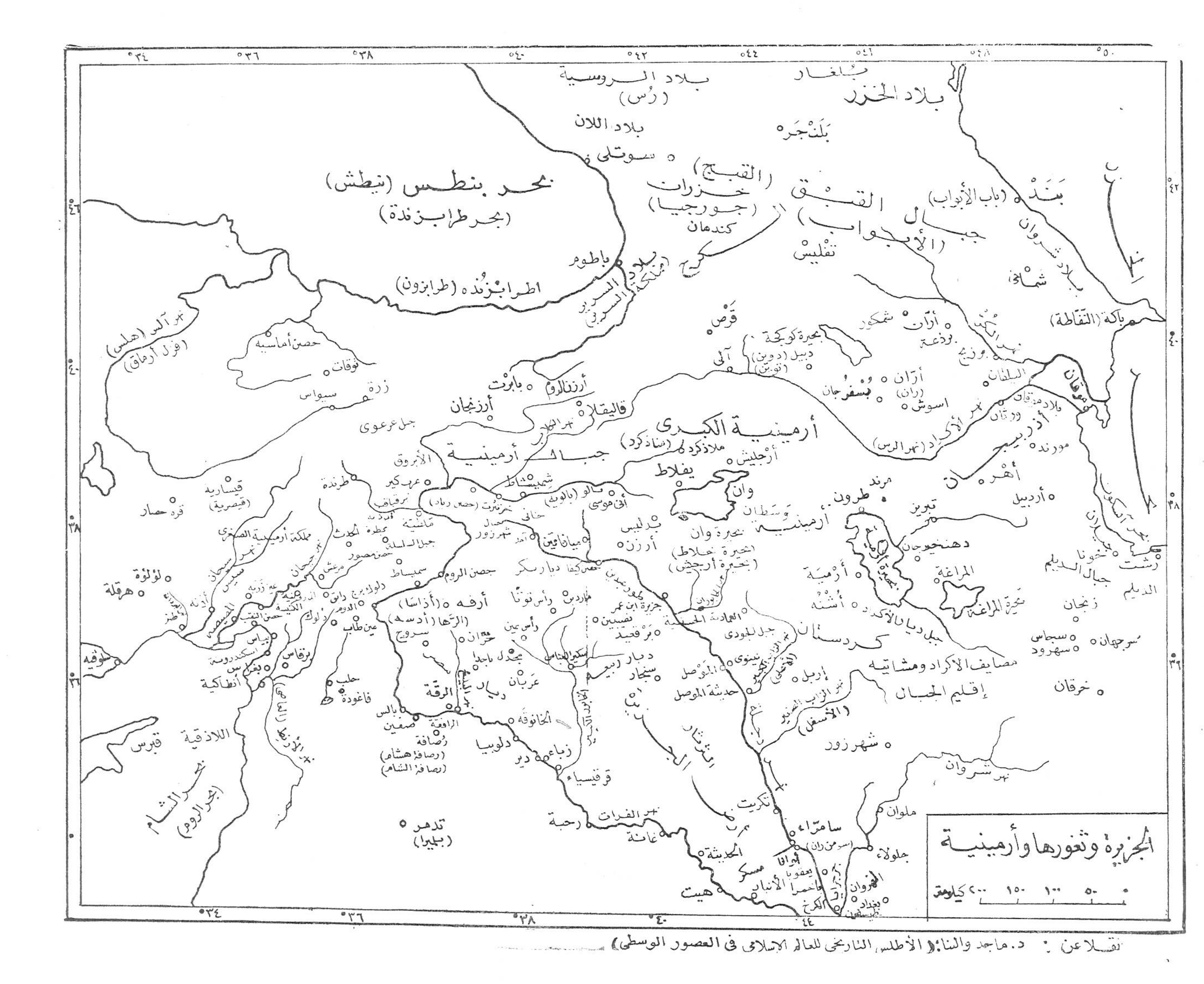
Watt, M.,

1. "The Rafidites", **Oriens,** XVI, 1961.
2. "The political thought of the Mu'tazilah", **J.R.A.S.,** 1962, pp. 38-57.
3. "The reappraisal of 'Abbâsid Shi'ism", in **Arabic and Islamic Studies in honour of H.A.R. Gibb, E.J. Brill,** 1965.

Wiet, G., "L'empire néo-byzantin des Omayyades et l'empire néo-Sassanide des 'Abbasides", in **Cahiers d'histoire mondiale,** I, 1953, pp. 63-71.

Wright, E.M., "Symbols of Iranian persistence...", **M.W.,** 38, 1948, pp. 43-59, 124-131.

Yakubovsky, A.Y., "Vosstaniye Mukannî", **S.V.,** V, 1948, pp. 35-54.



نقلا عن: د. ماجد والنا: (الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى)

الدكتور فاروق عمر

العباسيون الاوائل – الجزء الثاني

دار الفكر

